

الإمام تركي بن عبد الله

بطل «نجد» ومحررها ومؤسس الدولة السعودية الثانية



اهداءات ٢٠٠٢
دارة الملك عبد العزيز
المملكة العربية السعودية

الإمـــــام
تركـي بـن عبدالـلـه

بطـل «نجد» ومحرّرها
ومؤسس الدولة السعودية الثانية

الجزء الخامس

الدكتور منير العجلاني

١٤١٠هـ ـ الموافق ١٩٩٠م

منشـــــورات
دار الشبـل للنشر والطباعة والتوزيع
الرياض ـ ص.ب ٢١٢٩١ ـ هاتف ٤٨٨٠٠٤٧
فاكــس ٤٨٨٠٠٤٧


بسم الله الرحمن الرحيم



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز

الإهداء

يا خادم الحرمين الشريفين، ، ،

لئن بايعـك شعبـك الوفيّ إماماً للمسلمين، وملكاً على المملكة العربية السعودية، لقد أهّلك لهذا المقام العظيم: تعهدك لسياسة الدولة، وضبطك لأمور الحكم في الوزارات التي تقلّدتها خلال ثلاثين عاماً، وقد جمع الله لك الذكاء اللمّاح وأصالة الرأي وحلاوة البيان، والمهابة والكياسة معاً، فما تحدث إليك زعيم من الزعماء العالميين، ولا سياسي، ولا أديب، ولا عالم، إلاّ وخرج من لدنك كبير الإعجاب بك رجل دولة وقائداً ورائداً.

لم يكن المُلْكُ بداءة تاريخك وآية ظهورك وتألّق سجاياك، فقد كان لك قبل ذلـك سجـل حافـل بالمهمات الدقيقة التي نهضت بها والخدمات الكبيرة التي قدمتها للإسلام والعرب والمملكة، في كل المجالات، وكنت دائماً شديد الحرص على بقاء أمتك مجتمعةً كلمتها، موحدةً أهدافها، مستمسكةً بدينها وعروبتها

وتقاليدها الأصيلة وماضيةً قدماً في درب القوة والعزة والرقي ، وقد كوفئت على جهودك المخلصة وحسن صنيعك باجتماع القلوب حولك.

يقول ابن الجوزي: (تزيد مرتبة السلطان العادل على قوّام الليل وصوّام النهار، لأن نفع أولئك لا يتعدّاهم، ونفعه يتعدّى، إذ بنظره يتعبّد المتعبّدون، ويشتغل بالعلم المتعلمون، فكأنه عبدالله بعبادة الكل).

فما أعظم زعامتك، وما أكثر نفعها للمملكة ولعامة العرب والمسلمين!

وما أروع اختيارك، حين ارتضيت لنفسك لقب: «خادم الحرمين الشريفين»، ولم يكن هذا اللقب مجرد رمز، فقد أوليتَ الحرمين الشريفين والمدينتين المقدستين عناية فائقة، وأنجزت أعمالاً باهرة ومذهلة تجاوزت كل ما صُنِع قبلك، خلال الأجيال المتعاقبة، في مجالي التوسعة والعمران والتنظيم والتجميل وتيسير وسائل المواصلات وضمان الراحة بل الرفاه للحجاج والمعتمرين والمصلين، وبذلك أدخلت الطمأنينة والاعتزاز والفرحة على نفوس المسلمين في كل بقاع الأرض، لأن المدينتين المقدستين، فضلاً عن كونهما سعوديتين، تنفردان بصفة متميزة.

لقد أعلنتَ، يا خادم الحرمين الشريفين، في غير خطاب، أنك تعنى ببناء الإنسان أكثر من عنايتك ببناء العمائر والمصانع والمزارع، التي لا تقام إلا لسعادة الإنسان، فهو الأصل والغاية.

وإنه لحظ لي عظيم، يا خادم الحرمين الشريفين، أن أضع لبنة متواضعة في الصرح الثقافي الشامخ الذي تشيدونه، هي هذه السلسلة التاريخية التي قضيت أعواماً طويلة في إعدادها، وما جرأني على ذلك إلا قديم عنايتك بالثقافة، وموصول رعايتك للآداب والعلوم، ولست أجهل أنك كنت أول وزير للمعارف في المملكة، وواضع أسس النهضة التعليمية في البلاد.

إن الثقافة التاريخية تسهم بقوة في بناء المواطن الصالح، فالتاريخ مرآة لشخصية الأمة وعبقريتها، ونور يمشي بين يديها، يذكِّرها بأمجاد الماضى ويثير أشواقها إلى صنع أمجاد جديدة، تضاف إلى أمجاد السلف التليدة؛ ويضيء لها المسالك ويحذِّرها من المهالك، ويقيها من الأخطاء التي جرّت النكسات والنكبات على أقوام جهلوا دروس التاريخ وعبره، فذلّوا بعد عزة، وتهافتوا بعد رفعة!

إن كتبي محاولة مخلصة، تروي على هدى الوقائع الثابتة والوثائق الصحيحة تاريخَ هذا الشعب الأصيل، الذي تقودون مسيرته في دروب المجد: تاريخ آبائك وأجدادك، عبدالعزيز وعبدالرحمن وفيصل وتركي ومحمد بن سعود ... تاريخ العلماء والأبطال والمجاهدين من أفراد الشعب، الذين غيروا بمشيئة الله مجرى التاريخ، وبدمهم وجهدهم وعرقهم حرّروا البلاد ووحدّوها وأعزّوها تحت راية التوحيد.

سلسلة آباء أمجاد، ومواكب أبطال أنجاد، حرروا شعوباً، وبنوا دولاً، وصنعوا تاريخاً.

من كلمات الإمام تركي

أشهد الله عليكم أني بريء من ظلم من ظلمكم، وأنا نصرةٌ لكل صاحب حق وعونٌ لكل مظلوم.

﴿واذكروا نعمة الله عليكم، إذ كنتم أعداءً فألّفَ بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها﴾.

.. وأعزّكم بعد الذلّة، وكثّركم بعد القلّة، وأمّنكم بعد الخوف، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، والسلام».

ـ تركي بن عبدالله ـ

«من رسائله إلى الشعب»

(تحسبون أنكم ملكتم البلدان بسيوفكم، وإنما أخذها لكم وذلّلها سيفُ الإسلام والاجتماعُ على إمام.

.. إذا ورد عليكم أمري بالمغزى، حمّلتم الناس زيادة.. وفرحتم بذلك لتأكلوا في ضمنه.. وصرتم كراصد النخل يفرح بشدّة الريح، لتكثر الساقطة عليه..

.. واعلموا أني لا أبيح لكم أن تأخذوا من الرعايا شيئاً، ومن حدث منه ظلم على الرعية فليس أدبه عزله، بل أجليه عن وطنه).

ـ من كلمات تركي التي خاطب بها أمراء
البلدان يعظهم ويزجرهم ـ

مقدمة

يشبّه كثيرون الملك عبدالعزيز بجده الإمام (فيصل بن تركي)، ولكن غير واحد من المؤلفين العارفين يؤكدون أنه يشبه جده (الإمام تركي) أكثر مما يشبه فيصلا، وفي ذلك يقول خالد الفرج:

(لم يذكر التاريخ إلاّ جدُّه   تركي من شبهٍ له ومثيل)

كان تركي من الزعماء العمالقة، وهبه الله بسطةً في العقل، وبسطةً في الجسم، وحباه الكثير من صفات القيادة والبطولة، كالشجاعة والصبر، والحزم والحلم، وصفاء النفس ورهافة الحس، وأكرمه بنعمة التوفيق في تجاوز الغمرات، والانتصار على الأعداء بالهيبة والرعب!..

وهنا يتجلى الشبه، إن لم نقل التماثل، بين البطلين العملاقين: تركي وحفيده عبدالعزيز.

فسيرتهما حقيقة واقعة، شاهدها الناس، وشهدوا لها..
وان كانت تبدو لنا الآن كأنها أساطير وراء الخيال.

قال إبراهيم باشا لرجاله، بعد استسلام الدرعية وتهديمها:
«الدولة السعودية انتهت ولن تذكر، وراية التوحيد طويت ولن تنشر»!.

ولكن الله سبحانه أبى إلا أن يُتِمَّ نوره، فظهر البطل تركي بن عبدالله ونشر راية التوحيد وحرر البلاد!.

وأما بعد . .

فإن حديثي عن الإمام تركي بن عبدالله حديث مؤرخ منصف، لا أتزيّد فيه ولا أتنقّص، ولا أرشّ على الوقائع ألوان أجنحة الفراش، لتظهر زاهية مغرية، فحياة تركي جميلة رائعة لا تحتاج إلى ألق تريقه عليها ريشة فنان أو أخيلة شاعر . .

إن كتابي هذا أول كتاب يفرد لسيرة تركي، وهو محاولة رائدة.

لا أقول ذلك افتخارًا، وإنما أقوله اعتذارًا . . عما قد يقع فيه من هنات، أو يُلحظ من نقص، لأن أحدًا لم يسبقني إلى كتابة سيرةٍ كاملةٍ لتركي، فأنسج على منوالها، وأزيد عليها . .

كان ابن بشر، الذي أدرك عصر الإمام تركي، وكان «شاهد عيان» لبعض أعماله، أكثر المؤرخين تتبعًا لأخبار تركي، ولكنه يقول لنا بتواضع العلماء: إنه لم يكتب من سيرة تركي وأخباره إلا اليسير، وفاته منها الكثير!

وأما المؤرخون الآخرون فكان نصيب تركي من عنايتهم قليلًا، بعضهم أثنى عليه ثناءً عظيمًا، لمعرفته قدره، ولكنه لم يتبسط في ذكر وقائعه وسياساته، وبعضهم جهل قدره وبخسه حقه . .

وأنا نفسي لا أدّعي أنني استقصيت في كتابي كل أخبار تركي، أو أحطت بكل ماقيل فيه، ولكنني جمعت من أخباره ومواقفه أكثر مما أتيح لغيري أن يجمعه منها، فقد أفدت من كتابات العرب والأجانب الذين دوّنوا ما استطاعوا من وقائع تركي وأعماله، وخطبه وأشعاره، وما قام به خصومه من ولاة الترك وصنائعهم، وما جرى في زمانه من أحداث سياسية ومتغيّرات دولية، وكل ذلك

وجدته متفرقاً في وثائق ورسائل، وكتب ومخطوطات، وتقارير ونشرات، وصحف ومجلات، لا تحصى كثرة، وقد حرصت على أن أنقل في كتابي نصوصاً كاملة أو فقرات من تلك الكتب والمستندات، مع صور لها أحياناً، ولم يكن قصدي التكثر بها وزيادة حجم الكتاب، وإنما أردت أن أضع بين يديّ القارىء نماذج من النصوص التي كتبت على هدىً منها رواياتي للحوادث، وهو حر، بعد ذلك، في اصطناع رأي لنفسه يوافق رأيي أو يخالفه، ولو حبستها عنه، لتعذّر عليه، أو أتعبه الوصول إليها في مظانها.

لقد رجعت إلى ابن بشر في كثير من أخبار الإمام تركي، لأنه المرجع المفضل لتاريخ الدولة السعودية الأولى وبعض الثانية، ولكنني لم أكتفِ برواياته للحوادث، ومتى وجدت روايات لغيره أصحّ منها، أو تحتوي على أمور أغفلها ابن بشر أو جهلها، مع ثبوتها، نقلتها أو اقتبست منها، وهكذا صححت بعض روايات ابن بشر، وأضفت إليها إضافات كثيرة.

وإذا كان تاريخ ابن بشر، قد كُتِب بأسلوب الحوليات، المتبع في زمانه، والمتوارث جيلاً بعد جيل، فأسلوب كتابتي للتاريخ هو الأسلوب الحديث، الذي يستوفي البحث في كل موضوع، في فصل واحد، وذلك أرضى لأشواق القارىء الذي يريد الإلمام بسيرة رجل. أو فتح بلد، أو وصف معركة، فيجد ما يريد في مكان واحد وحديث موصول متسق، لا متناثراً، في سنةٍ جزء منه، وفي سنة أخرى جزء آخر. . وربما غابت أجزاء منه في أحداث طغت عليها.

. . وتاريخ ابن بشر لا يخلو، على كل حال، من نظرات عامة، وبحوث تتجلى فيها وحدة الموضوع، وأكثر ما يفعل ذلك عند كلامه عن الأئمة بعد وفاتهم، فهناك تجد سيرة الإمام المتوفى مختصرة، وأسماء قضاته وأمرائه على البلدان وغير ذلك.

ولابن بشر، فضلُ السبق، ولولا ابن بشر وابن غنام وأمثالهما لضاع كثير من تاريخ الدولة السعودية الأولى وبعض الثانية.

لماذا كان تركي بطلاً يصنع التاريخ

يقول جماعة من المؤرخين إن الأبطال لا يغيرون مجرى التاريخ، فنهضات الأمم، وكذلك كبواتها، تتم بفعل الأحوال المادية والاقتصادية والظروف الاجتماعية والمتغيرات الدولية، لا بفعل رجل أو عصبة من الرجال، والأبطال إنما يظهرون في الوقت الملائم ويقومون بالأدوار التي هيأتها لهم الظروف والأحداث، وهم يشبهون ملاحي السفن الشراعية، فهل كانوا يستطيعون التقدم بها في البحر لو أن الرياح سكنت، فالرياح هي التي تسيّر السفن الشراعية، والقبطان وأعوانه يوجهون دفتها، وقد يهب إعصار شديد فيُغرق السفينةَ وملاحيّها وركابها، وهكذا الأبطال يستخدمون الظروف القائمة ولا يصنعونها، مثلهم في ذلك مثل الملاحين الذين يستغلون الرياح ولا يُجرونها!

هؤلاء المؤرخون، الذين ينتقصون من عظمة الأدوار التي يمثلها الزعماء الأبطال في نهضة الأمم، متأثرون بالنظريات المادية والأساليب الجدلية، الدياليكتية، وربما كان عذر بعضهم في الغضّ من صنيع الأبطال أنهم يخشون شيوع النظرية الاغريقية القديمة في عبادة الأبطال وتأليههم.

أما نحن الذين لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، فنكرم الأبطال ونفخر بهم ونعرف حقهم علينا، ولا ننكر أنهم غيّروا، بفضل الله، وجهة مسيرنا، ونقلوا بلادنا، أو أسهموا بقوة في مسيرتها: من الفوضى إلى النظام، ومن الضعف إلى المنعة، ومن التخلف إلى التقدم، ومن التفرقة إلى الوحدة، ومن المهانة إلى العزة.

وهذا ما صنعه تركي بن عبدالله، فكان بطلاً عظيماً.

البطل عند الغربيين:

كان الإغريق يعرفون البطل - هيروس - بأنه مزيج من الأرباب والبشر، وكانوا يقولون: البشر يفنون، والأبطال يخلدون!

ويقول (لامارتين) في وصفه للنبي محمد ﷺ: لم يَدَّعِ (محمد) الألوهية، ولكنه كان أكثر من بطل.. كان نبيا.

البطل أقل من نبي، ولكنه فوق الناس.

لا يصنع المعجزات، التي اختص بها الله بعض أنبيائه، ولكنه يصنع أموراً باهرة لا يستطيع غيره صنعها، ويحقق لقومه أو للدنيا ما كان يبدو للناس مجرد حلمٍ بعيد.

يقول الكاتب الانجليزي المشهور كارليل:

(البطل هو الزعيم القوي الملهم، الذي يحدّد مسار التاريخ).

وهذا التعريف أقرب التعاريف إلى المعنى الذي نقصد إليه في حديثنا عن بطولة تركي.

ولكن الزعيم البطل في تاريخنا الإسلامي، كان يُشترط فيه، إلى الشجاعة، أن يكون عفّ اليد، كريما، بليغاً، يصنع لقومه مجداً، وأن يكون فوق ذلك، متين الإيمان، تقياً، وما كان المؤرخون القدامى يلقبّون المشركين والملاحدة بالأبطال، مهما ظهر من شجاعتهم، لأنهم لا يدافعون عن مُثُل الدين العليا، وإذا ماتوا خلال المعارك لم يقولوا: استشهدوا، لأن الشهيد هو المؤمن.

البطل إنسان، ولكنه فوق عامة الناس، ألم يقل المتنبي في ممدوحه:

(لئن فقتَ الأنامَ وأنت منهم فإن المسكَ بعض دم الغزال)

البطل إنسان متفوق، أو فائق، وهو في اللغة الانجليزية (سوبرمان) وفي

الفرنسية (سوروم) وربما نقل بعض الأدباء هاتين اللفظتين إلى العربية فقالوا: الإنسان الكامل.

وقائع تركي تشبه الأساطير:

تروى عن تركي وقائع تشبه الأساطير، وكان سلاحه، بل رفيقه الذي لا يفارقه قط، السيف الذي عرف باسم (الأجرب) وهذا السيف، كان عند تركي بمنزلة المصباح السحري عند (علاء الدين)، يقول له تركي:

يا أجرب، أعطني رأس فلان..

فيجيبه الأجرب:

لبيك، هذا رأسه بين يديك!

استطاع تركي الهرب من الدرعية، قبيل استسلامها واستيلاء الغزاة عليها، وطَلَبهُ التركُ في كل مكان، فلم يظفروا به.

وهرب مرةً أخرى من الرياض، حين أحكم الترك الحصار حولها، وظنوا أنه لن يفلت من قبضتهم، ولكنه نجا منهم ولم يقفوا له على أثر.

كان تركي يتنقل بين البلدان والعشائر مستخفياً، في النهار وقد يظهر في الحقول المنعزلة، وفي الليل يحمل سيفه ويترصّد الجواسيس والخونة ويقاتلهم.

في معسكر الترك:

يروى أنه كان يدخل مراراً معسكر الترك، ليعرف حركاتهم وخططهم، ومن يعاونهم من أهل نجد، ودخل مرة المعسكر متنكراً، فعرفه أحد النجديين، الموجودين هناك، فسار تركي إليه مسرعاً، وصبّ طبق الطعام فوق رأسه، فشغله بذلك عن الإبلاغ عنه، واستطاع الهرب.

الامـــام فيصـــل
يعوض ابن شهيوين عن طنعة أبيه!

سألني جلالة الملك فيصل يوماً: أين وصلت في كتابك عن الإمام تركي؟

فأجبت جلالته: مازلت في أوائل أخباره، وأعتقد أن وقائعه متفرقة في مراجع كثيرة، بعضها مخطوط وبعضها نادر، ولم تجتمع أخباره في كتاب، ولكن المؤرخين مجمعون على بطولته.

فقال جلالته، رحمه الله:

(أتذكّر الآن واقعةً من وقائع تركي تدل على مبلغ دهائه وجرأته العجيبة.

جاء ابن شهيوين يوماً إلى الملك عبدالعزيز، وكان في عنقه ضربة، وقال له: هذه من ضربة جدك تركي!

ذلك أن ابن شهيوين كان حارساً عند عساكر الترك في (ضرمى)، فجاء تركي متنكراً إلى المعسكر التركي، وكان يحمل طبقاً كبيراً من الطعام، فعرفه ابن شهيـوين وتكلم معـه كلاماً مثيراً، فرمى تركي بصحيفة الطعام بعيداً، وعاجله بضربة سيف، أذهلته وألجمته عن الكلام، فلم يُفتضح أمرُ تركي.

وكان الإمام فيصل بن تركي يبّر ابن شهيوين، ليعوّضه (عن طعنة أبيه).

ولعل هذه الوقعة هي الوقعة السابقة، وقد تكون غيرها، لأن تركي دخل المعسكر مراراً.

واقعة ضرمى الأسطورية

كانت لتركي في ضرمى واقعة تشبه الأساطير حقاً، فقد أرسل ابن معمر جيشاً إلى ضرمى، التي كان تركي مقيماً فيها مع قليل من أنصاره، وذلك لأسره أو قتله هو ورجاله، وهذا ما يقوله ابن بشر في وصفه للواقعة المذهلة، وهو يذكرنا بفتح الملك عبدالعزيز للرياض.

أمر تركي رجاله (أن ينهضوا إلى قصر من قصور البلد، ويتحصنوا فيه، فدخلوا فيه، وأخذوا من صاحب القصر سلاحاً وامتنعوا، فلما كان الليل خرج تركي من القصر ومعه خادمه، وقصدا أناساً في بيت لأصحاب ابن معمر، فأمسك خادماً لهم وقال:

استفتحْ على أهل هذا البيت وإلاّ ضربتُ عنقك!

فاستفتح عليهم الباب، فلما فتحوا له دخل عليهم تركي، وهم على النار، مكتنفين بها، فضرب فيهم بالسيف، فأطفأوا النار وهربوا، وتسوّروا جدار البيت، فجُرحت فيهم جراحات كثيرة، وأخذ سلاحهم، فلما فعل هذا تخاذل أصحاب مشاري آل معمر وأتوا إلى تركي وتابعوه، وهرب مشاري على فرسه ومعه فارس أو فارسان، وأقام تركي في ضرمى).

واقعة عرقة البطولية

وكانت لتركي في عرقة واقعة مدهشة، بهرت الناس، فبدأوا يتجمعون حوله، ويصفها لنا إبراهيم بن خميس في كتابه (أسود آل سعود) وصفاً رائعاً، قَدّم له بقوله: هناك أبطال قادوا جيوشهم وشعوبهم نحو النصر، ولكنهم اعتمدوا على قوة الشعب أو قوة الجيش، وأما بطولة تركي فهي من نوع فريد،

لأنه لم يعتمد على الشعب، فالشعب كان مكبلاً بالقيود، ولا على الجيش، فالجيش تحت إمرة الحاكم المحتل، وكان يطارده، لقد اعتمد تركي على الله ثم على نفسه.

ويقص علينا المؤلف ما حدث في (عرقة)، البلدة الواقعة بين الدرعية والرياض، فيقول: إن تركي دخلها منفرداً، لا يحمل إلا سيفه الأجرب[1]، وتوّجه إلى الجامع، ودخله قبل المصلين، القادمين لصلاة الفجر، فجلس في أحد أركانه، متخفياً.. ولمّا أدّى المصلون صلاة الفجر، إذ بأمير عرقة عميل المحتلين، يخطب في المصلين، ويحذّرهم من ـ تركي ـ ويؤكد عليهم بوجوب الاحتياط والإبلاغ عنه فوراً متى رأوه.

ولم يكد أمير عرقة ينتهي من تحذيره للأهالي.. حتى وثب تركي، شاهراً سيفه في وجه الأمير، قائلاً بصوت جهوري قاطع: أنا هنا!

وقطع رأس الأمير، وتملك الناس الرعب، وما عاد يجرؤ أحد على تولي الإمارة في عرقة، فبقيت دون أمير، حتى عاد الحكم إلى أصحابه الشرعيين.

بث روح المقاومة وتكاثر الأنصار:

ويردف المؤلف قائلاً: كانت نتيجة أعمال تركي الفدائية أن بدأ المخلصون، أنصار آل سعود، يتجمعون ويلتفون حوله ويناضلون تحت قيادته، وتألفت المجموعات الفدائية وتكاثر الأنصار، وسرت روح المقاومة إلى جميع المناطق، واستمرت إلى أن تم تحرير البلاد.

(١) بقي السيف الأجرب عند آل سعود، ثم أهداه الأمير محمد بن سعود بن فيصل بن تركي إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حاكم البحرين.

تركي ينتصر بالرعب

روى ابن بشر في أخبار سنة ١٢٤٥هـ. حادثةً تدلّ على أن تركي انتصر بالرعب الذي أحدثه في صفوف أعدائه بمجرد اقترابه منهم، ففي تلك السنة أرسل الإمام تركي ابنه (فيصل) لمحاربة بني خالد والاستيلاء على الأحساء، فأبلى فيصل في قتاله بلاءً حسناً، ولكنه لم يستطع إنجاز الأمر تماماً، فطلب من أبيه المدد، فسار الإمام إلى الأحساء بشرذمة قليلة ونصب خيمته (أمام خيمة محمد بن عريعر، رئيس بني خالد، وكان ذلك كافياً لأن يوقع الفشل فيهم، وأنزل الله النصر لذلك القدوم، وانهزم بنو خالد واستولى تركي على أموالهم، ودخل الأحساء ورتب قصورها وثغورها وضبطها).

ترتيب الكتاب

١ ـ المدخل (أدوار التاريخ السعودي)

ا ـ الدولة السعودية الأولى.

ب ـ الدولة السعودية الثانية.

جـ ـ المملكة العربية السعودية.

الباب الأول:

الإمام تركي بن عبدالله، هو مؤسس الدولة السعودية الثانية والرد على المخالفين.

الباب الثاني:

نسب الإمام تركي (تذكرة الهوية، أبوه، جده، أولاده، إخوته، نسب آل سعود).

الباب الثالث:

أوائل أخبار تركي (دفاعه عن الدرعية، رفضه الاستسلام وهربه واختفاؤه، وعودة إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة فمصر).

الباب الرابع:

أهم الأحداث السياسية في نجد بعد عودة إبراهيم باشا إلى مصر:

ا ـ محاولة ابن معمر في الدرعية، وموقف تركي.

ب ـ محاولة مشاري بن سعود، ومصرعه.

جـ ـ ثورة عنيزة.

الباب الخامس:

خطوات الإمام تركي إلى تحرير نجد وتوحيدها وإنشاء دولة مستقرة.

١ ـ محاربته الترك.

٢ ـ إطفاؤه الفتن الداخلية.

٣ ـ توحيد البلدان.

٤ ـ الفتح المبين: تركي يستولي على الرياض ويتخذها عاصمة.

الباب السادس:

عبقرية الإمام تركي في الحكم.

جوانب من سيرة تركي في مجالسه ومواعظه.

عند غدير وثلان ـ تركي يجمع الأمراء ويحذرهم من ظلم الرعايا.

رسالة جامعة من تركي إلى الشعب والأمراء.

وصف سياسة آل سعود في نجد.

أسلوب تركي في مغازيه.

الجوانب العاطفية في شخصية تركي.

غزوات تركي ضد البدو.

الباب السابع:

فتح الأحساء (نبذة تاريخية عن الأحساء، أهميتها، كيف تم فتحها، روايات ابن بشر وفيلبي ودليل الخليج.

الباب الثامن:

صلات الإمام تركي العربية والدولية (الحجاز، عسير، الخليج العربي ـ رأس الخيمة، مسقط، عجمان وأم القوين، البحرين، البريمي، سياسته تجاه بريطانيا العظمى).

الباب التاسع:

خلال ولاية تركي: ظهور خالد بن سعود المزيف، رحمة بن جابر، هل كان مجاهداً أم كان قرصاناً كما يزعمون؟ وظواهر طبيعية غير مألوفة.

الباب العاشر:

استشهاد الإمام تركي وثأر ابنه الإمام فيصل له، ووصف المعارك في القصر ومصرع القاتل.

أمراء تركي وقضاته:

الملاحـــق

الملحق رقم ١

مقتطفات مما كتبه المؤلفون العرب والأجانب عن جهاد تركي وشخصيته.

الملحق رقم ٢

فترة الفوضى والضياع خلال مقام إبراهيم باشا في نجد وبعد رحيله.

الملحق رقم ٣

مراحل تكوين المملكة العربية السعودية.

الملحق رقم ٤

نظرات خاطفة على تاريخ الرياض وجغرافيتها.

الرياض بين ماضيها التليد وحاضرها المجيد.

الملحق رقم ٥

إمارة الرياض تعيد بناء قصر الحكم والمسجد الجامع وساحة العدل وأجزاء من سور الرياض التاريخي، إحياء لذكرى الإمام تركي بن عبدالله.

الملحق رقم ٦

تاريخ الرياض القديم ـ المشيخات التي قامت في اليمامة.

المدخـــل
أدوار التاريخ السعودي

اتفق المؤرخون المحدثون على تقسيم التاريخ السعودي إلى ثلاثة أدوار:

الدور الأول، وسموه: الدولة السعودية الأولى.

الدور الثاني، وسموه: الدولة السعودية الثانية.

الدور الثالث، وسموه: المملكة العربية السعودية.

واسما الدولتين: السعودية الأولى والسعودية الثانية لم يظهرا إلا حديثاً، وكانا يعرفان بأسماء أخرى، وغلب عليهما اسم (نجد)، ومن هناك سمّى ابن بشر كتابه: **(عنوان المجد، في تاريخ نجد)**

وأما الاسم الثالث، فليس مصطلحاً، تواطأ عليه المؤلفون، ولكنه اسم اختاره البطل الذي حرر أكثر أجزاء الجزيرة العربية ووحدها: الملك عبدالعزيز.

ومن المفارقات التي تسترعي النظر أن ثلاثة من آل سعود، كان كل واحد منهم مؤسساً لدولة، ابتداءً، لا بإرث مباشر عن أب أو أخ أو قريب، ولا بعهدٍ من إمام سبقه في دولة قائمة، وهم:

١ ـ محمد بن سعود، مؤسس الدولة السعودية الأولى.

٢ ـ تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، مؤسس الدولة السعودية الثانية.

٣ ـ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية.

وقـد كانت الإمـامـة، في الـدولة السعودية الأولى، بعد وفاة مؤسسها، انتقلت إلى ابنه عبدالعزيز وسلالته.

وفي الـدولـة السعـودية الثـانية، انتقلت الإمـامـة إلى سلالـة تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود.

وفي المملكة العربية السعودية: انحصر الملك في أولاد الملك عبدالعزيز.

وقد بقيت راية التوحيد: راية الدولة السعودية في كل العهود.

وأما العاصمة فكانت (الدرعية) في الدولة السعودية الأولى، ثم أصبحت (الرياض) هي العـاصمـة، في الـدولة السعودية الثانية، ثم في عهد الملك عبدالعزيز، وحتى اليوم، وإلى ما شاء الله، وكان إختيارها موفقاً جداً.

- ١ -

الدور الأول

الدولة السعودية الأولى

مؤسسها: الإمام محمد بن سعود

ناصر الدعوة السلفية الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وجاء بعده:

١ - ابنه: الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

٢ - ابن عبدالعزيز: الإمام سعود.

٣ - ابن سعود: الإمام عبدالله.

وكانت العاصمة الدرعية.

وقد انتهت الدولة السعودية الأولى، باستيلاء العساكر التركية (التي كان يقودها إبراهيم باشا بن محمد علي، والي السلطان العثماني في مصر) على بلدان نجد ومحاصرة الدرعية وضربها بالمدافع والأسلحة الحديثة واستسلام الإمام عبدالله بن سعود.

ومدة هذه الدولة، من تأسيسها سنة ١١٥٧هـ حتى انهيارها سنة ١٢٣٣هـ ست وسبعون سنة.

نهاية الدولة السعودية الأولى

كان السلطان العثماني مصمماً على استعادة الحجاز من الإمام سعود بن عبدالعزيز، الذي أدخلها في حوزته، وأقسم شرفاؤها وأهلها الايمانَ على طاعته، فأعلن الحرب على الإمام سعود..

لم تحمله على ذلك رغبة في موارد الحجاز، فقد كانت تأخذ منه أكثر مما تعطيه، ولا الإستجابة لشكاوي كثيرة كان يكتبها إليه علماءُ دينٍ وقضاةٌ وشيوخُ طرق يزعمون فيها أن الدعوة «الوهابية» التي ينهض بها أهل نجد تزلزل معتقداتهم ويوشك أصحابها أن ينقضّوا على ضريح النبي.. بعد أن هدموا أضرحة الأولياء، إلى غير ذلك من الدعاوى المضحكة، كقولهم مثلاً إن أصحاب الدعوة السلفية يحرمّون التمسح بقبور الموتى وطلب شفاعتهم أو قضاء حوائجهم؛ فالسلطان جمع مجلس الشورى وتدارس أعضاؤه مبادىء الدعوة السلفية فوجدوها مطابقةً للدين الصحيح.. ووجدوا أقوال خصومها صادرة عن جهل ومصالح مادية يخافون عليها، لا على الدين..

كان السلطان العثماني خليفة المسلمين، وكان أعز ألقابه عليه وأحبها إليه: لقب «حامي الحرمين»، فأراد استبقاء الحرمين تحت حمايته حتى يصون سمعته وهيبتـه في ممالكه وفي سائر بلاد المسلمين، فاستعان بخصوم الدعوة السلفية لتأليب الرأي العام ضد الإمام سعود، وإراقة صبغة دينية على حرب عدوانية يشنها عليه لغاية شخصية.

كانت ظروف السلطان تحول دون قيامه، مباشرةً، بالحرب، فأوكل أمرها إلى واليه على مصر: (محمد علي) الأرناؤطي، وكان يمده دائماً بالخبراء والرجال والأموال والأسلحة والمؤن، ورأى (محمد علي) في هذه الحرب وسيلةً لتقوية

مركزه وتحقيق مطامعه، فنهض بها، وكأنها حربه هو لا حرب السلطان، وحرص على أن تكون أمجادها له شخصياً ولأسرته، فانتدب لقيادة الحملات الكبرى ولديه (طوسون) و(إبراهيم)، وتولى هو نفسه حملةً كبيرة في الحجاز.

.. استعاد (محمد علي) الحجاز، وبذلك تحققت للسلطان غايته، وعاد إليه لقبه الأثير. ولكن محمد علي لم يكتفِ بالاستيلاء على الحجاز، فقد كانت له أطماع خفيّة، وشهوة عارمة إلى أمجاد جديدة، فزيّن للسلطان أن الخطر على الحجاز يبقى ماثلاً، ما بقيت في نجد حكومةٌ قوية تتربص به الدوائر.. فاقتنع السلطان بحجته، لما رأى من نجاح سياسته في الحجاز.

كان الإمام عبدالله والأمير طوسون، نجل محمد علي الثاني، قد تصالحا، على أن يتخلى الإمام عن الحجاز وعسير، وتبقى الدولة السعودية قائمة في حدود الأراضي، التي تقع ما وراء الحناكية.

ولكن محمد علي تنكر لصلح ابنه طوسون ـ الذي ما كان ليتم لولا موافقته المسبقة عليه ـ، ورأى مصلحته أو أطماعه تدعوه إلى محاربة الدولة السعودية العربية، التي تحمل راية التوحيد، وتمضي قدماً في طريق القوة والمجد وجمع العرب في وطن واحد، وذلك من شأنه، في اعتقاده، أن يضعف منزلته عند السلطان وأمام الناس، ولذلك جمع كل ما استطاع جمعه من جيوش ومؤن وأموال وأسلحة حديثة ـ أمدّته بها تركيا أو اشتراها من الغرب ـ وأرسل كل أولئك إلى ابنه البكر إبراهيم باشا، الذي خلف طوسون في قيادة الحملات على جزيرة العرب وطلب منه أن يقاتل السعوديين حتى الهزيمة النهائية والاستيلاء على عاصمتهم وتحطيم ملكهم.

وهكذا زحفت عساكر محمد علي، المؤلفة من ترك وألبان، ومرتزقة من كل الأقطار والألوان، إلى (نجد) وقاتلوا الموحّدين في عدة بلدان قتالاً مزيراً، ثم

حاصروا (الدرعية) ورموها بالقنابل والأسلحة الفتّاكة، فقاومتهم مقاومة بطولية عظيمة، ولكنها اضطرت إلى طلب الصلح، لكثرة الغزاة وتلاحق إمداداتهم وتفوّق أسلحتهم، وخرج الإمام عبدالله إلى معسكر إبراهيم وعقد معه صلحاً بشروط، تكفل الأمان للمقاتلين والسلامة للدرعية وبلدان نجد وأهلها.

ولكن محمد علي وولده إبراهيم لم يحترما شروط الصلح، فأُرسِلَ الإمام عبدالله بن سعود إلى مصر، حيث رحب به محمد علي.. ثم أمر به وبمرافقيه أن يرحلوا بصحبة حراس من جنوده إلى استانبول، وهناك قُتِل الإمام عبدالله، فمات شهيداً، في غير ساحة القتال، وكأنه، كما قال ابن بشر، أراد افتداء بلاده بنفسه. بيد أن عساكر إبراهيم باشا ارتكبت في نجد من الفظائع والجرائم ما يعجز عنه الوصف: تقتيلاً وتعذيباً، وإذلالاً للعلماء والأعيان، وسجناً ونفياً، ونهباً ومصادرةً للأموال، والطعام، وتدميراً للبلدان وتقطيعاً وتحريقاً للأشجار، إلى أمور بالغة الشناعة، قال عنها بعض المؤرخين الغربيين إن التاريخ لم يعرف لها مثيلاً من قبل..

وقد وصفنا في كتابنا عن عهد الإمام عبدالله بن سعود، المعارك التي جرت في بلدان نجد ثم في العاصمة الدرعية وهي معارك غير متكافئة، فمن جهة جيوش محمد علي، المجهزة بأحدث أدوات الفتك والتدمير، يمدّها الترك والغربيون باستمرار، ومن جهة ثانية نجديون شجعان ولكن أسلحتهم قديمة وقليلة بالقياس إلى أسلحة أعدائهم، وبرغم ذلك قاوم النجديون مقاومة باسلة تشرفهم وكبدوا حملات محمد علي وابنيه خسائر جسيمة، ولكنهم اضطروا بأخرة إلى الاستسلام، وكان الاستسلام بشروط، ولكن الغزاة تجاهلوها تماماً، فالإمام عبدالله الذي استدعاه محمد علي إلى مصر وطمأنه، أُرسِلَ إلى استانبول حيث قُتِل، هو ومن كان يرافقه، والدرعية التي ضمنوا للإمام عبدالله صيانتها،

دمروها تدميراً كاملاً، وشعب نجد، الذي تكفلوا بسلامته وأمنه، قتلوا منه ما قتلوا وأذلّوه وجوّعوه وسلبوه، إلى فظائع يعجز عنها الوصف ارتكبوها في كل مكان من نجد.

ونحن ندعو القارىء إلى مراجعة ما كتب عن هذه الأحداث في كتبنا، وكتب الآخرين، ولكننا حرصنا على أن نقدم في هذا الملحق نبذاً مما كتبه المؤرخان الإنجليزيان لوريمر وفيلبي، وشيئاً من أقوال ابن بشر، وقد حرصنا على نقل أقوالهم بنصها، حتى لا ينتقص من قيمتها التلخيص، بنقصٍ أو تبديل، ولتكون مرجعاً لمن شاء.[1]

(١) أنظر كل ذلك في الصفحات ٢٥٨ وما بعدها.

- ٢ -

الدور الثاني

الدولة السعودية الثانية

يتفق أكثر المؤرخين على أن الإمام تركي بن عبدالله، هو:

مؤسس الدولة السعودية الثانية

ولكنهم يختلفون في بدء ولايته، فبعضهم يجعلها تبتدىء سنةَ ظهور تركي في (عرقة)، كما فعل ابن بشر، الذي افتتح الجزء الثاني من تاريخه بسيرة تركي، في سنة ١٢٣٨هـ وما بعدها.

وبعضهم يقول ان ولاية (تركي)، مؤسساً للدولة السعودية الجديدة المستقلة، إنما بدأت في نهاية عام «١٢٤٠هـ»، حين استولى تركي على الرياض نهائيا، واتخذها عاصمة له، وخرج الترك من نجد، ولم يبق لهم فيها أثر.

ويمكننا أن نسمي هذا العام (١٢٤٠هـ): عام الجماعة، لاجتماع البلدان على السمع والطاعة، أو عام التحرير والتوحيد، والاستقرار والإزدهار، ففيه بدأ بناء المساجد والتوسع في العمران، وإقامة أجهزة الدولة، من قضاء وإدارة وجباية وغير ذلك، في ظل الإسلام والنظام، والأمن والأمان.

بدأت ولاية (تركي)، منذ بويع إماماً سنة ١٢٣٨هـ، ولكننا نقبل، تجوزاً، أن نعتبر سنة ولايته للدولة السعودية الثانية سنة (١٢٤٠هـ) لأنها تضم بلدان نجد كلها، باستثناء الاحساء، التي وفّقه الله إلى استعادتها سنة ١٢٤٥، وقد استمرت ولايته حتى استشهاده، في نهاية سنة (١٢٤٩).

وجاء بعد الإمام تركي: ابنه فيصل بن تركي.

ثم ابن فيصل: عبدالله بن فيصل.

ثم ابن فيصل: سعود بن فيصل.

ثم ابن فيصل: عبدالرحمن بن فيصل.

أما ابن فيصل: محمد، فمختلف فيه.

- ٣ -

الدّور الثالث

المملكة العربيّة السعوديّة[1]

ومؤسسها:

١ - الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود.

وخلفه:

٢ - ابنه الملك سعود بن عبدالعزيز.

٣ - ثم ابنه الملك فيصل بن عبدالعزيز.

٤ - ثم ابنه الملك خالد بن عبدالعزيز.

- رحمهم الله -

٥ - ثم ابنه الملك فهد بن عبدالعزيز أطال الله عمره.

---

(١) إقرأ مراحل تكوين المملكة العربية السعودية في الملحق ٣. الصفحات ٢٧٣ ومابعدها.

الباب الأول

الإمام البطل تركي بن عبدالله

مؤسس الدولة السعودية الثانية



- رسم للإمام تركي، كما تخيله الفنان محمد المهداوي -

الإمام تركي بن عبدالله
مؤسس الدولة السعودية الثانية

يتفق جمهور المؤرخين، من عرب وأجانب، على أن الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، هو:

مؤسس الدولة السعودية الثانية.

فكيف استحق هذا اللقب؟

هل توافرت للبلدان التي تولّى الرئاسة والإمامة فيها عناصر الدولة؟

ان الدولة، في مصطلح الحقوق الدستورية، تعني: شعباً يقيم على أرض معينة، ويخضع لسيادته القومية، لا لسيادة أجنبية، وله حكومة وطنية مستقلة، تطبق الشرائع والأنظمة، وتحقق للبلاد العدل والأمن وتجبي الضرائب وتنفقها في الصالح العام، وتعلن الحرب وتعقد الصلح، وقد يضاف إلى ذلك بقاؤها مدة من الزمان كافية لإقامة المؤسسات وأجهزة القضاء والإدارة والأمن والمال وغير ذلك.

لقد سلمنا بأن بلدان نجد، بعد انهيار الدولة السعودية الأولى، كانت في حال وراء الوصف من التفرقة والفوضى والفتن وتسلط عساكر الترك عليها، فهل حررها تركي والمجاهدون معه من أهل نجد؟ وهل وحدها؟ وأقام فيها النظام وأجهزة القضاء والإدارة؟

والجواب على هذه التساؤلات: نعم.

فلننظر الآن إلى حالة نجد في عهد تركي، من خلال أقوال مؤرخ نجدي كبير، عاصر الإمام تركي، و«عاش» أحداث نجد، وهو: ابن بشر.

تحرير البلاد من تسلط الأجانب :

يقول ابن بشر ان المحن التي نزلت بنجد خلال الاحتلال التركي بقيت نحو أربع سنين (حتى أنعش الله أهل نجد بشبل من أشبال ملوكها وسلاطينها، فحاصر العساكر في حصون البلدان، وأخرجهم منها بما معهم من النساء والولدان، وساقهم من أرض نجد إلى مصر، فلم يبق لهم فيها من عين ولا أثر).

توحيد البلاد والقضاء على المتغلبين :

ويردف ابن بشر، قائلا:

(كان تركي شجاعاً مقداماً، مجاهداً في سبيل الله، افتتح قرى نجد واستولى عليها بالحرب والصلح، بعد أن كان بعضهم يضرب رقاب بعض، ورفضوا شعائر الإسلام، وكان كل أمير فيها شاهراً سيفه لمحاربة البلد التي تليه، فجاهد حق الجهاد حتى أطاعت البلاد والعباد، وصاروا كلهم جماعة وبايعوا على السمع والطاعة).

إقامة الشرع والنظام :

كان المحتلون عاثوا في نجد فساداً وأهانوا العلماء وقتلوا ودمروا ونهبوا وجاهروا بالمنكرات وأهملوا أمر الصلاة والصوم والحج، إلى غير ذلك من المفاسد الكبرى التي ذكرنا بعضها في وصفنا لفترة الاحتلال الأجنبي، فأزال تركي كل ذلك، وعين الأمراء والقضاة والجباة والمطاوعة، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأعاد للدين والشرائع مكانتها، وما أعظم قوله في بعض رسائله إلى شعبه:

(أشهد الله عليكم أني بريء من ظلم من ظلمكم، وأنا نصرة لكل صاحب حق وعون لكل مظلوم).

﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾.

(أعزّكم بعد الذلة، وجمعكم بعد الفرقة وكثّركم بعد القلة، وأمنّكم بعد الخوف، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، والسلام).

أعمال تركي الثلاثة الجليلة

وهكذا حقق تركي ثلاثة أعمال جليلة:

١ ـ حرّر البلاد من جيش الاحتلال.

٢ ـ أنقذ البلاد من الزعماء المتقاتلين ووحدها.

٣ ـ أقام في البلاد النظام والعدل والأمن، في ظلال الإسلام.

.. وتحرير البلاد من السلطة الأجنبية وتوحيدها وإقامة العدل والأمن فيها واتخاذ الإسلام نظاماً لها مرعياً.

كل أولئك معناه: **تأسيس الدولة**..

وكل أولئك معناه: **أن تركي هو:**

مؤسس الدولة السعودية الثانية.

المظاهر الثلاثة لولاية تركي

ولقد أحسن المؤرخ مقبل عبدالعزيز الذكير، في تاريخه المخطوط، بإبراز المظاهر الثلاثة الكبار لولاية الإمام تركي بن عبدالله، فقال:

١ ـ **المظهر الأول:** انه يعتبر المؤسس الثاني **لدولة قد اضمحلت من الوجود!**

٢ ـ المظهر الثاني: انتقل الحكم في ولايته من ذرية عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى ذرية عبدالله بن محمد بن سعود.

٣ ـ المظهر الثالث: نقل العاصمة من الدرعية إلى الرياض.

وقد وصف الإمام تركي، فقال:

كان رحمه الله، ممن يضرب بهم المثل بالشجاعة والإقدام، وكل أعماله تشهد له بذلك، وكفى شاهداً حادثته مع السياري، وهجومه على ابن معمر وأعوانه في حريملاء وهو وحده في الحادثتين، مما لم يسبق له نظير من ضروب الشجاعة والإقدام.

وكان ذا فكر ثاقب ورأي صائب، لا تهن عزيمته عند الشدائد، ولا يعرف اليأس سبيلاً إلى قلبه ولا يثنيه الفشل عن قصده.

حارب في الدرعية هو وأولاده مدة الحصار، وقتل من أولاده في هذه الحرب: فهد.

ولما صار الصلح هرب من الدرعية هو وأخوه زيد، وصار يتجول في بلدان نجد، واستولى على كثير من البلدان، **وحارب الترك حتى أخرجهم من نجد.**

فكان هو المؤسس لحكومة آل سعود الثانية، وجمع شتاتها حتى استقامت الأمور، وقد كادت أن تنهار لولا أن قيض الله لها هذا البطل العظيم.

مؤلفان

أنكرا على تركي أنه: مؤسس الدولة السعودية الثانية

هناك مؤلفان ينكران على الإمام تركي بن عبدالله أنه أسس في نجد دولة مستقلة، وهما:

١ ـ الدكتور رجب حرّاز، الذي يقول إن تركي كان تابعاً لباشوية القاهرة، وإن نجداً بقيت (تابعة لباشوية القاهرة ما يقرب من ثلاثة وعشرين عاماً، وفي خلال هذه الفترة، كانت القوات المصرية تحتل نجد أحياناً، وتكتفي حكومة القاهرة بتسلم الجزية منها أحياناً أخرى. . والواقع أنه خلال عشر سنوات من (١٨٢٤م) إلى (١٨٣٤م)، استطاع تركي أن يثبت سلطته في نجد وشواطىء الخليج العربي حتى رأس الحدّ، إلا أنه ظل مع ذلك يدين بالولاء والتبعية لباشوية القاهرة ويدفع لها الجزية).

٢ ـ الدكتور عبدالفتاح حسن أبو عليه، الذي يقول إن حركة تركي لا تمثل أكثر من انتفاضة، ولم تكن الأولى فقد سبقتها انتفاضة مشاري بن سعود، وإن تركي لم يستطع الحكم بنجد، إلا برضاء الترك عنه واعترافه بسيادتهم الإسمية، وإن الاستقلال في نجد لم يتم إلا بعد (جلاء القوات المصرية عن جزيرة العرب عام ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ)، على اثر تطبيق معاهدة لندن. ومن هنا بدأت تتشكل **«الدولة السعودية الثانية»، التي أسسها فيصل، في فترة حكمه الثانية»)**.

ردنا عليهما

أولاً: قصة الجزية:

يستعمل الدكتوران حرّاز وأبو عليه كلمة (الجزية)، في التعبير عن مبلغ يقـولان إن الإمـام تركي كان يدفعه إلى مصر، والإمام فيصل إلى أشراف الحجاز.

فهل يتصور أحد أن إماماً للمسلمين، بل أي مسلم، يقبل بدفع الجزية، والجزية إنما يأخذها المسلمون من غير المسلمين؟

. . وأين وجد المؤلفان اسم هذه الجزية وأخبارها؟

إن أحداً من مؤرخي نجد القدامى لم يأت على ذكر «الجزية» التي كان يدفعها تركي أو فيصل إلى الترك أو إلى مصر أو إلى شرفاء مكة، ولذلك أغفل المؤرخـون الجـدد في كثـرتهم، الكـلام عنهـا، ووجـدنـا في تاريخ نجد «للفاخري» إشارة قصيرة عابرة، قد تفسر بأنها تعني دفع ضريبة، وإن كنا في شك من ذلـك لشـدة غمـوضهـا، وهـذا ما قالـه الفـاخري في أخبار سنة (١٢٤١هـ): (. . . وفيها وصل التقرير من محمد علي، وتقدير الخراج على خمسين ألفاً. . .).

وأكبر الظن أن المؤلفين الفاضلين رجعا إلى مصادر غربية، فأخذا ذلك عن ليدى بلنت، التي زعمت أن نجـداً كانت تدفع الجزية. . وما ندري. . قد يكـون المترجمون نقلوا الكلمة عن بعض المعاجم، التي لا تفرق بين الجزية والضريبـة والأتاوة. . ومهما يكن الأمر، فقد كانت نشرة (الجمعية الجغرافية) المؤرخة في السنة «١٨٧٥م» والصادرة عن وزارة الخارجية الفرنسية أكثر إنصافاً

الفرنسية أكثر إنصافاً للإمام فيصل من الدكتور أبو عليه، لأنها أطلقت على ما يسميه هو الجزية: اسم «المكافأة» أو الفدية، فقالت:

(كان الإمام تركي سعيداً بعودة ابنه «فيصل» من مصر، بعد أسرٍ طالت مدتـه، وكـانت فدية ـ أو ثمن ـ إطلاق سراحه: التعهد بأن تدفع نجد إلى شريف مكة مبلغاً سنوياً مقداره ثلاثون ألف قرش، وقد استمرت نجد بدفع هذا المبلغ حتى سنة ١٢٧١هـ).

ولنفترض أن الإمام تركي (أو الإمام فيصل) دفع مبلغاً إلى محمد على أو إلى شريف مكة، فهل هذا يعني عدم قيام دولة مستقلة في عهديهما؟

يذكر مؤرخو العهد الأموي أن معاوية كان يدفع مبالغ ويقدم هدايا إلى الدولة البيزنطية، ليتقي هجمات جنودها المرتزقة المأجورين على بلاده، خلال حروبه مع الإمام علي، فهل قال أحد أن معاوية كان تابعاً لدولة الروم؟

٢ ـ ضرورة التفريق:

بين الانتفاضة.. وإقامة الدولة السعودية
وبين الرجال الراضين بالاحتلال.. وبين الثائرين عليه

لا يجوز تشبيه عمـل تركي بمحـاولـة ابن‌عريعر في الاحساء، أو محاولة محمد بن مشاري بن معمر ومحاولة مشاري بن سعود في الدرعية.

فإن سميت تلك المحاولات: انتفاضات أو محاولات لتحقيق بناء دولة. . فإنها محاولات لم ترق إلى مستوى إنشاء دولة سعودية حرة، موحدة، في نجد.

ونحن لا نستطيع أن نساوي بين الإمام تركي وبين الأمير ابن معمر أو

رئيس بني خالد ابن عريعر، فتركي كان يحارب ويجاهد لطرد الترك من البلاد، ويقاتل من يواليهم، وأما ابن عريعر فقد استعان بالترك على استعادة الأحساء، وابن معمر أعلن أنه «دولة سلطان» أي أنه من رجال الدولة العلية، وسلم مشاري بن معمر، بعد مبايعته له، إلى الترك، فحبسوه، ومات في حبسهم أو في طريق نفيه إلى مصر!

وأما مشاري بن سعود فشتان بينه وبين تركي، فمشاري لم يظهر حتى اختفى، ولم يخلف وراءه دولة ولا شبه دولة، بينما استقر تركي في الحكم مدة كافية، وأنشأ المؤسسات وأجهزة القضاء والفتوى والإمارات والجباية والتعليم وغير ذلك مما لابد من توافره في كل دولة، تستحق اسم.. دولة!

لم يقل ابن بشر إن سنة مجيء ابن معمر أو مشاري بن معمر إلى الدرعية كان مبدأ دولة، ولكنه افتتح الجزء الثاني من تاريخه بسنة ١٢٣٨هـ. وهي السنة التي ستولى فيها تركي على (عرقة) وأخذ الناس يجتمعون حوله ويبايعونه، فهي في رأيه: **مبدأ دولة تركي.**

ذلك لأن تركي، كما يقول، هو المجاهد الذي أطفأ الله به (نار الفتنة بعد اشتعال ضرامها، وهون على كثير من الناس دينها وإسلامها.. وتعذّرت بين البلدان الأسفار. واتخذوا الجاهلية لهم شعار، فحاصر البدان وقاتل العربان، ودعاهم إلى الجماعة، والسمع والطاعة، حتى ضرب الإسلام بجرانه، وسكنت الأمة في أمنه وأمانه)(١)

لقب الإمامة - لم يلقب ابن بشر بلقب الإمام لا ابن معمر ولا مشاري، ولكنه أطلق هذا اللقب بحق على الإمام تركي.

---

(١) انظر تاريخ ابن بشر، وهو لا يلتزم دائماً بقواعد النحو، وقد يسكن المتحرك، لضرورة السجع..

٣ ـ مرضاة الترك . . عن تركي؟

أما قولهم إن الترك، أو نائبهم محمد علي، كانوا راضين عن تركي ، ولذلك استطاع أن يحكم بلدان نجد، بسبب اعترافه اسمياً بسيادتهم؟

هذا القول . . في نظرنا لايقل غرابةً عن الزعم السابق.

ذلك أن أهل نجد تحملوا من الفظائع التي ارتكبها عساكر إبراهيم باشا ما ليس يحتمل، وكرهوا الترك كراهية لاحدّ لها، فكيف يرضون عن أمير يحكمهم باسم الترك؟

وهل صحيح أن الترك، ولنقل ممثلهم : (محمد علي) كان راضياً عن الإمام تركي ؟

إن بين يدينا وثيقة لا تدع مجالاً للشك في حقيقة العاطفة التي كان يحملها محمد علي في نفسه تجاه تركي . . يقول محمد علي في رسالة بعث بها إلى السلطان العثماني، ما معناه :

(إن تركي ، وهو من البقية الباقية من آل سعود، رجل عنيف، عنيد، وثائر متمرد، ولايمكن الركون إليه . . وإذا كان تركي مخلصاً لنا حقاً ويريد صداقتنا، فما عليه إلا أن يحضر إلى مصر ويقيم فيها مدة من الزمن، ويشاهد عظمة الدولة العلية . . وبعد ذلك نستطيع القول إنه أصبح صديقاً لنا . .)[١]

---

(١) الوثيقة التركية ١٧٣٣٧ في الصفحة التالية.

الوثيقة التركية رقم ١٧٣٣٧

(17337)

الوثيقة التركيّة ١٧٣٣٧

رسالة من محمد علي إلى السلطان العثماني

يحذره فيها من التعاون مع الإمام تركي . . ويشير باستدعائه إلى القاهرة ليقيم فيها ويشاهد عظمة الدولة العثمانية . . فيلين طبعه وتتغير مفاهيمه ويسهل بعد ذلك تأميره على نجد!

بين الوثائق التاريخية المحفوظة في استانبول وثيقة تحمل الرقم (١٧٣٣٧)، وهي رسال بعث بها والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان العثماني سنة ١٢٤١هـ للهجرة.

تسلم هذه الرسالةِ رئيس الوزراء ورفعها إلى السلطان بحاشية يقول فيها:

كان «تركي» أرسل إلى مقامكم، بواسطة والي بغداد، كتاباً يطلب فيه تولي أمور نجد . . وبما أن هذه الأمور سبق أن أوكلت إلى محمد علي باشا، رأيت إبلاغه مطالب تركي، فأجابني بهذه الرسالة التي أرفعها إلى حضرة أفندينا ليرى فيها رأيه ويأمر أمره.

رسالة محمد علي:

وهذه ترجمة الرسالة في شيء من التصرف:

«. . . يقول تركي في رسالته إلى أفندينا ـ وهي مكتوبة باللغة العربية ولكنها ترجمت إلى التركية ـ إن عشائر نجد في نزاع وصراع دائمين. . والاعتداءات متلاحقة. . والخطر على الحجاج مستمر. . فهم مهددون في أنفسهم وفي أموالهم. . ولا سبيل إلى إقرار الأمن في نصابه إلا بقيام زعيم يضبط الأمور ويسهر على المصلحة العامة، ولذلك يرشح نفسه لهذه المهمة الكبرى.

ولقد سُئِلتُ عن رأيي في مطلب تركي، فأقول: إن تركي ـ وهو من البقية الباقية من آل سعود ـ رجل عنيف، عنيد، شديد، ويضاف إلى ذلك أنه ثائر متمرد، فلا يمكن الركون إليه والاعتماد عليه!

«إن كان تركي مخلصاً حقاً، ويريد صداقتنا، فما عليه إلا أن يحضر إلى مصر ويقيم فيها مدة من الزمن، ويشاهد عظمة الدولة العلية. . وبعد ذلك يستطيع القول إنه أصبح صديقاً لنا، ويلتمس منا ما يريد»!

إن أمور نجد أنيطت بعبدكم. . وكنت أنتظر الوقت الملائم للقيام بما يجب عليّ لمعالجتها. . وقد تمّ لي بعون الله التغلب على كل المصاعب والوصول إلى حلول لكل المشكلات، وسأقوم فوراً باتخاذ التدابير اللازمة لتأديب الجماعات المتمردة في نجد، مولياً ذلك كل جهد وكل عناية.

حاشية السلطان العثماني:

وقرئت رسالة «محمد علي» على السلطان، فكتب عليها بخط يده ما معناه:

«إن أحوال نجد معروفة، ولولا انشغالنا بالمعارك لعرفنا كيف نسيطر عليها، ولكن مشاغلنا لا توجب علينا إهمال متابعة ما يجري في ذلك الإقليم».

ونحن نعلم أن تركي لم يفكر قط في الذهاب إلى مصر، ليصبح صديقاً لمحمد علي ومعجباً بعظمة الدولة العلية. . وهو الذي يؤنب ابن عمه مشاري، لاقامته في مصر، في قصيدته الرائية المشهورة:

يا حيف يا خطو الشجاع المضرّا   في مصر مملوك لحمر العتاري
من الزاد غاد له سنام وسرّا   من الذل شبعان، من العز عاري!

وكيف يرضى الترك عن (تركي) وهو الذي يقاتلهم، ويقاتل الحكام الإقليميين الذين يوالونهم ويستعينون بهم للاحتفاظ بسيطرتهم على الرئاسة في بلدان يجتهدون في استبقائها لأنفسهم ومطامعهم منفصلة عن سائر بلدان نجد؟

ولذلك قال المؤرخ الفرنسي توميش:

(كان لتركي فضل كبير. . لأنه حقق في ظروف صعبة بعث المملكة الوهابية من أنقاضها، ووحَّدَ البلاد النجدية ووسعها حتى الأحساء. . ووقف أمام مطامع كثير من الزعماء المحليين، الذين استغل الترك بعضهم.

والخلاصة كان تركي في عيون الشعب الوارث الشرعي، والمقاوم للاحتلال).

٤ ـ فترة الاحتلال المصري. . هل دامت خلال ولاية تركي؟

يقول د. أبو عليه إن القوات المصرية لم يتم جلاؤها إلا سنة ١٢٥٦هـ، ولذلك لم تتشكل في نجد دولة مستقلة، إلا في الفترة الثانية من ولاية فيصل بن تركي ـ سنة ١٢٥٩هـ ـ أي بعد تطبيق معاهدة لندن!

ويقول د. حراز إن نجداً بقيت ثلاثاً وعشرين سنة تابعة لباشوية القاهرة، وفي خلال هذه الفترة، كانت القوات المصرية تحتل نجد أحياناً، وتكتفي

القاهرة بتسلم الجزية منها أحياناً.

ولعل زعم الدكتور حراز منقول عن كتاب ليدي بلنت «حج إلى نجد»، فهي تقول: (خلال ثلاث وعشرين سنة أعقبت تدمير الدرعية، كانت نجد إقليماً تابعاً لمصر، يحتله جنود مصريون أحياناً، وأحياناً يدفع الجزية..).

وفي رأينا أن القولين عاريان عن الصحة!

فالحقيقة الثابتة، أن محمد علي قرر الجلاء عن نجد منذ سنة (١٢٣٦هـ)، بناءً على أمر السلطان العثماني، الذي اكتفى باستعادة الحجاز، ليبقى له لقبه (حامي الحرمين) ويرضي المسلمين التابعين له، وقد أصدر أمره بالانسحاب من نجد والاكتفاء بالحجاز، وكتب على طلب رفع إليه، من جانب محمد علي، الذي كان حريصاً على البقاء في نجد، كلمات حاسمة خلاصتها:

(المحافظة على الحرمين الشريفين، وهما نصب أعين المؤمنين والعودة إلى المدينة المنورة، وهذا ما كنت أصدرت إرادتي بشأنه). (١)

وأما معاهدة لندن، فلا يعني عقدها سنة ١٢٥٦هـ انه لم تكن في نجد دولة سعودية جلا الأتراك والمصريون عنها، فبنود تلك المعاهدة كانت تشمل مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية.

جاء في دليل الخليج الفارسي:

(استولى «تركي» على السلطة بطرده الحامية المصرية من الرياض. وقد حصل بعد ذلك مباشرة على اعتراف أنصاره وأهل بلده به أميراً للوهابيين، ويبدو أن تركي، بعد أن حقق هذا النجاح الأول، راح يواصل عملياته الحربية غرباً.

---

(١) أنظر ترجمة رسالتي محمد علي وإبراهيم وملاحظات السلطان العثماني في الصفحات ٤١ وما بعدها.

والحقيقة أننا لا نجد في هذا الوقت **إشارة لأي حامية مصرية في أي موقع بالقصيم، ونستطيع أن نستنتج أن القوات المصرية قد طردت من نجد كلها)**.

وجاء في كتاب «عرض المملكة العربية السعودية» - وهو التقرير الرسمي، الحافل بالوثائق، الذي قدمته الحكومة السعودية إلى لجنة التحكيم الدولية التي كانت تنظر في النزاع حول واحة البريمي - ما يأتي:

اطمأن محمد علي (إلى بلوغ غايته، ولم يعد لاحتلال نجد في نظره قيمة حربية أو اقتصادية، فاكتفى بوضع حاميات صغيرة من الجنود غير النظاميين في مواضع متفرقة من نجد.

وقد دام احتلال قوات محمد علي الفعلي لنجد سنتين فقط).

رأي خصـم:

وهذا كيلي Kelly مؤلف (حدود العربية الشرقية)، الذي حاول جهده أن يثبت أن البريمي لم تكن قط تابعة للسعوديين، لا يرى مندوحة عن الاعتراف بسيادة الإمام تركي على بلاد نجد، فيقول بأسلوبه المعروف:

(أعاد الأمير الجديد تركي بن عبدالله آل سعود الحكم الوهابي إلى وسط الجزيرة وشرقها، وذلك مابين سنة ١٨٢٤هـ وسنة ١٨٣٤هـ.

في السنة الأولى: طرد الحامية المصرية من الرياض، الواقعة إلى جنوبي الدرعية، واتخذ الرياض عاصمة له.

وفي سنة ١٨٣٠هـ استعاد الأحساء، وأخذ يمدّ بصره شرقاً وجنوباً إلى البحرين وقطر وعمان). [١]

---

(١) انظر كتابه: Eastern Arabian Frontiers

رأي فيلبي:

ويقول «فيلبي» وهو أكثر الغربيين اهتماماً بالتاريخ السعودي:

(تعتبر بداية حكم تركي في نجد عند وصوله إلى عرقة في أيار من سنة ١٨٢٣م، أما تمام سيطرته فقد تحقق عندما استسلمت حامية الرياض في تشرين الأول سنة ١٨٢٤م - ١٢٤٠هـ).

والخلاصة: يجب علينا عدم استعمال كلمة «الجزية»، أخذاً عن مصادر وترجمات مشبوهة، وأن نفرق بين مطامع بعض الزعماء، وبين طموح تركي النبيل وجهاده الحق، وأن نذكر بإعجاب الفترة التي صعد بها تركي ببلاده إلى أوج المجد، وأنشأ الدولة السعودية الثانية، بعد فترة من الفتن والضياع.

ان تأسيس دولة، كما قلنا في وصفنا للدولة السعودية الأولى، التي أسسها محمد بن سعود، لا يعني وصولها إلى أكمل حالاتها في توسعها واستقرارها، وإنما يعني وضع الأسس التي يتم بناء الدولة عليها ويتكامل شيئاً بعد شيء، ويتابع الخلف ما تركه لهم السلف:

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني، ونفعل مثلما فعلوا

ونختم ردنا بكلمة لفيلبي، الذي يُعَدُّ أكثر المؤلفين الأجانب عنايةً بالتاريخ السعودي، لعلها تزيدنا تقديراً لِصنيع تركي العظيم، قال:

(كان حكم تركي، القصير الأمد، ذا أثر عظيم في استعادة بعض أمجاد الدولة الوهابية، التي تمزقت شذر مذر، وإعادة مركز آل سعود السامي، فقد رَسَّخَ تركي مرةً ثانية الأسس التي قامت عليها الدولة، وسارت عليها العائلة المالكة في حكمها خلال نصف القرن الذي سبق كارثة الدرعية، وبفضل ذلك تمّ له: **إنشاء تلك الدولة، التي امتدّت حدودها، فأصبحت امبراطورية.**

إن من الحق القول بأنه لولا صبر تركي وجهوده المتواصلة في سبيل إصلاح التركة التي تسلمها مثقلة بالخراب والدمار، لما قامت الدولة السعودية العربية في عهد حفيده العظيم). (١)

---

(١) انظر كتاب فيلبي «تاريخ نجد»، ترجمة الدويدري، وقد أحسن بترجمة هذا الكتاب إلى العربية، وحبذا لو يسلمه، قبل إعادة طبعه، إلى من يعيد فيه النظر، ويضبط أسماء الرجال والأماكن الواردة فيه، فقد جاءت مشوهة جداً.

وقد ردّ الدكتور عبدالله صالح العثيمين على الدكتور أبو عليه الذي قال إن الإمام تركي إنما قام بانتفاضة ولم يؤسس دولة لأنه كان تابعا للترك، فقد نجح تركي في إبعاد قوات الترك والمصريين عن نجد، كما رد على زعمه أن فيصل في ولايته الثانية هو الذي أسس الدولة لأن الترك كانوا قد اضطروا إلى الجلاء، وأردف قائلا: (إذا وصح هذا تبين للقارىء ضعف حجة المؤلف الكريم في محاولته الردّ على الدكتور منير العجلاني ومن يرى رأيه، الذي يعتبرون تركي بن عبدالله المؤسس للدولة السعودية الثانية..)

راجع مجلة الدارة ـ عدد ربيع الأول ١٣٨٧هـ

رسالتان من محمد علي وابراهيم باشا ..
وتوجيه السلطان بضرورة الجلاء عن نجد

(١)
كتاب إبراهيم باشا إلى أبيه

ـ ترجمة الرسالة ـ

حضرة ولي النعم الوالد المكرم صاحب الدولة.

لقد أُضفي على نظام الدرعية بعد الفتح ما يقتضي من الصورة الحسنة، وقد أخذت علماً بما قضت به الإرادة السنية بالعودة إلى المدينة المنورة، كما تفهمت مضامين القائمة العلية المفصلة والمشروحة الواردة قبل هذا التاريخ والصحيفة المشعرة بقرب صدور أمر حضرة مقام الصدارة العلية، والتي بعث بها مظروفة، كل هذا وما يتعلق به من أشغال وشئون صار قرين فهم عبدكم. ولكن . . ينبغي تكوين فكرة صحيحة عن نجد . . فقد مضى على ظهور الدعوة ـ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ **اثنتان وتسعون سنة** وهي مدة طويلة . . وقد تمكن رئيس نجد ـ الذي اشتهر بين العرب بلقب الأمارة ـ أن يتسلط على بلد بعد بلد، هذا إلى جانب انه أصبح وجماعته ذوي علم وخبرة كاملة بالفن الحربي الذي أتقنوه لكثرة ما خاضوا من الحروب والمعارك، إلا أن قوة الحضرة

السلطانية العلية وسمو طالعها قد جعلت هذه الجماعات في حالة بؤس. ومع أنهم أصبحوا كالحفاة المتسكعين. . فإنه لا يزال من الضروري العمل على استئصالهم جملة، وبتر أكتافهم وأطرافهم لأنها عروق فساد. . وإذا لم يجر ذلك فإن غائلتهم تبقى كامنة كما أنها لا تبقى منحصرة في طرف أو جهة واحدة. وإني بعد عودتي لاحظت أن عدداً من الذين يُدْعون «أمراء». . يظهرون هنا وهناك، وينشرون الفساد في هذه الجهات، ويحرضون على الفتنة، فإذا تم لهم ما أرادوا فإن ذلك سيكون باعثاً على تلف المقدار الكبير من الأموال والعساكر، ولن يستطاع التغلب عليهم بعد استفحال خطرهم، ولا وضع حد لتحركاتهم.

إن مشاق السفر في هذه الصحارى والبوادي جعلتني مسلوب الراحة على صورة ظاهرة أكيدة، ومع ذلك فإنني من أجل تأمين استتباب الأمن وحسن النظام في هذه المناطق اخترت تمديد مدة إقامتي ثلاثة أو أربعة أشهر أيضاً. وبما أنه واضح وجلي بأن تأمين النظام في مثل هذه النواحي والجهات ذات الخطورة الظاهرة بالنسبة للدولة العلية، هو من مقتضيات الإخلاص في العمل وتأدية الوظيفة على أكمل وجوهها، لذا بادرت بوصف الحالة وتبيانها، وان شاء الله تعالى (حين تقفون على صورة الحال والكيفية من النتائج التحقيقية المسرودة في تقرير هذا العاجز خادمكم، وحين يكون ذلك موضع علمكم العالي، مشمولاً بالفكرة والرأي الرفيعين) تأمرون بتعيين يوم الحركة، وما دام هناك احتمال بتحديد فترة من الزمن للإمعان بالتدبير والروية، فإنني ألتمس توجيه الهمم العلية السنية لسرعة إفادتي وإشعاري ملتمساً أن يكون خادمكم العاجز موضع توجه وعناية دولتكم وأبوتكم ذات العطف والرأفة وكل شيء مرهون بإرادة سيدي ولي النعم، أفندم.

خاتم إبراهيم

(٢)

كتاب محمد علي إلى السلطان

ـ ترجمة الرسالة ـ

حضرة صاحب الدولة والعناية والعطوفة والرأفة والأبهة، ولي النعم عالي الهمم كثير اللطف والكرم، مليكي المعظم.

بناءً على الأمر العالي الذي تشرفت بأخذه أنا خادمكم في حينه، لقد جرى فوراً إرسال أمر «فرمان» حضرة ولي النعم ـ المتضمن الإرادة السنية الشاهانية بخصوص عدم التقاعس عن المحافظة على الحرمين الشريفين وملاحظة ضرورة تأمين حسن النظام في تلك الأطراف والجهات ـ إلى عبدكم إبراهيم باشا والي جدة، كما أمر بموجب الإرادة الشريفة بأن لا يتقدم خطوة أخرى إلى أية جهة، بعد انتهاء «مصلحة» الدرعية، وأن يعود إلى المدينة المنورة، ولقد حررت له ورقة بهذا الصدد ورُبطت بذيل الأمر الكريم و(الفرمان) الشاهاني المشار إليه.

وقد وضح من التحرير الوارد الآن من الموما إليه (يعني إبراهيم باشا) ومن التقرير الشفهي الذي سمعته من كاتب الخزينة عبدكم محمد أفندي الذي وصل حاملاً أخبار القبض على (عبدالله).. أنه إذا لم يجرِ القضاء على حركات الأمراء «النجديين» المقيمين بتلك الأطراف (يقصد حوالي الدرعية).. فإن القبض على (عبدالله) وتدمير الدرعية فقط، لا يكفيان لرد غائلة أولئك المتمردين. ولذلك يجب أن يعود (إبراهيم) ليؤمن استقرار العربان وربط أمراء نجد الموجودين بتلك الأطراف بالسلطة وتثبيت خضوعهم، إذ بدون ذلك تبقى هذه الطائفة العنيفة التي اعتادت منذ مدة وفيرة على مناوأة الحكومة.. متحركة

وعاملة على إحداث التشويش دون هوادة أو سكون. . وهذا ظاهر واضح لا يحتاج إلى تأكيد أو برهان. وإن دفع غائلتهم وضبط الأماكن التي بيدهم وإدخالها في حيز التبعية هي الغاية المنشودة والمصلحة تقتضي ذلك. وقد تلف حتى الآن هذا العدد الوافر من الأرواح. . وأصبح تنظيم الأمور وشيك الحصول، ولا يجوز تركهم على هذه الحالة لما يترتب على ذلك من الضرر العظيم.

وإن ما يرمي إليه هذا العبد العاجز هو توطيد نفوذ عالي الشأن حضرة الشاهنشاه ذي العظمة والمهابة ولي النعم أفندينا ومليكنا المعظم، على الوجه الأتم والأكمل، وأن أظل مشمولاً بالعناية الملوكانية. . وإذا صدرت الإرادة المطاعة بالعمل على ربط تلك الأماكن والمواقع بنظام وتدبير حسن، وهو ما تقتضيه المصلحة، ألتمس الأمر بإشعاري بذلك. وإن قصد هذا العاجز هو بذل الروح في خدمة المليك الأكرم، والله يعلم أنه لا بغية لي سوى ذلك، وبعد أن تتم عملية وضع النظام هذه في المواقع والجهات المذكورة إذا رأت الذات العلية السلطانية أن تجعل أمر إدارتها منوطاً بحضرة الوزير سمير المعالي وصاحب العطوفة خادمكم والي بغداد أو تولية شخص آخر من خدم الحضرة السلطانية، فلها الأمر والإرادة.

وإلى حين ورود الإرادة السنية الكريمة بذلك ولكي لا يتوقف العمل ويتعطل فإني أنا خادمكم قد نبهت على خادمكم إبراهيم باشا المشار إليه أن لا ينقطع عن المبادرة لتأمين النظام في الأماكن المذكورة وما يمكن أن يحصل من ثغرات وربطها وضبطها على أحسن صورة، وقد سارعت بتقديم عريضتي هذه إلى المقام العالي، السلطاني، ولي النعم، ولدى شرف وصولها إن شاء الله تعالى، وإحاطة العلم العالي بما جاء بها وصدور التوجيه الكريم السامي الصادر

عن النورانية السنية والكرامة الشاهنشاهية، سيحظى خادمكم بالإفادة والأوامر العلية. والأمنية الغالية هي نوال مرضاة وحسن توجيه حضرة سيدي ولي النعم صاحب الدولة والعناية والعطوفة والرأفة والأبهة العالية. . أفندينا المعظم.(١)

٢٧ رجب ٢٣٣

خاتم محمد علي

(٣)

ملاحظات السلطان العثماني

وأمره بترك نجد والاحتفاظ بالحرمين فقط

رفع رئيس الوزراء كتابي محمد علي وولده إبراهيم إلى السلطان العثماني، وأخبره بما تم قبل ذلك من مخابرات بينه وبين محمد علي وخلاصتها: وجوب عودة إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة وعدم الاستمرار في التقدم داخل البلاد العربية.

وقد كتب السلطان الملاحظات الآتية (وهي في الواقع توكيد لرغبته في ترك النجديين أحراراً في معتقداتهم، والاحتفاظ بالحرمين) وهذه ترجمتها:

إن هذه المراسلات الواردة من والي مصر والتحارير المرسلة إلى المشار إليه من إبراهيم باشا حظيت جميعها باطلاع أنظاري الهمايونية السلطانية العلية. إن ما قلته آنفاً عن وجوب عودة إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة بعد أن يكون أتم إنجاز هذه المصلحة وبأن لا يتقدم إلى الأمام، لا يعني أن يترك الدرعية على ما هي عليه فوراً، بعد تكبده تلك المشاق الكثيرة، فلا ريب في أنها إما يجب أن

تهدم، أو إذا كان من اللازم المحافظة عليها يجب ترك أحد الرجال (القادة) فيها وأخذ المدافع الموجودة أو تركها، كما يجب ربط هذه القرية بنظام حسن على قدر الإمكان. لقد كان المشار إليه (يعني إبراهيم باشا) حاصر فيما سبق الدرعية وفي تلك الأثناء كان استأذن بالرجوع بعد ختام (المصلحة)! إن قضية المتابعة والذهاب إلى سائر الأماكن بعد ضبط الدرعية والعمل على إخضاعها الذي يتطلب مدة طويلة الأمد، وتوطيد النظام في كافة قطاع نجد هو بمثابة الأمل الطويل. . إلا أن المطلوب الأساسي والأمنية الأصلية بهذا المجال هي المحافظة على الحرمين الشريفين وهما نصب أعين المؤمنين والعودة إلى المدينة المنورة وهذا ما كنت أصدرت إرادتي بشأنه.

إن «المذهب» الذي اعتنقه عربان نجد. . إنما جرى اعتناقهم له منذ عدد من السنين وفير، وإن رجوعهم عن هذه العقيدة التي اتخذوها أمر مشكل عسير. . والمصلحة العامة توجب العمل على تأمين حسن النظام في الدرعية على قدر الإمكان **والعودة إلى المدينة المنورة والتثبت بالمحافظة عليها**، كما أنه من الضروري والواجب أن تمنح العساكر الإسلامية التي تحملت مشقات عظيمة منذ زمن طويل فرصة للإستراحة وأن تؤمن راحتهم نوعاً ما. وقد صدرت إرادتنا الهمايونة (السلطانية) بكتابة جواب على هذا النحو لتفهم إرادتنا السنية. (١)

الباب الثاني

نســب الامــام تركــي

صحيفة الهوية

الاسم : تركي

الأب : الأمير عبدالله

الجد : الإمام محمد بن سعود

سنة الولادة : ١١٨٣هـ تخمينًا

بدء الولاية : ١٢٣٨هـ

بدء الإمامة، باجماع : (١٢٤٠هـ)

سنة الوفاة : سنة ١٢٤٩هـ - في آخر جمعة من شهر ذي الحجة.

مدة ولايته : إحدى عشرة سنة.

أبناؤه الذين عاشوا بعده :

الإمام فيصل.

والأمير جلوي.

والأمير عبدالله.

متى ولد الإمام تركي، ومتى توفي؟

لم يذكر ابن بشر ولادة تركي.

وقال الذكير انه لم يستطع معرفة عمر تركي، حين وفاته.

ويقول فيلبي ان تركي كان متقدماً في السن (حينما اغتيل، بيد اننا لا نعرف تاريخ مولده، إلا بالحدس والتخمين).

ثم يعـود فيلبي فيقـول ان تركي ظهر لأول مرة (في تاريخ الوهابية سنة ١٧٤٦م عنـدمـا رافق الحملة التي سيرت لانقاذ منفوحة من حصار دهام بن دواس، ومن المعقول أن عمره آنذاك كان عشرين عاما، فيكون عمره حين وافته المنية ٨٦ سنة).

ويقول فيلبي في مكان آخر: (لا يمكن أن يكون عمر تركي أقل من ٨٠ سنة، حين اغتياله، وطول أعمار حكام السعودية البارزين ظاهرة غريبة).

وفي اعتقادنا أن حسابات وتخمينات فيلبي، كلها، مغلوطة.

فحملة سنة ١٧٤٦م، التي يدّعي اشتراك تركي فيها، حدثت قبل ولادة تركي.

ولــو صح أن تركـي كان يومئــذ في الـعشرين، أي أنــه ولــد سنــة ١٧٢٦م/١١٤٩هـ. لكان عمره عند وفاته سنة ١٢٤٩هـ: مائة سنة.

وتركي، فيما نعلم، صارع البطل السيارى، في ضرمى، سنة ١٢٣٩، وغلبه وقتله، فهل يعقل أن يفعل ذلك، لو كان يومئذ في التسعين من العمر؟

ان المعـركة المشهورة التي اشترك فيها تركي، هي معركة الدرعية، سنة ١٢٣٣هـ، وقد اشترك فيها هو وولده، فلنفترض أنه كان حينئذٍ في الخمسين من عمره، فتكون ولادته سنة ١١٨٣هـ.

وتكون سنه عند وفاته عام ١٢٤٩هـ - ٦٦ سنة، والله أعلم.

جده:

الإمام محمد بن سعود

مؤسس الدولة السعودية الأولى.

وقد تحدثنا عن وقائعه وأخباره وصفاته التي امتاز بها في كتابنا: (تاريخ الدولة السعودية الأولى ـ عهد التأسيس)(١)

أبوه: الأمير عبدالله بن الإمام محمد بن سعود

كان الأمير عبدالله من أمراء نجد الشجعان المشهورين، ولذلك يصح أن يقال في تركي انه ورث الشجاعة كابراً عن كابر، أو أبا عن جد، وقد أثنى عليه ابن بشر، فقال: (.. ومن أبناء محمد بن سعود: عبدالله بن محمد بن سعود، الذي وازر أخاه عبدالعزيز، وقاتل معه أشدّ القتال، وصار قائداً للفرسان والأبطال، وصارت له شهرة عظيمة وقوة وعزيمة، فكم من كتيبة كرّ عليها وفرّقها، وكم من فلّ جمعها ومزّقها).

وقائع الأمير عبدالله بن محمد

في سنة ١١٥٩هـ هاجم دهام بن دواس بلدة منفوحة، فجاءت إليها نجدة من الدرعية، ومعهم عبدالله بن محمد بن سعود، وقذف الله الرعب في قلب ابن دواس فهرب هو وجماعته، وجرح ابن دواس جرحين.

محاربة أهل الفتنة في حرمة والخرج

في أخبار سنة ١١٩١هـ:

هاجم عبدالله بن محمد بن سعود بلدة حرمة بأمر أخيه عبدالعزيز فسار عبـدالله بالمسلمـين، (وصار مسيرهم مع الحيسية على الحمادة، لتعمي عنهم الأخبـار حتى يبغتوهـم في بلادهم، فأدلجوا بالليل والنهار فأتوا بلاد حرمة في الليل وهم هاجعـون، فطرق عبدالله رجالا في بروج البلد ومواقفها التي تلي القلعـة وفي البروج التي تقابل بيبان القلعة والجموع في متارسها، فلما انفجر الصبح أمر عبدالله على كل صاحب بندق أن يثورها فثوروا البنادق دفعة واحدة فارتجت البلد بأهلهـا وأسقط بعض الحـوامـل ففزعوا وإذا البلاد قد ضبطت عليهم وليس لهم قدرة ولا مخرج، فأرسلوا إلى الأمير عبدالله يستخبرونه الخبر، فقال:

(لا بأس عليكم ولا خوف، ولكن أميركم عثمان ذكر عنكم أشياء توجب المخالفة، وادعى الحذر على نفسه منكم وعدم القدرة على إنفاذ أمر الدين في بلدكم، ولا يستقر له فيها قرار إلا برهائن رجال من كباركم نأخذها معنا حتى تخضع رقاب السفهاء ويضرب الدين عندكم بجرانه)!

فلما رأى أهل البلد ذلك لم يكن لهم بد من الموافقة، وطلب أربعة رجال من آل مدلـج رؤسـاء أهـل البلد، وهم حمد بن عبـدالله أخو الأمير عثمان، ومحمد بن إبراهيم، وعلي بن عثمان الحسيني، ومدلج المعيبي، فخرج إليه هؤلاء الأربعة، ورحل بهم معه إلى الدرعية.

وفي عام ١١٩٢هـ نازل بلد حرمـة وقتل من أهلها عدة رجال لنقضهم

العهد وفي عام ١١٩٤هـ غزا الزلفي، وفي سنة ١١٩٥هـ أغار على بلد اليمامة فولى أهلها منهزمين وقتل منهم نحو عشرين، ثم أغار على سروح أهل الحريق وقتل من رجال الحرق عشرين رجلاً.

حضور عبدالله مصرع أخيه وجرحه

في سنة ١٢١٨هـ جاء رجل من أهل العراق إلى الدرعية، في ملابس كردي، ليظهر أنه من أهل السنة، وكان يتظاهر بالتقوى والصلاح، ويداوم على الصلاة في المسجد الذي يصلي فيه الإمام عبدالعزيز بن محمد، ودخل المسجد يوماً يصلي وراء الإمام وفجأة انقض على الإمام عبدالعزيز وطعنه بخنجر طعناً مميتاً حتى قتله، ثم أهوى إلى أخيه عبدالله الذي كان يصلي إلى جانبه (وبرك عليه ليطعنه، فنهض عليه وتصارعا، وجرح عبدالله جرحاً شديداً، ثم ان عبدالله صرعه وضربه بالسيف، وتكاثر عليه الناس وقتلوه، وقد تبين لهم وجه الأمير). (١)

وفاة عبدالله

لم يذكر ابن بشر وفاة عبدالله، وذكرها ابن عيسى فقال:

(في سنة ١٢٣٠هـ توفي عبدالله بن محمد بن سعود في الدرعية، رحمه الله تعالى) وتكون وفاته قبل أن تصل حملة محمد علي وابنه إبراهيم إلى الدرعية.

---

(١) وقائع تركي وأخباره نقلناها بتصرف يسير عن ابن بشر.

أولاد عبدالله بن محمد

يقول ابن بشر: (كان لعبدالله بن محمد أولاد، مات أكثرهم في مصر، ومنهم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله، وكان مؤازراً لابن عمه فيصل في الرياض).

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف رحمه الله، في حاشيته على ابن بشر:

(أنجب عبدالله خمسة أبناء، هم:

١ - الإمام تركي.

٢ - إبراهيم، والد عبدالله بن إبراهيم، الملقب «صنيتان»، وقد انقرضت ذرية صنيتان.

٣ - سعود، قتل في معارك الدرعية، وكذلك ابنه محمد.

٤ - محمد، قتل في معارك الدرعية.

٥ - زيد).

وأنكر الشيخ عبدالرحمن قول ابن بشر أن أكثر أولاد عبدالله بن محمد ماتوا في مصر.

نسب الإمام تركي

هو الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع .

أما آباء مانع حتى عدنان ، فقد تنوسيت أسماؤهم ، ولم تحفظ وتضبط لكثرة الغزوات والتنقلات وتقادم الزمن ، وإن كان الإجماع منعقداً على صحة انتساب آل سعود إلى ربيعة وعدنان .

ونسب آل سعود يلتقي بنسب النبى محمد ﷺ في نزار.

الطرق :

هناك عدة طرق اتبعها النسابون والمؤرخون في استقصاء أسماء آباء مانع ، كلها ، أو أكثرها ، وإليك بعض أقوالهم :

النسبة الذهلية الشيبانيّة :

يقول راشد الحنبلي مؤلف كتاب (مثير الوجد في أنساب أهل نجد) إنهم ينتسبون إلى ذهل بن شيبان ، وعدد أسماء آباء مانع حتى عدنان فاسماعيل فآدم ، عليه السلام .

وأخذ ذلك عنه كلٌ من سليمان الدخيل وأمين الريحاني وأمين التميمي والشيخ عبدالعزيز خلف وخير الدين الزركلي وغيرهم ، وربما رجع بعضهم عن هذه النسبة بعد أن تحققوا عدم صحتها ، وكنا بيّنا ذلك في كتابنا : (تاريخ الدولة السعودية الأولى ـ الجزء الأول ـ عهد التأسيس) .

النسبة الحنفية :

كانت عشيرة مانع ، جد آل سعود، تعرف بالدروع ، أو آل درع ، كما يقول ابن بشر، ويردف إلى ذلك أنها فرع من حنيفة ، استناداً إلى رواية ابن سلوم عن ابن خنين قاضي الخرج ، وقد تناقلها عنه مؤلفون آخرون في نجد ، الذين اعتبروا قوله . . القول الفصل ، مع أنه ناقل ، يخطىء ويصيب .

النسبة العنزية :

ينسب بعض المؤلفين ، ومنهم ، عمر رضا كحالة ، وأمين سعيد ، ومحمد آل عبدالقادر الأحسائي وحمد بن إبراهيم الحقيل ، آل سعود إلى عنزة بن أسد .

ويبدو أن هؤلاء المؤلفين رجعوا في اجتهادهم إلى الكتب القديمة ، التي تتحدث عن عنزة بن أسد ، فظنوا أن العشائر العنزية في الوقت الحاضر تتحدر منها ، والأرجح أنها تتحدر من وائل .

عنزيون وائليون

إن كانت النسبة الشيبانية متهافتة ، والنسبة الحنفية وكذلك النسبة العنزية الأسدية مجرد رأي . فآل سعود ـ وعلى رأسهم الملك عبدالعزيز ـ يعرفون أن انتماءهم إلى وائل .

يقول الأستاذ عباس العزاوي ، في كتابه (عشائر العراق) :
(قبائل عنزة من قبائل العرب الكبرى والمعروف أنها من ولد عنز بن وائل) .
وأما قبيلة عنزة بن أسد ، التي يرد الحديث عنها في بعض الكتب القديمة ،

فيرجح العزاوى أنها (اندمجت في قبيلة عنز بن وائل أو درجت، لأن عنزة اليوم تحفظ أنها من وائل، وأن جدها: «عناز»، والتقارب في اللفظ ظاهر بين عنز وعناز).

ويقول أحمد وصفي زكريا في كتابه (عشائر الشام):

(عنزة: أعظم القبائل العدنانية بل العربية عدداً، وأعلاها شأناً، وأمنعها جانباً، وأكثرها انتشاراً، ويرتقي نسبها إلى عنز بن وائل.

وجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود هو من فرقة المساليخ من «الأحسنة»،

وفي تاريخ حمد بن لعبون: من أعظم قبائل ربيعة بنو وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن رجيلة بن أسد بن ربيعة.

وكان لوائل من الولد: بكر وفيهم العدد وتغلب وعنز، في الأصل هو عبدالله، وعنز لقب لقبوه به، لأن رأسه كان يشبه رأس العنزة.

المراجع الأجنبية ومنها كتب دوتي وبركارت ودليل «الخليج الفارسي» وكتاب «الشخصيات العربية» الموضوع في اللغة الانجليزية والمطبوع في لندن عام ١٩١٧م، ترجع عنزة التي ينتمي إليها آل سعود إلى وائل.

رفع الالتباس:

كنا سألنا الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، عميد آل سعود، بعد وفاة الملك عبدالعزيز، رحمهما الله، عن النسبة الحنفية، فلم ينكرها ولا استهجنها، وإن كانت النسبة القبلية لا تعني دائماً نسبة البنوة والدم، فقد تكون نسبة التحالف أو النسبة إلى الأرض أو الوادي الذي سيطرت عليه حنيفة وعرف باسمها، ولذلك قال هذا الأمير العالم إن آل سعود حنفيون ربعيون عدنانيون. . وإذا قيل إننا عنزيون فمعنى ذلك أننا وائليون.

آل مقرن:

اختص فرع من سلالة مانع، في القرن الحادي عشر باسم «آل مقرن» نسبةً إلى جدهم مقرن، وتمييزاً لهم عن أسرة وطبان، التي عرف أفرادها باسم آل وطبان.

آل سعود

لم يكن لقب آل سعود معروفاً في حياة الإمام محمد بن سعود، فقد كان هو وإخوته وأبوهم سعود من قبلهم يعرفون باسم: آل مقرن.

وفي آخر الدولة السعودية الأولى، وحتى اليوم، اختص أولاد محمد بن سعود بلقب آل سعود، وعرف أولاد إخوته بأسماء آبائهم: آل ثنيان، آل مرخان، آل مشاري.

ومما لاشك فيه أن أبناء إخوة محمد بن سعود يستطيعون التلقب باسم جدهم سعود..

وقد أصبح كل من ينتمي إلى محمد بن سعود يدعى أيضاً: (ابن سعود)، ولو لم يكن سعود أباً له.. وربما اشتهر هذا اللقب في الغرب وفي البلاد العثمانية، قبل اشتهاره في البلاد العربية.

ولما ظهر مالىء الدنيا وشاغل الناس: البطل العظيم، الملك عبدالعزيز، دعاه رجال الغرب: (ابن سعود)، وهو لقب تعلقت به قصص البطولة الخارقة والعبقرية الفذة، وقد ارتضى عبدالعزيز النسبة السعودية لنفسه، ولأسرتِهِ المالكة، ولمملكته.

الباب الثالث

أوائل أخبار تركيا

تركي كان يدافع عن الدرعية
هو وأولاده وإخوته

كان تركي في مقدمة المدافعين عن الدرعية، المستبسلين في قتال الترك، وكان مكانه في شعب الحريقة، وكان ابنه فهد في شعيب (غبيراء)، وابنه فيصل وإخوته محمد وسعود وزيد يقاتلون معه، وقد استشهد ابنه فهد، وأخواه محمد وسعود، ونجا هو وابنه فيصل وأخوه زيد. فهو والد شهيد وأخ لشهيدين.

ويقول «فيلبي»: (إن تركي كان «روح الدفاع» عن الدرعية).

آثر الهرب على الأسر:

خرج الإمام عبدالله من الدرعية، بعد مقاومةٍ بطولية طويلة، إلى معسكر إبراهيم باشا، وطلب منه الصلح، حقناً لدماء المسلمين وإشفاقاً على الدرعية أن يصيبها الدمار الكامل، واشترط شروطاً، فتظاهر إبراهيم باشا بقبول الشروط.

. . وأقبلت جيوش الترك إلى مدينة الدرعية، فلم يشأ تركي أن يكون بين المستسلمين والمشاهدين لتغلغل الغزاة بين بيوت الدرعية، فهرب في الليل إلى مكان يختفي فيه ويمتنع، لم يهرب تركي استبقاء لحياته، وإنما هرب لأمرٍ عظيم كان ينشده، وحلمٍ كبير كان يهدهده، وهو: مواصلة الكفاح ضد أعداء البلاد، حتى تتحرر نجد منهم، ويعود الحكم إلى أصحابه الشرعيين.

الله أقوى منهم:

يقول المؤرخ الفرنسي «مانجان»: (إن الإمام عبدالله بن سعود، لما دخل معسكر إبراهيم باشا، قال له إبراهيم في صلف وكبرياء:

(يا شيخ، كيف وجدت قوتنا)؟

فأجابه الإمام عبدالله بهذه الكلمات العظيمة:

(أنت قوي يا إبراهيم، وأبوك محمد علي أقوى منك، والسلطان محمود أقوى منكما، ولكن الله أقوى منكم جميعاً).

ومما لاشك فيه أن تركي، بعد هزيمة الدرعية، قال في نفسه: (الله أقوى منهم، ونحن مع الله، وقد وعد المؤمنين الصابرين النصر). وصبر تركي، وجاهد، حتى حقق الله لنجد حريتها ووحدتها، واستحق تركي لقب: **(مؤسس الدولة السعودية الثانية).**

مخبأ الإمام تركي

أين اختبأ تركي؟

يقول ابن بشر: (. . كان تركي، لمّا أخذ إبراهيم باشا الدرعية، هرب منها في الليل، وقصد آل شامر، من بادية العجمان، وأقام عندهم، وتزوج بنت رئيسهم غيدان بن جازع بن علي، فولد له ولد سمّاه (جلوي)، لأنه ولد في جلوته عن بلده)(١)

---

(١) يصف إبراهيم آل خميس في كتابه: (أسود آل سعود) أفعال تركي خلال اختبائه وصفاً رائعاً، ويعطينا عن مكان اختبائه تفاصيل لا نجدها في ابن بشر، وإليك مقتطفات من أقواله:

(. . آلى تركي على نفسه أن يصمد في وجه الغزاة المحتلين، وأن يحارب ويقاتل، ولو منفرداً، حاملاً سيفه (الأجرب) الذي أشار إليه في قصيدته المشهورة، ومطلعها:

سر يا قلم واكتب على ما نوّرا — اكتب سلامي لابن عمي مشاري

إذا كل خويٍّ من خويّه تبرّا — حملت أنا الأجرب خويًا مباري

. . وبدأ تركي مقاومته لجنود الاحتلال وللحكام وأمراء النواحي من قبلهم، ولكل من تعاون معهم وأيّدهم.

كان يهبّ للنضال ليلا، يفتك بسيفه بكل من يستحق القتل من هؤلاء، ويختفي أثناء النهار، وكأن الأرض قد ابتلعته، وكان يمارس نشاطه هذا في وادي حنيفة، الذي يمتدّ على مسافة ٢٥٠ كيلومتر تقريبا.

ويذكر لنا المؤلف مكان اختباء تركي، فيقول إنه يقع في مغارة، (في جبل علية، وهو غير بعيد عن الخرج، جبل صعب المسالك ومرتع للوعول، كثيف الأشجار خصب المراعي، ولا تقيم في هذه المنطقة إلا عشيرة آل شامر، وهنا حدثت لتركي قصة كأجمل قصص الحب الطهور، فقد تأخر في نومه بالمغارة وخرج في وضح النهار، خلافا لعادته، فرأته فتاة من القبيلة تدعى (هويدة)، أدركت أنه غريب عن المنطقة، فأحب تركي أن يذهب عنها الخوف منه والشك فيه، حتى تستمر في رعي غنمها آمنة مطمئنة ولا تخبر عنه. . فحدّثها بلغة عشيرتها، فاطمأنت إلى حديثه وإلى سمات الرجولة والأصالة البادية على وجهه وتوّسمت فيه الخير، فما كان منها إلا أن تحلب من غنمها وتسقيه كل يوم بدون أن تسأله من يكون وما عمله، ولم تبلغ حتى أهلها عنه.

وظاهر أن الفتاة كانت ذكية وشريفة ووسيمة، فلما هدأت الحال قليلاً، خطبها تركي من أبيها).

ويقول ابن بشر في موضع آخر: (وكان تركي . . هرب من الدرعية وقت الصلح، هو وأخوه زيد، وهرب القاضي علي بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى قطر وعمان).

وقد أوقعت هذه الجملة الأخيرة بعض المؤرخين في الخطأ، إذ ظنوا أن تركي هرب إلى قطر وعمان، والهارب إليهما الشيخ علي وحده.

ويقول بيلي ويندر في كتابه (السعودية في القرن التاسع عشر): (إن تركي اختبأ في المناطق الجنوبية الممتنعة عدة سنوات.

وكـان خلال إقـامة إبراهيم في نجد، وعنده العساكر الكثيرة والأسلحة الوفيرة، حريصاً على التخفي، مع مواصلة الجهاد بين الفينة والفينة، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ثم ظهر واستعلن، بعد رحيل إبراهيم باشا).

رحيل إبراهيم باشا عن نجد

لابـد لنـا، قبل الكلام عن ظهور تركي، وعن الخطى التي خطاها إلى تأسيس الدولة السعودية الثانية، بعد تحرير نجد وتوحيدها من توطئة نتحدث فيها عن عودة إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة فمصر، وعن الانتفاضات التي قامت في نجد ضد الاحتلال، وعن المحاولات التي قامت فيها لانشاء إمارات ورئاسات. . ثم نتحدث عن ولاية (تركي).

عودة إبراهيم باشا إلى مصر
أسبابها المعلنة والأسباب الحقيقية
محاولة انجليزية للاتفاق مع محمد علي

الأسباب المعلنة :

كان إبراهيم باشا يصرح في مجالسه أنه باق في نجد مدة طويلة، لينظم أمورها و «يضبطها» . . ولكنه اضطر للعودة إلى مصر، بأمر تلقاه من والده، وكان أصحابه يبررون عودته بقولهم :

(ان نجد بلاد فقيرة، وموبوءة، وبعيدة . .

ـ وانها تعجّ بالبدو، الذين يتسللون إلى المعسكرات، ويباغتون الجنود المنعزلين بالهجوم عليهم هجوما خاطفا، كلما أمكنتهم الفرصة .

ـ وان ولده إسماعيل مريض، ويحتاج إلى عناية طبية لا تتوافر له إلا في مصر .

ـ وأخيرا . . ان (نجد) أصبحت ضعيفة منهوكة القوة، لا خطر يخشى منها على الحجاز وعسير وهما القطران اللذان تنوي حكومة والده محمد علي الاحتفاظ بهما إلى ما شاء الله .

وفوق ذلك كله : إن محمد علي يواجه دسائس السلطان العثماني والدول الأوروبية، فهو يحتاج إلى ابنه إبراهيم، وإلى الضباط والجنود الذين معه، فكيف لا يسرع في العودة إلى مصر لخدمة أبيه والدفاع عن البلاد) .

رأي ويندر :

ويقول بيلي ويندر، في كتابه : (العربية السعودية، في القرن التاسع

عشر)، الموضوع باللغة الانجليزية ما خلاصته:

كان استمرار إبراهيم باشا في احتلال نجد صعباً جداً، لأنه كان بعيداً كل البعد عن القاهرة، وبينه وبين قاعدته الكبرى في الحجاز مئات الأميال، وكان ينبغي له أن يتحرك خلال أقوام كارهين له في كثرتهم، وكان عليه أن يستخدم الجمال في تنقلاته وأن يجد لها علفا. . وما أصعب التموين وتدبير الغذاء للجنود وللجمال، في بلاد قضت الحرب والكوارث على زراعتها، وقطعت الكثير من نخيلها، فما عادت تستطيع توفير لقمة العيش لسكانها، فضلا عن المحتلين.

كانت غاية محمد علي الكبرى المعلنة، هي تحرير الأماكن الحجازية المقدسة من سيطرة «الوهابيين»، وأما أهدافه التي ينوي تحقيقها في نجد والمقاطعات الشرقية فقد بقيت غامضة، فهل يريد البقاء فيها، أم يريد إضعافها، بل تدميرها، اتقاء لخطرها المزعوم، ثم الجلاء عنها؟

لقد قال إبراهيم باشا للكابتن سدلر ان والده احتل (نجد) تنفيذا لأوامر السلطان العثماني، ولم يكن يعرف، هو، أهداف السلطان من وراء ذلك.

توقف إبراهيم باشا عن مواصلة الزحف، بعد سقوط الدرعية، ويجب ألّا نستدلّ من إرساله قوة صغيرة إلى الأحساء والقطيف، أنه كان ينوي غزوهما، فما كان يريد من وراء ذلك إلا الحصول على المؤن التي كانت جيوشه بأشدّ الحاجة إليها.

وفي مايو من سنة ١٨١٩م تلقى إبراهيم باشا أمراً من والده بالجلاء عن نجد والاكتفاء باحتلال الحجاز ويبدو أن هناك أموراً أخرى عجّلت في عودته إلى مصر، ومنها مرض ابنه عثمان، واحتياج أبيه إليه وإلى قواته في مواقفه المحرجة أمام السلطان وبعض الدول الأجنبية، إضافة إلى اعتقاده بأن بلاد نجد لم تعد قادرة على النهوض بعد انهيارها الكامل.

رأي توميش

لابد لنا بعد أن أوردنا رأى الأمريكي ويندر، الذي غضّ الطرف عن رأي الانجليز، وأثرهم في انسحاب الحملة المصرية من نجد من إيراد رأى فرنسي . . وهذا ما يقوله ب. ج. توميش في كتابه (العربية السعودية)، في هذا الموضوع، وقد ترجمناه دون تصرف:

لما غادر إبـــراهيم باشـا بلاد نجـد إلى الحجـاز، كان مقتنعـاً بأن وطن السعوديين سيبقى ممزقا ولن يصحو من أثر ضرباته، وهذا ما جعله يجلو عن البلاد . . وهناك أسباب أخرى . . فقد كانت انجلترا التي تخشى تهديد بونابرت لطريق الهنـد، قد استولت على نقط استراتيجية في الخليج الفارسي، فما كاد إبراهيم باشا يصل إلى نجد، حتى أنزلت (انجلترا) قوة بحرية في القطيف، فهـل خاف محمـد علي من وقـوع صدام بينـه وبـين بريطانيا أم كانت هناك مفاوضات بينهما تقررت فيها (مناطق النفوذ)؟

لا أحد يعرف ذلك . .

ومهما يكن الأمر، فإن المصريين جلوا عن (نجد) عام ١٨١٩م، واقتدى بهم الإنجليز فجلوا عن القطيف.

عودة إبراهيم إلى المدينة
بعد أمره بتهديم الدرعية

أشرنا في الصفحة ٣٨ إلى المراسلات التي دارت بين محمد علي والسلطان العثماني حول بقاء إبراهيم باشا في نجد أو ضرورة انسحابه منها، وقد أصر السلطان على الانسحاب من نجد.

وهذه ترجمة الإرادة السلطانية:

إن هذه المراسلات الواردة من والي مصر والتحارير المرسلة إلى المشار إليه من إبراهيم باشا حظيت جميعها بإطلاع أنظاري الهمايونية السلطانية العلية، إن ما قلته آنفاً عن وجوب عودة المقدم إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة، بعد أن يكون أتمّ إنجاز هذه المصلحة، وبأن لا يتقدم إلى الأمام لا يعني أن يترك الدرعية على ماهي عليه فوراً، بعد تكبده تلك المشاق الكثيرة، فلا ريب في أنه إما يجب أن تهدم أو إذا كان من اللازم المحافظة عليها يجب ترك أحد الرجال (القادة) فيها وأخذ المدافع الموجودة أو تركها، كما يجب ربط هذه القرية بنظام حسن على قدر الإمكان.

لقد كان المشار إليه (يعني إبراهيم باشا) حاصر فيما سبق الدرعية، وفي تلك الأثناء كان استأذن بالرجوع بعد ختام المصلحة.

ان قضية المتابعة، والذهاب إلى سائر الأماكن بعد ضبط الدرعية، والعمل على اخضاعها، الذي يتطلب مدة طويلة الأمد، وتوطيد النظام في كافة قطاع نجد هو بمثابة الأمل الطويل. . إلا أن المطلوب الأساسي والأمنية الأصلية بهذا المجال هي:

المحافظة على الحرمين الشريفين وهما نصب أعين المؤمنين.

والعودة إلى المدينة المنورة وهذا ما كنت أصدرت إرادتي بشأنه.

ان المذهب الذي اعتنقه عربان نجد.. انما جرى اعتناقهم له منذ عدد من السنين وفير، وان رجوعهم عن هذه العقيدة أمر مشكل عسير. والمصلحة العامة توجب العمل على تأمين حسن النظام في الدرعية على قدر الإمكان، والعودة إلى المدينة المنورة والتشبث بالمحافظة عليها، كما أنه من الضروري والواجب أن تمنح العساكر الإسلامية، التي تحملت مشقات عظيمة منذ زمن طويل فرصة للاستراحة وأن تؤمن راحتهم نوعاً ما.

وقد صدرت إرادتنا الهمايونية (السلطانية)، بكتابة جواب على هذا النحو، لتفهم إرادتنا السنية).

محمد علي يأمر ابنه بالعودة فيغضب إبراهيم.. ويأمر بتهديم الدرعية

وامتثل محمد علي لأمر السلطان العثماني بوجوب عودة ابنه إلى المدينة المنورة، فأمر ابنه إبراهيم باشا بمغادرة نجد.

وأغضب هذا الأمر إبراهيم كثيراً لأنه كان يطمع بمزيد من الانتصارات والأمجاد، ونهب الأموال، وكما فعل الطاغية (نيرون) الذي أمر بإحراق روما، ليخف غضبه ويستمتع برؤية النيران تتلهب وروما تحترق، هكذا فعل إبراهيم باشا، فقد أمر قبيل رحيله أن يقوم جنوده بتدمير الدرعية، وأن يشترك سكانها أنفسهم في تهديمها.

ويقول المؤرخ الفرنسي «مانجان» إن الاستيلاء على الدرعية إنما تمّ بخطة رسمها الخبير الحربي الفرنسي «فيسيير» الذي كان يرافق إبراهيم باشا في حملته مستشاراً له.

لعبة التفاحة والسجادة:

وكانت خطة (فيسيير) تطبيقاً لقصة السجادة والتفاحة المشهورة، وخلاصتها: أن أحد الملوك القدامى أراد اختبار مقدرة قادة جيشه، فدعاهم إلى قصره ومشى بهم إلى قاعة كان قد وضع تفاحة في وسطها، وقال لهم من يستطيع منكم أن يتناول هذه التفاحة من دون أن يدوس على السجادة، فحاولوا وعجزوا، فقال لهم: أنا أفعل ذلك، وأخذ يرفع بيديه أطراف السجادة حتى قرب من التفاحة فتناولها بيده.

وهكذا فعل إبراهيم باشا، فقد طوى أولا البلدان والقرى المحيطة بالدرعية، فمنع عنها المدد، ثم تناولها.

ويقول (مانجان): ان اخلاء الدرعية من جميع سكانها قد تم في أقل من عشرين يوما، وإن إبراهيم باشا جمع إبلاً كثيرة قبيل رحيله وحملها ما شاء، واصطحب معه كثيراً من جنوده، ولم يستبق في سائر أماكن نجد سوى ١٥٠٠ من المشاة و ٥٠٠ من الفرسان.

الباب الرابع

محاولات لمصانعة الغزاة

كانت في بلدان نجد، خلال معارك الدرعية وبعدها، وخلال إقامة إبراهيم باشا في نجد وبعد رحيله عنها، محاولات كثيرة للاستيلاء على الإمارة والرئاسة في بلدان نجدية أو الاحتفاظ بها، ولم يتورع أصحاب هذه المحاولات عن الاستعانة بعساكر الترك وإظهار الخضوع والطاعة العمياء للسلطان العثماني وممثليه، لتحقيق مطامعهم الشخصية، وقد ذكر لنا (ابن بشر) أخبار هذه المحاولات المؤسفة، وإليك بعض الأسماء التي وردت في تاريخه:

ناصر بن محمد بن ناصر العائذي، ومعه عدة رجال من أهل الرياض ومنفوحة والخرج، سار مع (الباشا) وعساكره إلى بلدة «عرقة».. قبل أن يستولي إبراهيم باشا على الدرعية. وكان يترأس الرياض عبدالله بن عيسى بن مطلق، سار مع (محمد كاشف)، الذي أرسله إبراهيم باشا إلى الأحساء، ليدله على أموال آل سعود، ويدفع إليه بيت المال، ويشهد معه مصارع العلماء والأتقياء، ونهب العسكر للناس وتقتيلهم. وكان يترأس على الأحساء. (ويقول ابن بشر إن ابن مطلق هذا توفي في تلك السنة التي دخل فيها العسكر الأحساء، «وكان له معرفة وذكاء وجاه وسخاء، ولكنه ركن إلى الدنيا وطلب الرئاسة»).

عبدالله الجمعي، عاد من مصر، إلى «عنيزة» وقد أصبح من دعاة الترك، فولوه أميراً عليها.

حمد بن مبارك بن عبدالرحمن، سار مع عساكر الترك التي يقودها أبوش لمحاربة (تركي) في الرياض.. إلى أمثلة كثيرة.

ولعل أشهر رؤساء العشائر التي سارت مع الترك: فيصل الدويش، شيخ مطير، ويقال إنه كان يطمع في إمارة الدرعية..

ظهور تركي

أهم الأحداث السياسية في نجد بعد عودة ابراهيم باشا الى مصر

١ ـ محاولة أولاد عريعر في الأحساء (وسنعالجها عند الكلام عن استيلاء الإمام تركي على الأحساء).

٢ ـ محاولة ابن معمر في الدرعية، وموقف تركي.

٣ ـ محاولة مشاري بن سعود، وموقف تركي.

٤ ـ ثورة عنيزة.

٥ ـ خطوات الإمام تركي الأولى إلى تحرير نجد وتوحيدها.

محاولة محمد بن مشاري بن معمر وقدوم تركي عليه

كان محمد بن مشاري بن معمر واحداً من آل معمر، الأسرة العريقة التي تولت الزعامة في بلدة العيينة وكانت من أعمر بلدان نجد وأجملها، وقد اشترك مع أفراد أسرته في الدفاع عن الدرعية أثناء حصار إبراهيم باشا لها وهجومه عليها، واستشهد من أقربائه في القتال خمسة عشر رجلاً، وكان موضع محمد في (السهل)، فخرج مع الشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب وعبدالله بن عبدالعزيز، إلى معسكر إبراهيم باشا وعرضوا عليه الصلح، فأبى عليهم ذلك إلا بحضور الإمام عبدالله بن سعود، ثم قبل مصالحتهم على السهل فقط، ودخلها جنده، وكان ذلك في السابع من شهر ذي القعدة عام ١٢٣٣هـ. أي قبل أيام من الصلح العام، الذي تم بين الإمام عبدالله بن سعود وإبراهيم باشا.

أقام ابن معمر بعد ذلك في العيينة، وكان إبراهيم باشا يعدّه من الأصدقاء، لا من الخصوم، ولولا ذلك ما سكت عنه، وهو الذي فعل الأفاعيل بآل سعود وعلماء نجد وأعيانها.

ويقول فيلبي: إن شيئاً قد تم بين «ابن معمر» وبين إبراهيم باشا (الذي كان يعامله معاملة ودية، فيها الكثير من الصداقة والاحترام). (١)

---

(١) أنظر فيلبي: «تاريخ نجد».

حركة ابن معمر كما يصفها ابن بشر:

ويصف لنا ابن بشر حركات ابن معمر، فيقول:

(وفي آخر هذه السنة (١٢٣٤هـ) رحل محمد بن مشاري بن معمر من بلدة العيينة ونزل الدرعية وكان لما هدّم الباشا الدرعية رحل منها ونزل العيينة، فلما رحل الباشا عن نجد، وسار بآل سعود إلى مصر، وذهبت أموالهم ورجالهم، طمع في ملك نجد، وكان خالاه: عبدالعزيز وعبدالله ابني محمد آل سعود، وعنده من الأموال والسلاح ما لا يحصى ولا يعدّ.

فلما نزل بلد الدرعية سعى في عمارتها، وأظهر إعادة الدعوة، وأراد أن تكون بلدان نجد تحت يده بدعوى الإمامة، فكاتب البلدان ودعاهم بالوفود إليه والاجتماع، فأطاعه أهل بلدان قليلة ووفدوا عليه في الدرعية، فاستقر فيها واستوطنها).

دولـة سلطـان!

ثم يقول لنا ابن بشر، في أخبار سنة ١٢٣٥هـ: (إن أهل منفوحة تابعوا ابن معمر، ولكن رؤساء بلدان كثيرة، كحريملا والخرج والرياض امتنعوا عن مبايعته، وكتب بعض أهالي تلك المناطق إلى شيخ الأحساء أن يسير بجيوشه إلى ابن معمر في الدرعية ويقاتله ويقضي عليه قبل أن يستفحل خطره، فجاء ابن عريعـر بعـربانه، وانضم إليه مقاتلة من أهل الرياض وحريملا والخرج وحاصروا منفوحة وقاتلوا أهلها، ثم صالحوها وتابعوا مسيرهم إلى الدرعية.

ولما أحسّ ابن معمر بالخطر المحدق به أرسل إلى ماجد بن عريعر الهدايا وكـاتبـه وأظهـر له الموافقة، وذكر له أن ما له قصد يخالف أمرهم وأنه «دولة

سلطان» . . ثم تفاقمت البوادي على آل عريعر وتخاذلوا، فارتحلوا على غير طائل فتعاظم أمر ابن معمر).

قـدوم تركـي:

ويذكـر ابن بشر أيضـاً أن الأسعـار في الدرعية كانت في غاية الغلاء، فاستحضر لها ابن معمر من كل الجهات قوافل الأطعمة فبيعت بأرخص سعر، وفي تلك الأثناء، جاء تركي وأخوه زيد إلى الدرعية وساعدا ابن معمر، حتى أن (زيد) سار مع محمد، ابن مشاري، على رأس ثلة من المقاتلة، إلى حريملا، فحاصراها حتى استسلم أميرها وأعوانه وبايعوا ابن معمر، ودانت له بعد ذلك بلدان في العارض والوشم وسدير.

تلك رواية ابن بشر، فماذا نجد في الوثائق الرسمية؟

رواية الوثائق

كتب مخبر ـ بقي اسمه مجهولاً ـ تقريراً عن أحوال نجد، زعم أنه استمد «معلوماته» الصحيحة من عبدالله الجميعي شيخ عنيزة سابقاً، وقد رفع التقرير إلى محمد علي في مصر وحفظ في **الوثيقة**[1] **محفظة ١٦ بحر برا الرقم (٥٧) أو موضوعها تقرير عن أخبار نجد.**

نـص التقريـر

.. في شهـر ربيع الأول، نقل شيخ العيينة محمد الأعرج ابن مشاري المعمري، أهله وعياله لقرية سدوس، وانتقل هو إلى بلدة الرياض، متظاهراً بأن ذلك لمصلحة، وهناك اتفق مع أهل الدرعية، ثم نصب الأعرج المذكور

---

(١) أنظر الوثيقة، غير المؤرخة، التي تحمل الرقم ٥٧ ـ محفظة ١٦ بحربرا، وتجدها في كتاب قيّم هو: (وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي) المجلد الأول، تأليف الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، نشر دار المتنبي في الدوحة.

يحتوي الكتاب على كثير من الوثائق، منقولة من دار الوثائق المصرية، وقد وردت في الوثائق أغـلاط ربـما كانت ناشئة عن عدم معرفة الذين ترجموا الوثائق بأسماء الشخصيات والبلدان النجدية وعشائرها، مع أن المؤلف صحح بعضها بالرجوع إلى المعاجم الحديثة: !

وفي الوثيقة التي نقلناها من كتابه وردت أغلاط صححناها، ولعله يصححها في طبعة كتابه الجديدة، مثلاً، جاء فيها: شيخ العتيبة، وصحتها العيينة، والسدير وصحتها سدير والوشمة وصحتها الوشم، وعنزة وصحتها عنيزة .. الخ.. ٢ ـ انظر الوثيقة في نفس المرجع.

راية، على بابه، فأخذ الأهالي يتوافدون ويجمعون عيالهم وأهليهم وينقلونها إلى الدرعية، وبدأوا بزراعة أرضها، وأرسل إلى أهل العارض والوشم والسدير، الكتب، وأتى بتركي بن عبدالله، الذي هو وعياله في جهة الجنوب وولده وأخيه زيد، وعمر بن عبدالعزيز، المشقوق الشفة «الأعلم والأفلح» وأولاده وجاء من أهل الجنوب، مع تركي المذكور، نحو مائة شخص، وجاء من وادي الدواسر مع عمر المذكور ثلاثمائة حمل مابين حنطة وتمر وقهوة على سبيل المعاونة.

فلما سمع شيوخ الأحساء الشيخ محمد والشيخ ماجد وآل عريفه(١) بذلك قاموا من الأحساء حتى إذا وصلوا إلى سهل تبانه على بعد أربع ساعات من الدرعية أرسلوا إلى أهل الدرعية وغيرها من البلاد خطابات مع رجال مخصوصين يدعون المطيعين للدولة العلية للحضور عندهم والكلام معهم فلم يذهب من أهل الدرعية أحد لمواجهتهم ولا من البلاد الأخرى غير اثنين من شيوخ الخرمة، زقم بن زامل والشيخ كليب البجاوى فأرسلوا لأهل الدرعية كتباً ثاني مرة قالوا فيها يا أهل الدرعية إنه صدر أمر سلطاني بضرب هذه البلدة الخبيثة وتخريبها وإن دولة أفندينا إبراهيم باشا سيجعلها قاعاً صفصفاً وسيجلي عنها أهلها ونحن لا نحب أن تكونوا أنتم وبلادكم عرضة لذلك فأرسل إليهم أهل الدرعية درعين هدية وكتبوا لهم قائلين: نحن فرقة أخرى، فلا تجيئوا عندنا، وإذا أبيتم إلا المجيء تكون العاقبة وخيمة، ونحن لا نجيء عندكم ولا نقابلكم.

ثم بلغت على الوجه المحقق أن شيوخ الأحساء حصدوا الكلأ الموجود في باب سمحان وأطراف عرقة وأطعموه جمالهم وأغاروا على أهل عرقة فقتلوا منهم ثلاثين شخصاً ونهبوا قافلة الميرة والمهمات القادمة من الرياض إلى الدرعية وقتلوا بضعة أشخاص من أهل الدرعية وأتلفوا خمسة أو أربعة أشخاص في أثناء الوقعة من بني خالد، ثم رجعوا إلى جهات الأحساء.

---

(١) في الهامش: هكذا وصحتها آل عريعر.

سمعت أن الأعرج كان قبلا دفن في الدرعية مدفعين صغيرين للاحتفاظ بهما، فلما زحف ابن عريعر شيخ الأحساء على الدرعية استخرجهما الأعرج المذكور واستعان بهما على مقاومة ابن عريعر والتفوق عليه، وأن الموجود اليوم في الدرعية ألف ومائتا شخص، وسمعنا أيضاً أن محمد بن مشاري شيخ عتيبة الأعرج السالف الذكر، بعدما استقر في الدرعية، سمع أن مشاري بن سعود، الذي فر من مضيق «الجديدة» ذهب إلى جبال شمر، وأقام فيها، فأرسل له مراراً متعددة هجانة، يدعوه إليه، فقام مشاري بن سعود من جبال شمر، حتى إذا وصل إلى قرية «القصيبة» من قرى القصيم، فلم يدخلها بل كتب إلى أهلها يستأذنهم بالسماح له بالدخول، وإلا عاد على أدراجه، فأجابوه مرحبين به، فدخلها وأقام فيها ثلاثة أيام معززاً مكرماً، هو ومن معه، ثم رحل عنها إلى قرية «العيون» فأستأذن أهلها فرحبوا به.. ثم رحل إلى قرية (بريدة) فخرجوا لاستقباله بموكب حافل وأكرموه إكراماً فوق الحد وخلعوا عليه وعلى أتباعه الخلع النفيسة).

.. وخلال إقامته في بريدة كتب إلى أهل القصيم ونجد وغيرهم..

والواقع إن أهل نجد تفرقوا في مبايعتهم بين ابن معمر وابن سعود).

ما يضيفه هذا التقرير
إلى أخبار ابن بشر وما يعدِّله منها

نفيد من هذا التقرير معلومات لم ترد في تاريخ ابن بشر:

١ ـ إن ابن معمر، وقد وصف بأنه (أعرج)، أرسل أسرته إلى سدوس، وأقام في الرياض، وهناك اجتمع بالنازحين من أهل الدرعية، واتفق معهم على الانتقال إلى الدرعية، وإعادة بنائها، ثم انتقل بهم إلى الدرعية.

٢ ـ أنه هو الذي استدعى (تركي) وولده ـ والمقصود فيصل ـ وأخا تركي: (زيد)، ثم عمر بن عبدالعزيز، وأولاده، للمجيء إلى الدرعية، وأن تركي صحب معه مائة شخص من أهل الجنوب، وأن (عمر) هذا أحضر معه (٣٠٠) حمل مابين حنطة وتمر وقهوة.

٣ ـ أن مشاري كان خبأ أثناء معارك الدرعية مدفعين، فاستخرجهما للاستعانة بهما في مقاومة هجوم بني خالد المنتظر.

٤ ـ ان أهل الدرعية تلقوا رسائل من شيوخ بني خالد تدعوهم إلى الاستسلام وإلّا صدر أمر إبراهيم باشا بتدمير بلدتهم وهلكوا. . فأبى أهل الدرعية الاستسلام وأنذروا من يصل إليهم بأوخم العواقب.

٥ ـ ليس في التقرير ذكر لرسالة بعث بها ابن معمر إلى شيخ بني خالد يقول فيها إنه مثله تابع للسلطان العثماني و«دولة سلطان».

وفي اعتقادنا أن هذه الرسالة التي أشار إليها ابن بشر صحيحة، وما فعله أهل الدرعية من التحدي ربما كان بأمر ابن معمر، ولكنه كان يعرف عجزهم عن مقاومة بني خالد وأعوانهم، فلجأ إلى مفاوضة الغزاة وإفهامهم أنه مثلهم موالٍ للترك ولا ينوي معاداتهم، وجاءت المنازعات التي قامت بين عربان بني خالد معجلة في إنسحاب ابن عريعر إلى موطنه.

ظهور مشاري بن سعود

مبايعته، وحبسه، وموته، وثأر تركي له، وقتله ابن معمر وولده..

كان مشاري بن سعود في جملة الأسرى الذين أمر محمد علي بنفيهم إلى مصر، ولكنه استطاع الهرب من العسكر، في «الحمراء» القريبة من ينبع البحر، وتنقل في البلدان متخفياً.

ويقول ابن بشر، في أخبار سنة (١٢٣٥هـ): ان مشاري،ابن الإمام سعود قدم الوشم في العاشر من جمادى الآخرى، ثم سار منه إلى الدرعية، ومعه عدة رجال من أهل القصيم والزلفي وثرمدا وغيرهم من عبيد أهل الدرعية، ومعه حملات من الأرز والطعام، وقدم الدرعية ونزل في بيت من بيوت إخوانه فانزعج ابن معمر، وهمَّ بالامتناع والمحاربة، ثم عجز عن ذلك وجنح إلى الصلح، وبايع مشاري بن سعود، فاستقام الأمر لمشاري، ووفد عليه أهل سدير، ورئيسهم محمد بن جلاجل، وأهل المحمل وحريملا، وصاحب الرياض وأكثر أهل الوشم، وبايعه هؤلاء كلهم وأهل الدرعية. وقام معه تركي بن عبدالله وعضده.

وقدم عليه في الدرعية عمه (عمر بن عبدالعزيز) وأبناؤه (عبدالله ومحمد وعبدالملك) وكانوا هاربين وقت المصالحة، ثم قدم الدرعية عليه أيضاً مشاري بن ناصر وحسن بن محمد بن مشاري، وكانوا أيضاً قد هربوا منها وقت الترك.

وحين استقر الأمر لمشاري بن سعود، أمر على أهل البلدان، الذين بايعوه، بالغزو، فسار من الدرعية بأهل العارض والمحمل وأهل سدير والوشم وغيرهم وكثير من بوادي سبيع، وقصد ناحية الخرج، ونازل أهل بلد السلمية، ووقع بينهم حرب وقتال، واستولى عليها وعلى اليمامة، ثم نزل بلد الدلم، وظهر عليه زقم بن زامل، صاحبها، وبايعه، ثم قفل راجعاً إلى وطنه).

رواية الوثيقة

جاء في الوثيقة (١٩٥٣٢) التركية، التي أشرنا إليها سابقاً، أن ابن معمر سمع (ان مشاري بن سعود، الذي فرَّ من قافلة الأسرى عند مضيق الجديدة، قد ذهب إلى جبل شمر وأقام فيه، فأرسل إليه مراراً هجانة يدعوه إليه، فقام مشاري بن سعود من جبل شمر، حتى إذا وصل إلى قرية «القصيباء» من قرى القصيم، لم يدخلها، بل كتب إلى أهلها يستأذنهم بالسماح له بالدخول، وإلَّا عاد أدراجه، فأجابوه مرحبين به، فدخلها وأقام فيها ثلاثة أيام معززاً مكرماً، هو ومن معه.

ثم رحل عنها إلى قرية العود، فاستأذن أهلها فرحبوا به.

ثم رحل إلى قرية بريدة، فخرجوا لاستقباله بموكب حافل، وأكرموه فوق الحد، وخلعوا عليه وعلى أتباعه الخلع النفيسة).

تختلف هذه الرواية عن رواية ابن بشر، ولعلها أدنى إلى المنطق، فمشاري الذي تصفه الوثيقة بالكياسة، والمبالغة في التهذيب، إذ لا يدخل بلداً إلا بعد استئذان أهله، يغلب على الظن أنه قدم الدرعية بدعوة من ابن معمر، وابن معمر ما انزعج منه إلا بعد أن دعا إلى نفسه، ويبدو أن حملات الطعام التي

صحبتـه كان لها أطيب الأثر في بلدة الدرعية، التي كانت تعاني أزمة غذائية شديدة، وفوق ذلك كانت تحيط به هالة من اسم أبيه الإمام سعود، ومن أمجاد آل سعـود. وقـد جاء في الوثيقة التركية «١٩٥٣٢» أن الناس، بعد أن أخذ مشـاري بن سعود يفرق عليهم الأطعمة ـ مجاناً، مساعدة منه للمحتاجين ـ (التفوا حوله وتفرقوا عن ابن معمر،

دسائس وتحركات مريبة
ضد مشاري بن سعود

كتب الشريف يحيى وشيخ الأحساء وغيرهما إلى محمد علي وإبراهيم رسائل يزعمون فيها قيام مشاري بتحصين الدرعية وتجهيز الجيوش والتحريض ضد الدولة العلية بحجة أنها غير إسلامية والذين يطيعونها يعتبرون مرتدين عن الإسلام وغير ذلك من الترهات.. كقولهم إنه يريد الاستيلاء على الأحساء والحجاز .. الخ.

وقد استغل محمد علي هذه الأخبار الملفقة وكتب إلى السلطان يخبره بعزمه على «اقتلاع جذور هذا الباغي وأتباعه».

ونحن نثبت هنا رسالة شيخ الأحساء ورسالة محمد علي إلى السلطان لأنهما تكشفان بوضوح عن نية محمد علي في التخلص من مشاري بن سعود بالقتل والقضاء على أنصاره، ولعل معرفة ابن معمر بذلك هي التي دفعته إلى نقض بيعته لمشاري، ثم تسليمه إلى الترك.

رسالة شيخ الإحساء إلى ابراهيم باشا في جدة

تتضمن الوثيقة رقم ١٩٥٣٢ نص الترجمة التركية لرسالة بعث بها شيخ الأحساء إلى إبراهيم باشا، ومما جاء فيها:

بعد أن رجعت العساكر المنصورة إلى جانب الحرمين الشريفين، ظهر محمد بن مشاري ونزل في الدرعية، ورفع اللواء قائلاً:

(هذا العَلَم هو علم الإسلام، فالذي يطأطىء الرأس طاعة وانقياداً، فهو المسلم، ومن يلجأ للمخالفة فهو مرتد).

قال هذا، مبادراً بالترهات، وقد تجرأ رئيس القوم المنحوس، والإبليس المأنوس، على الفتوى بارتداد الذين يكونون في طاعة الدولة العلية، الأبدية القرار، والسلطنة السنية المتمادية في الاستقرار.

وقد اتهم شيخ الأحساء، في رسالته، ابن معمر بالتفكير في الاستيلاء على الأحساء، وقد رأى (محمد علي) في رسالة شيخ الأحساء، مضافة إلى رسائل أخرى تلقاها أو استكتبها أعوانه بعض زعماء البلدان والعشائر، فرصةً لا تضيَّع، فاستغلها، وكتب إلى السلطان كتاباً بالغ فيه بوصف الخطر الذي نشأ في نجد، ويوشك أن يتهدد الحجاز وعسير، ويحرم السلطان وخادمه المطيع.. محمد علي، من النصر الذي حققاه!

رسالة من محمد علي إلى السلطان العثماني
عن تحركات محمد بن مشاري وطمعه في الإستيلاء على الإحساء

وتعليقات رئيس الوزراء العثماني

ـ ترجمة الرسالة ـ

حضرة صاحب السعادة والمروءة والرأفة الرفيق الأعز سلطاني أفندم.

إن المدعو محمد بن مشاري . . ، المتبقي من آل سعود، قد جمع حوله فئة من الضالين المتسكعين من متخلفي وادي الخفا . . وبقايا السيوف . . وجعل يُثيرهم ويحمسهم ويدفعهم إلى طرق البغي والشقاوة، وقد أبلغنا ذلك بعض أهالي المدينة المنورة، كما ان ذا الشهامة أمير مكة المكرمة حضرة الشريف (يحيى) كان منذ وقت قصير قد أوصل إلينا أمر وأخبار هذا (الشقي) وكيفية تحركاته وما يأتي به من مفاسد ووضعه أسس بنيان الشقاوة في الدرعية. وقد خطر لنا آنئذ

حين بلغتنا هذه الأنباء أن نرسل مفرزة من الجند لذلك المكان بغية قهر الشقي المذكور واستئصاله، إلا أنه لمّا عُرض الأمر بواسطة سعادتكم على مقام الصدارة العظمى رأى المقام العالي المشار إليه أنه لما كان قد شاهد الأشقياء الباغون المذكورون سطوةُ الدولة العلية القاهرة وسلطانها وقدرتها وأنهم وإن كانوا في الوقت الحاضر لا يسلكون المَسلك اللائق فإنه من المستحسن الآن أن يترك هذا الأمر وأن يصرف النظر عن إرسال الجنود وأن هذا من قبيل أعمال الروية والتبصر. ولذلك فقد قمنا بتطبيق الأمر الكريم مع دوام توجيه نظر الدقة إلى الأماكن المذكورة. وكان أشار والي بغداد خلال تلك الأوقات إلى تصرف وتحركات الشقي المذكور التخريبية وكتب بهذا الشأن إلى دار السعادة وكنت تبلغت في حينه بأن أقوم بما يدفع هذا الشر ويبعده.

وتوقف هذا العاجز عن النشاط الواسع بهذا الصدد ريثما يصير التحقق والتأكد من الوضع الراهن. وأفادَ محمد العريعر شيخ الأحساء بتحريره الذي بعث به الآن إلى والي جدة الحالي صاحب العطوفة إبراهيم باشا أن الشقي المذكور قد شرع ببناء القلاع في الدرعية وبإثارة وجمع القبائل النجدية المنتشرة في جوانب وأطراف ذلك المكان وأنه أخذ البيعة منهم وثبت العدد الوافر من الجموع حوله وأنه ينوي جرياً مع فكره الفاسد الاتجاه نحو الأحساء والهجوم والاستيلاء عليها وضبطها.

وبما أنه حتى الآن لم يظهر من جانب بغداد ما يدل على أنه في النية إرسال المساعدات والمعونة للمحافظة على الأحساء، فإن العشائر والأهالي جميعاً أصبحوا في وجل وخشية واضطراب. إذا كان الشقي المذكور مصمماً حقيقة على مهاجمة الأحساء فإن ما قام به من ترتيب ومن كيد وبغي بهذا الصدد سيكون موئل الخراب والدمار وما جمعه.من جموع مصيرها الفناء، إذ من البديهي أنه

سيصير قطع دابرهم واستئصال نواة شقاوتهم. على أن تدارك هذا الأمر بالهجوم عليهم والقضاء على حركاتهم وافسادهم يستلزم اتخاذ التدابير الاحتياطية الكافية وهذا جلي واضح، كما أنه لا يجوز - كما لا يخفى - ترك وإهمال هذا مخافة أن يشتد ساعد هذا الشقي.. ويتوسع نفوذه..، وقبل أن تستقر نواة هذه الشجرة.. وتكثر بذورها أجد أن الواجب يحتم عليَّ أن أبعث بشرذمة كافية من العساكر لكبح جماح هذا الشقي الفاجر ولاقتلاع جذور هذا الباغي وأتباعه من تلك الأراضي، وأن أقوم بالإضافة إلى ذلك بحسن تنظيم وتنسيق شئونها وتثبيت دعائم النظام فيها، وبما أن انفاذ هذه الأمور قد عُهد به إلي أنا العبد العاجز من قبل الدولة العلية أبدية الدوام فإني شرعت بالنظر بأمر تدارك العساكر اللازمة لارسالها إلى المواقع النجدية، وإن هذا كله سيجري على ما يرام بفضل حضرة الذات العلية الشاهانية. وإني أتشرف بعرض هذه القضايا على مقام ذات الصدارة العظمى الرفيع، كما أني أقدم في طية التحرير موضوع البحث ليصار إلى النظر فيه حسبما تقتضيه حكمة وروية الذات العلية، وكما هو مؤمّل من لدن هذا العاجز..

١٤ ٣٦ خاتم محمد علي

تعليقات رئيس الوزراء العثماني على الرسالة

ـ مترجمة عن التركية ـ

هذا هو تحرير عبدكم محمد علي باشا والي مصر المرسل إلى الباب العالي.

لقد جاء في تحرير عربي العبارة أرسله محمد العريعر شيخ الأحساء إلى عبدكم إبراهيم باشا والي جدة ان المدعو محمد مشاري المتبقي من آل سعود قد شرع من جديد ببناء قلعة في الدرعية وأخذ البيعة له من العشائر والقبائل النجدية المنتشرة في الجوار، وانه قد جمع الجموع الغفيرة حوله، وانه وقع فريسة توهمه الفاسد الذي تبلور بقصده الهجوم على الأحساء وضبطها والاستيلاء عليها، وقد سيطر الخوف على الأحساء، وانه إذا استقر رأي المذكور على مهاجمة الأحساء وضبطها مستمداً القوة من هذه الجموع التي حشدها فإن أمر قهره وتدميره يحتاج إلى (تداركات) كلية كبيرة، وأضاف بأنه لما كان أمر تأمين النظام والسكينة قد فُوِّض إليه فإنه أخذ هذه المرة أيضاً يسعى لتأمين إرسال عساكر إلى نجد وبعث بتحرير شيخ الأحساء الوارد الذكر ـ أعلاه ـ مع عريضته هذه، وقد قُرئت هذه العريضة وبُحث أمرها في لجنة الشورى المنعقدة كالمعتاد، وبعد المذاكرة تقرر: العمل على قطع جذور الفساد واتخاذ التدابير من أجل تأمين ذلك وهو الأهم. وبما أن إحالة أمر حسن تأمين النظام إلى عهدة ومقدرة المشار إليه أمر واضح لا إبهام فيه، فإن الواجب، وفقاً لإشعاره، إرسال العساكر اللازمة إلى نجد وتوصيته بالتحرير الجوابي الذي سيرسل إليه أن يجدّ بالعمل على دفع

مفاسد هذا الشقي. وقد كان أُبلغ والي مصر المشار إليه مفاد تحرير والي بغداد بهذا الشأن وما اقترحه، فوجد أيضاً من الموافق ومن مستلزمات المصلحة إبلاغ والي بغداد ما كتبه والي مصر بهذا الصدد، ولذلك سأبادر بتحرير كتاب إلى والي بغداد المشار إليه بهذا الشأن حسب الاقتضاء لكي يحاط علماً بالكيفية حسبما ارتأته لجنة الشورى المشار إليها. وقد تُرجم التحرير العربي العبارة الواردة الذكر - أعلاه - ورُفع إلى مقام حضرة الذات الشاهانية ليحاط علمها السامي بما ورد به. ولعرض ما تقدم رفعت هذه المذكرة، وعلى كلٍّ، فإن الأمر والإرادة لحضرة من له الأمر أفندم).

ابن معمر ينقض عهده ويحبس "مشاري" ويقاتل "تركي"

ندم ابن معمر على تخليه عن الامارة لابن سعود ومبايعته له، وأعدّ خطة محكمة لاسترجاع الامارة، فانتقل من الدرعية إلى (سدوس)، وهناك اعتكف في داره بحجة أنه مريض، ولكنه كان يكاتب سراً من يعتقد فيهم الميل إليه وكراهية مشاري، وخاصة آل حمد، رؤساء حريملا، وقد طلب هؤلاء منه المجيء إلى بلدهم ووعدوه المؤازرة والمناصرة، فانتقل إلى حريملا، ومن هناك كتب إلى فيصل الدويش أن يمدّه بالمقاتلين ففعل، ولما وجد حوله عدداً كافياً من المقاتلة سار بهم إلى الدرعية، دون أن يشعر أحد بمسيره، ودخلها في غفلة من أهلها واتجه إلى قصر مشاري بن سعود وأمسك به، وأمر ابنه مشاري أن يبقى في القصر ويشرف على أمور الدرعية ثم أرسل مشاري بن سعود إلى سدوس و حبسه هناك، وكان تركي، في ذلك الوقت مقيماً في الرياض، فسار إليها ليمسك بتركي، ولكن تركي أسرع في الخروج منها، هو وعشيرته الأقربون وخدمه وقصد حائر سبيع.

ثم عاد ابن معمر إلى الدرعية، وأرسل ابنه مشاري إلى الرياض، ودعا إلى بيعته، فبايع له أهل الدرعية وغيرهم، ولما علم بوصول جيش من الترك إلى القصيم، وعلى رأسه القائد أبوش آغا، وأنه نزل عنيزة وأطاعت له القصيم، أحب أن يسترضي الترك، فكتب إلى أبوش أنه (دولة سلطان) وأنه أمسك لهم مشاري بن سعود، وتقول وثيقة تركية أن أبوش استلم مشاري بن سعود مكبلاً بالقيود، وشكر لابن معمر همّته وكتب إليه إقراراً بإمارته في الدرعية.

تركي يقتل ابن معمر وابنه

انتقل تركي وأنصاره القلائل إلى ضرمى وأقاموا فيها، فأرسل إليها ابن معمـر ابنـه مشاري على رأس مائة مقاتل للقبض على تركي وجماعته، ونزل مشاري في القصر وتفرق بعض رجاله في بيوت حول القصر، وهنا تظهر لنا شجـاعة تركي ونباهته، وقد ذكرنا في المقدمة وصفاً لواقعة ضرمى البطولية، ونعيد تلخيصها عن ابن بشر، لأن هذا موضعها وزمانها.

في ضرمى :

يقول ابن بشر: ان ابن معمر كان بعث إلى أنصاره في ضرمى نجّاداً، وحمّله إليهم كتاباً يحيطهم فيه علماً بمسير ابنه مشاري، حتى يحسنوا لقاءه والالتفاف حوله.

ويشـاء القـدر أن يلتقي تركي بهذا الرجل ويتشكك في أمره، فيمسكه ويأخذ الكتاب منه ويقف على نية ابن معمر.

وهكذا أسرع تركي هو ورجاله إلى قصر في ضرمى ودخلوه وتحصّنوا فيه، وأخذوا من صاحبه كل ما عنده من سلاح.

. . ولّما خيّم الليل على البلدة خرج تركي من القصر، مع بعض رجاله، وذهبوا إلى دار يقيم فيها أحد أصحاب ابن معمر، وأمسكوا الخادم وذهبوا به إلى بيت مشاري، فقال تركي للخادم: تقدّم واستفتح على أهل هذا البيت، وإلا ضربت عنقك .

فاستفتح عليهم الباب، فلمّا فتحوا له، دخل عليهم تركي، وهم على النار مكتنفون بها، فضرب فيهم بالسيف، فأطفأوا النار، وهربوا وتسوّروا جدار البيت،

فجرح فيهم جراحات كثيرة، وأخذ سلاحهم، فلما فعل هذا تخاذل أصحاب مشاري بن معمر وأتوا إلى تركي وبايعوه، وهرب مشاري على فرسه ومعه فارس أو فارسان.

وأقام تركي في ضرمى، وأتى إليه أناس من أهل الجنوب وسبيع وغيرهم.

الإستيلاء على الدرعية

ويتابع ابن بشر أخبار تركي، فيقول: (انه سار من ضرمى، وقصد إلى ابن معمر في الدرعية، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة (١٢٣٥هـ)، فدخلها بمن معه، وقصد ابن معمر في قصره، فهمّ بالامتناع، فخذله أهل الدرعية وأصحابه، فأمسكه تركي وحبسه.

وكان ذلك الوقت الذي قدم فيه تركي الدرعية، قدم فيه قبله أهل سدير وأهل المحمل وافدين على ابن معمر، فأولم لهم وليمة لم يأكلوها، وأكلها تركي وأصحابه).

مقتل ابن معمر وابنه :

سار تركي بعد ذلك إلى الرياض، وأخذ ابن معمر معه، وفي الرياض نازل مشاري وأمسكه، وحبس الولد وأباه، وقال تركي لابن معمر:

(إن أطلقت مشاري بن سعود، أطلقتك وابنك، وإلا قتلتكما).

فكتب ابن معمر إلى عشيرته الذين في سدوس بإطلاقه، فامتنعوا أن يطلقوه خوفاً من الترك لأنهم قد وعدوهم قبضه وتسليمه إليهم.

ثم انه أقبل عسكر من الترك مع خليل آغا وفيصل الدويش، فنزلوا سدوس، وسلّموا لهم مشاري.

فلما تحقق تركي من أن مشاري أمسكه الترك، ضرب عنق ابن معمر وابنه مشاري، وذلك في آخر ربيع . ١٢٣٦هـ.

ويقص علينا ابن بشر ما كان بعد ذلك فيقول :

(سار الترك ومعهم الدويش من سدوس، وقصدوا الرياض، وثبت لهم تركي وحاربهم، فرجعوا وأقاموا في بلد ثادق نحو نصف شهر ثم رحلوا إلى بلد ثرمدا ونازلها الترك وأقاموا فيها.

وكان أبوش ومعه عسكر من الترك في عنيزة، وأرسلوا مشاري بن سعود إلى عنيزة وحبسه الترك عندهم فيها، ومات رحمه الله.

. . ثم ذهب الدويش ومعه عساكر الترك إلى بلدان سدير، وأخذ من أهالي كل بلد أموالاً وسلعاً، وجاء إليها الجلوية ونزلوها).

نقد رواية ابن بشر :

ليس معنى النقد التفنيد، ففي رواية ابن بشر من الأخبار الصحيحة الهامة ما لسنا نجده في مؤلف آخر، ولكن فيها جوانب تحتمل الشك، فابن بشر مثلاً يقص هذه الأخبار في حوادث سنة ١٢٣٥هـ بينما يجعلها الفاخري في سنة ١٢٣٦هـ وكذلك فعل الجبرتي.

وأما موت مشاري بن سعود الذي جعله ابن بشر في سجن الترك في عنيزة، فيقول الجبرتي: ان (إبراهيم باشا)، لما تعاظمت شوكة مشاري بن سعود، جهّز له عساكر، رئيسها حسين بك، فأوثقوا مشاري وأرسلوه إلى مصر، فمات في الطريق.

استيلاء الترك على الرياض :

يذكر ابن بشر، في أخبار سنة ١٢٣٦هـ قدوم حسين بك ـ الذي أشار إليه الجبرتي آنفاً ـ إلى القصيم، ومعه عساكر من الترك، وأنه (رحل منه، واجتمع بأبوش وعساكره وقصدوا الوشم، ونزلوا بلد ثرمدا، فلبث فيها حسين، وأمر على البلدان أن يغزوا، وأتاه من كل بلد عدة رجال من سدير والوشم والمحمل وغير ذلك) فسيّرهم مع أبوش وعساكر الترك إلى الرياض (ورئيسها يومئذ تركي بن عبدالله بن سعود بن محمد بن سعود) فتصدى لحرب الترك، وجمع عنده رجالاً، وظنّ أن أهل البلد يحاربون معه، فلما وصلت تلك الجموع البلد دخلوها بغير قتال، واحتصر تركي ومن معه من رجال القصر، فرماه الترك بالقبوس وحاربوه، فهرب من الليل وحده، فلما أصبح أهل القصر طلبوا الأمان من الترك، فأعطوهم الأمان وخرجوهم من نحو سبعين رجلا، ومعهم عمر بن عبدالعزيز

وأبنـاؤه الثـلاثـة، فقتلوهم عن آخـرهم صبرا، وحبس عمر المذكور وأبناؤه، وسيّروهم إلى مصر). [1]

الوثيقة ورواية الجبرتي:

وفي الـوثيقـة التركية رقم (٢٧٥) أن المحاصرين في قلعة الرياض كانوا (١٨٠) شخصاً، وأن الذين نفوا منهم إلى مصر ستة.

ويقول الجبرتي ان تركي هرب من القلعة ليلاً، وأن عمر بن عبدالعزيز وأولاده وأبناء عمه طلبوا الأمان على أنفسهم من حسين بك، فأعطاهم الأمان فخـرجـوا له، وقد قيّدهـم حسين وأرسلهم إلى القاهرة، (وهـم الآن مقيمون بخطة الحنفي). [2]

رواية الفاخري:

ويقول الفاخري في أخبار سنة (١٢٣٦هـ):

(. . فيها حشد تركي بمن معه، وسطا على ابن معمر في الدرعية فأمسكه في خامس ربيع الأول، ثم ذهب إلى ولده في الرياض فأمسكه أيضاً، وأراد أن يطلقـوا ابن عمه ليطلقهم فلم يتفق ذلك، لأن ابن معمر قد وعد الترك أن يمسك لهم مشاري بن سعود، ثم قدم خليل آغا والدويش وتسلموا مشاري.

(١) أنظر في الملحق ماكتبه ابن بشر عن الأحداث التي وقعت في نجد وعما فعله الترك في نجد بعد رحيل إبراهيم باشا.

(٢) أنظر حاشية المحقق على طبعة وزارة المعارف لتاريخ ابن بشر وتاريخ الجبرتي. وكتاب «وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي» لعبد الرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم.

فلما تحقق تركي الخبر، قَتَلَ ابن معمر وولده.

ثم سار خليل والدويش إلى الرياض فلم يدركوا شيئاً، فرجعوا إلى ثادق وأقاموا فيها، ثم إلى ثرمدا فنزلوا فيها.

ثم سار حسين بك وأبوش آغا من عنيزة حتى وصلوا إلى ثرمدا، ثم ساروا إلى الرياض ومعهم ناصر بن حمد وحمد آل مبارك، وسويد، وابن ماضي وغيرهم، وكاتب بعض أهل الرياض ناصر بن حمد، فلما قدموا، فرّ تركي بن عبدالله آل سعود لما رأى البوار، فاستولى عليها ناصر والترك، وسير من كان في الدرعية إلى ثرمدا، وقتل من كان في قصر الرياض.

وذلك في شهر جمادى الآخرة، وجملة من قتل سبعون رجلاً، منهم مبارك السلمة، وناجم بن دهنيم الحساوي، وخربوا الدرعية، ونقلوا (عمر) ومن معه من آل مقرن إلى مصر.

وأما مشاري بن سعود، رحمه الله، فمات في الحبس في القصيم.

ضعف شخصية مشاري

يقول لويس شيخو، في بحث له في مجلة «المشرق» التي كان يصدرها اليسوعيون في بيروت:

(.. قام أميراً على نجد، بعد نفي الأمير عبدالله: أخوه مشاري بن سعود، وكان قليل الدراية في التدبير، فلم يستطع أن ينظم ما اختلّ من الأمور بعد أخيه، ولم تطل مدته..).

ثورة عنيزة

تأتي ثورة عنيزة على الـترك، سنـة ١٢٣٨هـ، المحاولة الرابعة في ترتيبها الزمني لإقامة حكم منفصل، ولكنها تتميز عن غيرها من المحاولات، بأنها كانت ثورة شعبية ضد الأتراك المحتلين، وفي هذه السمة التي اصطبغت بها تلتقي بجهاد تركي، وتعد مدداً غير مباشر له.

وقد ذكر ابن بشر، في أخبار سنة (١٢٣٨هـ) أن حسين أبو ظاهر، بعد عودته من جبل شمر، نزل بلدة عنيزة وأنزل عساكره في بيوت البلد، فلما استقر فيها طلب عليهم عدداً من الأموال، وحبس أمير البلد عبدالله الجمعي ورجالاً من أكابرها، فسلّموا له بعض المطلوب.

ثم ان أهـل عنيزة لما عرفـوا غدره وأن ظلمـه في زيادة عزموا على حربه وإخراجه وعساكره من بلدهم، وأجمعوا على ذلك وثاروا عليه بعزيمة قوية وحملوا عليه في البيوت، فطلب الأمان، وأعطوه، وأخرجوهم منها صاغرين.

ونزل هو وعسكره خارج البلد.

وأقبل العسكر الذين في بلد ثرمدا فنزلوا عليهم في عنيزة، ورحلوا منها إلى المـدينـة. وأبقى أبـو ظاهـر (محمد آغا) ومعه نحو ستمائة من الترك في قصر (الصفاء) في عنيزة.

وبعد عدة أيام من رحيل أبو ظاهر وعسكره من القصيم، قام أهل عنيزة على العسكر الذين في قصر الصفاء وحاولوهم على الخروج منه بلا حرب، وان يلحقوا بأصحابهم فأبوا إلا الحرب، فثار عليهم أهل البلد وحاربوهم، ووقع بينهم قتال ومطالعات، ورموا أهل البلد بالقبس والطوب، وقتل من الترك نحو سبعين رجلاً.

ثم وقع الصلح وأخرجوهم من القصر بالأمان، وتركوا لهم ما بأيديهم من سلاح ومتاع. ثم ان أهل عنيزة هدموا قصر الصفاء. ولم يبق في نجد أحد من الترك غير العسكر الذين في الرياض ومنفوحة.

الباب الخامس

وقـد أنـقـذ المـولى لأمـرٍ يريده ... من الـترك «تـركـياً»، له النصر مركب

أتى «نجـد» والفـوضى يعجّ عجيجهـا ... بها زال ذاك الأمـن والـربـع مجدب

وكـل دَعّـيٍ بالإمـارة يَدَّعـي ... قد افـترقـوا ما بينهـم، وتـشعّبـوا . .

ومـا عاد حتى اسـترجـع الملك عنـوةً ... وبـ «الأجـرب» المشهـور يمنـاه تضرب

ـ خالد الفرج ـ

خطوات تركي إلى تأسيس دولة

عاد إبراهيم باشا إلى مصر، وهو مطمئن إلى أن أعماله في نجد تكللت بالنجاح التام، وأنه قضى على الدولة العربية القوية قضاء لا قيام لها بعده، وكان مستشاروه يؤكدون له أن بلدان نجد تفرقت، ولن تجمعها رابطة بعد اليوم، وأن الدعوة الدينية لم تتغلغل في نفوسهم ولذلك سرعان ما زالت بعد انتصاره. . وأن حكم آل سعود كان قويا بالجيش، وقد أبيد.

ورسائل إبراهيم باشا إلى أبيه «تبشره» بأن بلاد نجد لن تنهض من كبوتها، فهذا مستحيل.

كان ذلك مستحيلاً في نظر إبراهيم، ولكن الله سبحانه لم يحرم هذه الأمة رجالا يظهرون في الأوقات العصيبة والأيام السود، ويقودون الحركات التي تحرر بلادهم وتوحدها، ويسيرون بها في دروب المجد والعزة.

نبوءة مؤرخ فرنسي.

ومن أعجب الأمور أن المؤرخ الفرنسي مانجان، الذي أشرنا إليه من قبل، وكان مقيماً في مصر، وشاهد الأفراح والليالي الملاح، التي كان يقيمها محمد علي ابتهاجاً بقضائه على الدولة السعودية قضاء مبرماً، لا قيام لها بعده. . هذا المؤرخ الفرنسي لم يشاطر محمد علي رأيه، وتنبأ بأن الدولة السعودية التي بنيت على العقيدة والإيمان والأصالة، سوف تعود حتماً إلى الظهور، مهما تكن القوى التي تتظاهر عليها.

وهذه كلمات مانجان، نعربها، في شيء يسير من التصرف:

(إن المبادىء والأفكار التي صاغها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وسهر على نشرها وتحقيقها أمراء آل سعود، هي التي نثرت في تلك الأراضي العربية بذور الحضارة، وأخضعت إلى النظام أقواماً ما كانوا يعرفون نظاماً ولا رادعاً من النفس، وإنما كانوا غارقين في الفوضى، تتخطفهم جماعات الغزو والسلب والقتل. . كما هدت إلى الدين الصحيح أقواماً كانت تشيع بينهم الخرافات والضلالات. فغيَّرت دعوة الشيخ كل ذلك، وأحلَّت محلَّه ثقافة الدين، وشجاعة الإيمان، وصفاء النفوس، وتوقد العزائم، والشوق الدائم إلى المُثُل العليا.

. . واليوم . . استولى الترك على بلاد نجد، فأعادوها إلى ما يشبه حالتها الأولى من الفوضى! . .

ولكن بذور العقيدة التي أودعت بعمق في تلك الأرض الطيبة كالنفس الطيبة، سوف تنبت من جديد، والأغصان التي عرَّاها التركُ من أوراقها، سوف تورق وتنوّر وتزهر. . فتعود تلك الصحراء بستاناً، وتعود . . دولة الإيمان، التي ظن محمد علي أنه قضى عليها)!

عودة الوعي والشوق إلى المجد!

لم يستطع إبراهيم باشا وأعوانه وعساكره القضاء على إيمان الشعب في نجد، فقد كان إيماناً متغلغلاً في أعماق نفوسهم، ولم يستطيعوا أن ينتزعوا من قلوب الشعب هذا الحنين القوي إلى أمجادهم وهذا الولاء الخالص لزعمائهم الأوائل الذين بنوا لهم الأمجاد بدمائهم الزكية وشجاعتهم الخارقة وسهرهم الدائم الموصول على أمن الشعب وعزمه.

وهكـذا لم يمض قليل على رحيل إبراهيم باشا وجنده عن نجد، حتى تحققت نبـوءة المؤرخ (مـانجـان)، فبـدأت بلاد نجـد تعود إلى ذاتها، وتعي حقيقتهـا، وتـذكر ماضيها، وتنظر إلى مستقبلها، نافضةً عنها عار الاحتلال والتفرقة والضعف، وآخذة بأسباب المنعة والقوة.

يقول الشاعر:

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّـالهـم سادوا

لم تدم سيادة الجهّـال طويلاً، وبـدأ سراة القوم يظهرون، وأخذ الناس يتجمعون حولهم.

ظهر أول الأمر زعماء عشائر وأمراء بلدان يدعون إلى أنفسهم، في بلدانهم ومناطقهم، ونجحوا في إقامة إمارات لهم محلية، ولكن المثل العليا كانت تنقصهم.

ونهض زعيمان عربيان من آل معمر وآل سعود في الدرعية، يدعوان الناس إلى مبـايعتهما بالإمارة، ولكن نجاحهما كان قصير العمر جداً، لأنهما لم يكونا مجاهدين من نسيج الأبطال.

ثم ظهر تركي بن عبدالله، ووفقه الله.

ماكان الإمام تركي قادراً على جمع الناس حوله، لولا أن أهل نجد عرفوا فيه البـطل العظيم والمجاهد المؤمن، ولولا أنه حمل سيف الإسلام ورفع راية التوحيد، بل ما كان تركي ليستطيع، على جرأته وقوته ونباهته، إحياء الدولة السعودية بعد زوالها، وقيام دول الطوائف في كل مكان، لو أن أهل نجد لم يكونوا يحملون في أعماق نفوسهم عاطفة الولاء لآل سعود وشعور الاعتزاز بما صنعوه لأوطانهم، وكان (تركي) في نظرهم الوارث المرتجى لآل سعود، والذي جَسّدَ ببطولته آمالهم في حرية البلاد ووحدتها وقوتها.

ظهور تركي مرة ثانية ومحاربته للترك

ذكرنا قبل شيئا من الأعمال البطولية التي قام بها تركي، وثأره لمشاري بن سعود، ودخوله الرياض محارباً للترك، ثم اضطراره للهرب منها، بعد خذلان أهل الرياض له، وقد راح تركي يتنقل بين البلدان والعربان، يستخفي ويستعلن، ونزل بأخرة في بلدة (الحلوة)، من بلدان الحوطة، ويقول ابن بشر: (إن الله لمّا أراد اتمام نعمته على المسلمين وحقن دمائهم وجمع شملهم، رحل تركي بشرذمة من رجال الحلوة، وقصد بلد «عرقة»، وحارب الترك).

ثم يقول لنا في أخبار سنة (١٢٣٨هـ):

(في رمضان منها، أقبل تركي بن عبدالله من بلد الحلوة، المعروفة في الجنوب، ومعه نحو ثلاثين رجلاً ليس معهم سلاح، وقصد بلد «عرقة»، فنزلها واستقرّ فيها، وأول من سار إليه وساعده حمد بن يحيى، أمير ناحية الوشم).

ثم كتب تركي إلى سويّد، صاحب جلاجل، أن يقدم عليه بما يستطيع من الرجال، فجاء إليه ومعه رجال من جلاجل وسدير والمحمل ومنيخ، فرفع تركي راية الحرب، وعزم على المسير إلى الرياض لاخراج الترك منها، ولكن سويد فارقه، وفاجأته عساكر الترك، ومعهم مقاتلة من الرياض ومنفوحة، وحاصروه في (عرقة) حصاراً شديداً، فصبر لهم وقاومهم ببسالة، واضطرهم إلى الانسحاب.

وبقي تركي في (عرقة)، متأهباً للقتال.

تركي يكاتب البلدان ويستولي على ضرمى:

كان تركي يكاتب البلدان، كالخرج وثرمدا وحريملا وضرمى.. ثم بدا له أن يستولي على ضرمى بالقوة، فذهب إليها وليس معه إلا شرذمة قليلة، ودخل مسجد ضرمى، وكان أمير ضرمى ناصر السياري، على سطح المسجد فصعد إليه، وكان السياري (بطلاً شجاعاً، فلما عرف أنه تركي، وثب إليه، فتعانقا وتناشبا، ولزم كل منهما صاحبه، وحصل بينهما مصارعة وملازمة عظيمة، فلم يزالا حتى سقطا جميعاً من أعلى السطح إلى هابط، ولم يفلته تركي حتى قتله.

واشتهرت هذه القضية في نجد، وكان تركي رحمه الله له شجاعة وهمة تعجز عنها صناديد الأبطال والضراغمة الأشبال، فاستولى على ضرمى، وملكها وأقام فيها). [1]

---

(١) - ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد.

تركي يطفئ الفتن بين البلدان ويجمعها تحت لوائه بالحكمة والموعظة الحسنة وأيضاً بالقوة والتهديد

كان تركي بطلاً مقداماً في الحرب، ولكنه كان في السلم سياسياً حكيماً، وقد حقق بسياسته أضعاف ما حققه بحربه.

كانت الفتن والخصومات على أشدها في جلاجل وسدير والروضة والتويم والمجمعة وثادق. . فكاتبهم تركي ونصحهم حتى لانت قلوبهم، ثم نزل بلد (ثادق)، وكتب إلى أهل سدير (أن يكفوا عن الفتنة، ودعا من كان منهم سامعاً مطيعاً له أن يقدم عليه، فركب إليه جميع رؤساء سدير وبايعوه).

جلاجل والزلفي ومنيخ وحريملا والغاط ومنفوحة:

وبايعه كذلك أهل جلاجل والزلفي ومنيخ والغاط، وامتنع أهل حريملا عن البيعة، فهدّدهم تركي بالنزول عليهم بالسلالم، فخرج إليه رئيس البلد وبايعه.

ثم سار تركي إلى منفوحة فحاصرها بمقاتلته ونزلها وبايعه أميرها، وأخرج من كان فيها من العسكر.

الفتح المبين

تركي يستولي على الرياض ويتخذها عاصمة

ويجلي آخر عساكر الترك عن نجد

وفي ظل الحرية والوحدة يقيم دولته

وتــداعــت نجــدُ إلىٰ ظلّ تركـي   فارسِ الخيل والحســام الصــارم

* * *

أقســم البــاســل الأمـير يمينــاً   أن ستحيا تلك العـظام الـرمـائم

* * *

ليقــيمــنّهــا على الــترك حربــاً   تنقــل الــورقُ بَثَّهــا والحـمائم

يبعــث الخــرجَ والقصيم وشقــرا   وســديراً. . بواتــراً وعــزائــم

إرث عدنــان إن يَرُمْــهُ دخــيلٌ   فخــطاه على الـصـعيد مآتـم. .

* * *

قال: فلتصبــحِ «الــرياضُ» لنــا   داراً، تأوي إلــيهــا المـكــارم

دون أســوارهــا تلاشى الأعــادي   وعــلى بابهــا تموت المــظالم!

ـ بولس سلامة ـ

«ملحمة عيد الرياض»

كيف استولى تركي على الرياض وأخرج الترك منها

كانت الرياض، بعد خروج الترك من منفوحة، البلدة النجدية الوحيدة التي بقيت فيها حامية تركية، وكان عدد أفرادها ستمائة، وقائدها ضابط اسمه (أبو علي المغربي)، وكان أمير الرياض يومئذ: عبدالله العائذي، هادن الترك فاستبقوه أميراً، مكان أخيه الذي قتل.

سار تركي من منفوحة بجنوده إلى الرياض وحاصرها مدة، وقتل عدداً من مقاتلتها، وكان يرجو أن يدخلها ولكن مدداً جاءها ساعدها على الصمود، ولعل تركي اتخذ قراره بفك الحصار عنها وارجاء الاستيلاء عليها إلى يوم غير بعيد، بمزيد من القوة، وذلك بمجرد سماعه بدنو المدد وقبل وصوله، وهو ما نرجحه، فرجع بجنوده إلى ضرمى.

وأقبل فيصل الدويش بعربانه فزعاً لأهل الرياض كما يدّعي، وهو إنما يريد التقرب من الترك وتنفيذ أوامرهم ورغباتهم لغاية يخفيها في نفسه.

ويقول المؤرخ الفرنسي مانجان أن فيصل الدويش كان يطمع بإمارة نجد، لقاء الخدمات التي قدمها للترك، وقد أقام في الرياض مدة، وليس مستبعداً أن يكون كتب إلى إبراهيم باشا يلتمس منه تعيينه أميراً على نجد، فلما خاب أمله ابتعد بأخرة عن الترك، وهدّد بالذهاب إلى حدود العراق، كما يقول مانجان، وإن كنا في شك من روايته، وأن هذا الابتعاد حدث أثناء إقامة الدويش في الرياض.

ومهما يكن من أمر، فقد رحل فيصل الدويش بعربانه عن الرياض، ولم يبق أحد منهم عند المغربي.

ولما علم بذلك (تركي) وهو في عرقة يتأهب للحرب، أسرع في السير

بجنوده إلى الرياض، وحاصرها وضيّق عليها، واستطاع دخولها من غير قتال تقريباً.

ويصف لنا الأمير ضاري بن فهيد الرشيد الأسلوب الذي اتبعه تركي في الاستيلاء على الرياض وصفا قد يبدو خيالياً، ولكنه غير مستبعد، قال:

(كان تركي أول الأمر يغير على أطراف العسكر الذين في الرياض ويخيف العسكر، ويقتل من يظفر به منهم خفية ويمنعهم الأرزاق، لأن نجد مثل الصين، ان كثر فيها الجند جاعوا، وان قلّوا ضاعوا.

راجعوا إبراهيم، وإذا إبراهيم مشتغل في «حروبياته»، وبعد ما يئسوا من النجدة من إبراهيم، وكان تركي قد اجتمع عليه أهل نجد جماعات، منهم من سار معه، ومنهم من عاهده، خاطب العسكر، قائلاً:

إني قادر على إتلافكم، لأن أهل نجد معي عليكم، وان أردتم المسالمة نزملكم ونحفظكم إلى أن تصلوا إلى (المدينة)، فإن أبيتم فلا عندنا لكم إلا القتل!

وأنا رجل إن أتاني العسكر، هربت إلى الجبل الذي يتعذر عليكم فيه المسير، أكمن فيه النهار، وأغير الليل.

.. أما العسكر، لما رأوا الواقع، طلبوا الأمان، وأنهم يخرجون على ماقال لهم).

رواية ابن بشر:

ويقول ابن بشر، إن تركي، عند عودته إلى الرياض، بعد رحيل الدويش، حاصرها وقتل عدداً من رجالها، (ثم إن أبا على المغربي رئيس العسكر الذين في الرياض، كتب إلى تركي وطلب منه الصلح، عليه وعلى أهل البلد، فصالحه، على أن يظهر من البلد ويقصد أوطانه بجميع عساكره وآلاته.

وأخذ الأمان على أمير الرياض عبدالله، وعلى أهل الرياض).

الرياض

كان اختيار الرياض عاصمةً للدولة، من «أوليات» الإمام تركي، ومن «العلامات» البارزة للدولة السعودية الثانية، لأن الدولة السعودية الأولى كانت عاصمتها «الدرعية» فانتقال العاصمة إلى الرياض كان إيذاناً بمولد دولة جديدة، وانتقال الإمامة إلى تركي بن عبدالله كان كذلك إيذاناً بانتقال الملك من سلالة عبدالعزيز إلى سلالة أخيه عبدالله، وقد بقيت فيهم.

كانت الرياض تابعة للدرعية، فلما اتخذها تركي عاصمة، أصبحت الدرعية تابعة للرياض ـ واليوم امتد عمران الرياض، بحيث أصبحت الدرعية.. كأنها حي من أحياء العاصمة السعودية الرائعة الجمال.

لماذا اختار تركي الرياض؟

قد يقال إن الإمام تركي اضطر إلى الإقامة في الرياض، غير مخيَّر، فجنود محمد علي دمروا (الدرعية) تدميراً كاملاً، وكانت الرياض يومئذٍ من أعمر بلدان العارض وأقربها إلى الدرعية المتهدمة، فكان انتقال تركي إليها أمراً تفرضه طبيعة الأشياء!

ولكننا نرجح أن الإمام تركي ماكان ليستقر في الرياض، لولا معرفته بخصب روضاتها وسعة أراضيها ومقدرتها على مقاومة الغزاة، لا بسورها وحده.. وإنما بتلالها وأوديتها أيضاً.

تركي لم يدخل الرياض فوراً:

ولم يدخل تركي الرياض فوراً، وإنما أوكل دخولها واستلامها وضبطها إلى ابن أختـه مشـاري، وجعل معه رجالاً، ورحل هو بجنوده إلى ثرمدا، فنزلها وبايعه رئيسها، ثم نزل (شقراء) وأقام فيها شهراً.

ويقول ابن بشر إن تركي إنما فعل ذلك ليتحقق بنفسه من مسير المغربي وعساكره إلى المدينة، فقد كان يخشى إقامتهم في ثرمدا وعودتهم إلى القتال، فلما اطمأن إلى رحيلهم وخلو نجد من العسكر، سر بذلك كثيراً، ورحل من شقرا، وقدم الرياض، واستوطنها.

ويبدو من رواية ضاري أن تركي تعهد للترك بأن يحمي خروجهم حتى يصلوا إلى (المدينة المنورة) بأمان، فلم يكن انتظاره في شقرا خوفاً من تفكير الترك في البقاء.. وهذا أقرب إلى المنطق، لأن أوامر السلطان كانت توجب عليهم الرحيل، وإبراهيم باشا لم يأمرهم بالبقاء في نجد، يومئذٍ، وإلا.. لأرسل إليهم نجدات، ولكنه كان مشتغلاً بما هو أهم عنده وعند أبيه من الاحتفاظ بنجد!

عام الجماعة:

استولى تركي، بعد تحريره الرياض على نعجان والدلم وسلمت له السلمية وبايعته اليمامة.

ويقول ابن بشر، في أخبار سنة (١٢٤١هـ) ان هذه السنة لم تستهل، حتى كانت بلدان نجد كلها قد بايعت (تركي) وسمعت وأطاعت، سوى الأحساء وما يليها (فاطمأنت بعدله الرعايا، وأمنت البلدان والقرى، وخاف من سطوته أشرار البلدان، ولان لهيبتـه رؤسـاء العربان. ورفع الله بولايته من المسلمين المحن، وزالت عنهم الحروب والفتن.

وهناك أمر آخر، لعله لم يغب عن خاطر تركي، وإن أغفل المؤرخون ذكره في معرض كلامهم عن اختياره الرياض عاصمةً له، وذلك أن الرياض، إنما قامت على أنقاض (حجر) وحلت محلها، وكان (ابن درع)، رئيساً على حجر اليمامة.

ومن المعروف أن الدروع هم العشيرة التي ينتمي إليها مانع، جد آل سعود الأعلى، وقد استدعى رئيس حجر (مانعاً)، الذي كان مقيماً في قرية من قرى القطيف تسمى باسم العشيرة: (الدرعية)، إلى النزول عنده، وأقطعه أرضاً قريبة من حجر، فأقام عليها هو وأولاده بلدة حملت اسم بلدتهم القديمة.

فالرياض - وهي حجر الجديدة أو المتجددة - كانت الرئاسة لعشيرة تركي قديماً، ثم صارت لغيرهم، ثم استولى عليها الإمام عبدالعزيز بن محمد، ولكنه لم يتخذها عاصمة، وربما كان لبعض أفراد الأسرة السعودية فيها بساتين ودور.

ومهما يكن الأمر فإن اختيار الرياض عاصمةً، كان اختياراً موفقاً.

وتركي لم يكد يستقر فيها حتى شرع في بناء أسوارها المتهدمة، وإنشاء الأبنية فيها، وأجلّها: الجامع، والقصر، اللذان عرفا باسمه.

وقد قام كذلك بأعمال عمرانية هندسية كثيرة، مما جعل «فيلبى» يقول: إن آثار تركي (تمثل أعظم الأعمال الهندسية في عاصمته. وبقيت حتى تهدمت عام ١٩٥٠م، لتقوم مكانها أبنية عصرية أضخم وأوسع.

الرياض كما يصفها الدخيل

نشر سليمان الدخيل في مجلة «لغة العرب» البغدادية مقالاً بعنوان: «اقتسام إمارة آل سعود»، جاء فيه:

(لما انتقل كرسي الإمارة من الدرعية إلى الرياض. . وذلك بعد حرب إبراهيم باشا ووقعة الدرعية، أفرغ آل سعود كل ما في وسعهم لتحصين الرياض أشدّ التحصين.

أولا: يحق للرياض أن تكون روضاتٍ وجناتٍ في وجنات ديار العرب، وأرضها عبارة عن بساتين متناسقة، فإذا زدت على ذلك أن الطبيعة قد جعلتها من أحصن المواقع، بأن أطافت بها الروابي، قلت إنها جمعت بين محاسن حلب الشهباء وبدائع دمشق الفيحاء، لأنك تجد فيها كما في تينك المدينتين أسواراً قائمة وأبراجاً ماثلة، تذكر بالعصور الوسطى.

أما العروض أو جبال اليمامة، فإنها شمخت بأنوفها إلى فوق، بل رفعت رؤوسها نحو السماء، كأنها السنابل، وقد أحدقت بالأفق من جهة الجنوب، وهناك جبال أخرى تواري عن أنظارك رمال الدهناء.

والرياض هي اليوم من أحصن بلاد نجد، لأن حيطانها ثخينة، وأبراجها حصينة ذاهبة في السماء، وقصر أمرائها أمتن القصور، كأنه قلعة بديعة، والناظر إليه من خارج يظنه سجناً لا قصراً. .

وفي الرياض جامع كبير يسع أربعة آلاف مُصلٍّ. .

وفي الرياض من جياد الخيل ما لا ترى له أمثالاً في سائر ربوع العرب).[1]

(١) هذه المجلة كان يصدرها في بغداد الأب أنستاس الكرملي قبل الحرب العالمية الأولى.

الباب السادس

عبقرية الإمام تركي في الحكم

شهادة مؤرخين أجنبيين كبيرين لتركي:

لقد بهرت صفات تركي وأعماله كلًا من المؤرخين الكبيرين: الأمريكي (بيلي ويندر) والانجليزي (فيلبي)، ومن حقهما علينا أن ننوّه بخدمتهما الجليلة للتاريخ السعودي بعامة، ولتركي وفيصل وعبدالعزيز بخاصة.

كلمة ويندر:

يقول بيلي ويندر، في كتابه: (السعودية في القرن التاسع عشر)، ما ترجمته: (كان تركي حاكماً صالحاً في زمانه، ولكنه كان يملك من الصفات ما يؤهله لأن يكون حاكماً ممتازاً في أي زمان وأي مكان.

كان يستعمل القوة عند الضرورة، ويكفّ عن استعمالها ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وكان حليماً رحيماً، ولولا حلمه ما عفا عن خصمه مشاري، الذي دفع جماعته إلى قتله.

كان تركي معروفاً بكرمه وبرّه بالأرامل والفقراء.

وكان عادلاً، رفيقاً برعيته، حريصاً على الصالح العام، وكان تمسكه بالدين واضحاً.

لم يعمل أحد مثله في توحيد البلاد، وقد استعاد خلال إحدى عشرة سنة كل البلدان التي كان يسيطر عليها أسلافه، باستثناء الحجاز، ولو قدر له أن يعيش مدة أطول، فيغلب على الظن أنه كان يجنب البلاد المخاطر التي أحدقت بها بعده). (١)

كلمة فيلبي:

ويقول فيلبي، والترجمة للدويدري: (٢)

(يعود الفضل في نجاحه التام، خلال مدة قصيرة، إلى شخصيته، فقد كان يجمع في شخصه سحراً مغناطيسياً غامضاً، وشيئاً من السيطرة الذاتية غريبًا، هذا بصرف النظر عن الجو البطولي الذي أوجده بشجاعته وفروسيته.

.. وظهر أثره في برنامج إعادة بناء الأسوار المدمرة، وبناء القصر والجامع اللذين يحملان اسمه، وقد ظلت آثاره تمثل أعظم الأعمال الهندسية في عاصمته.

وبالإضافة إلى هذا النشاط العمراني، عمل تركي على إعادة الإدارة الفعّالة إلى أقاليم مملكته ومقاطعاتها، فعيّن في مناصب الإدارة والقضاء أشخاصاً يمكن الاعتماد عليهم في فرض هيبة النظام والمحافظة على الأمن).

---

(١) أنظر كتابه Saudi Arabia in the Nineteenth Century.

(٢) (تاريخ نجد)، ترجمة الدويدرى ـ بيروت.

كان تركي جامعاً لصفات الحكم :

يقول الذكير في تاريخه المخطوط، عن الإمام تركي :

(كـان رحمه الله جامعاً لصفات الحكم، يضع كل شيء في موضعه، لا يستعمل الشدة في الوقت الذي يصلح فيه اللين، ولا يعرف اللين في الموضع الـذي لا يصلحـه إلا الشـدة، شديد الوطأة على المجرمين، شديد العطف والشفقة على الضعفاء والمساكين، وقّافاً في كل أموره عند حدود الشرع لا تأخذه فيه لومة لائم، يتفقد عماله وأعمالهم، ويتتبع سيرهم، لا يطمع قوي بباطل ولا ييأس ضعيف من عدله).

الحكم في عهد تركي

يمكننا القول أن أساليب الحكم والإدارة في عهد الإمام تركي لم تكن تختلف عما كانت عليه في أيام الدولة السعودية الأولى. وسمتها البارزة: التزامها المطلق بأحكام الشريعة الإسلامية.

يقول (فيلبي) إن تركي كان أكثر تسامحاً مع الشيعة، من الإمام سعود، وكان يسهل للحجاج القادمين من فارس المرور عبر بلاده إلى الحجاز، بل يذهب فيلبي أبعد من ذلك فيقول ان الحماس الوطني كان العامل الأقوى في تشييد دولة تركي واستمرارها، لا الحماس الديني. وفي اعتقادنا أن (فيلبي) لم يكن على حق في استخفافه بالعامل الديني في زمان الدولة السعودية الثانية، ومن يتتبع أخبار تركي وابنه فيصل ويقرأ رسائلهما ومواعظهما يدرك مبلغ عنايتهما بأمور الدين، وهي عناية شديدة، موصولة، والتسامح ليس معناه فقدان الحماسة أو «فتورها»!

لقد أدرك المؤرخون الأجانب أنفسهم هذه الصفة الدينية البارزة في الحكم السعودي، في كل أدواره، فنعته (مانجان) و(بركات) بأنه حكم إسلامي.

وقال المستشرق الفرنسي الكبير (هنري لاوست) ـ الذي عني كثيراً بالفقه الحنبلي ورجاله ـ ان من يقرأ كتاب (السياسة الشرعية) لابن تيميه يستطيع القول ان هذه السياسة هي جوهر النظام المتبع في نجد.

لقد وصف لنا الماوردي في كتابه الجليل: (الأحكام السلطانية) الحكم الإسلامي، وصفاً دقيقاً ضافياً، تناول فيه كل أجهزة الدولة، من الإمامة والوزارة والإمارة والحسبة والشرطة والقضاء وغير ذلك، وذكر ما يجب أن يتحلى به كل والٍ وعامل من الصفات وما يقوم به من الواجبات، وأفاض في

اختصاصات ولاية المظالم التي تحمي الناس من ظلم يقع عليهم أو حيف ينزل بهم، ويمكننا القول، اجمالاً، ان كتاب الماوردي هو كتاب الحكم الإسلامي المثالي كما أحب هو أن يكون، وهو يشبه (المدينة الفاضلة) التي حلم بها بعض الفلاسفة، ولكنها لم تتحقق في زمانهم، أو تحقق منها القليل.

ولكننا نستطيع القول أن الحكم الإسلامي، كما جاء في كتاب (السياسة الشرعية) لابن تيميه، الذي أشار إليه (لاوست)، وكتاب: (الطرق الحكمية) لابن قيّم الجوزية، قد طبق فعلاً في عهود الأئمة السعوديين كلهم، لأن حكمهم التزم بالشرع الإسلامي إلتزاماً كاملاً.

والحكم في الدولة السعودية الثانية لا يختلف عن الحكم في الدولة السعودية الأولى، ومن يقرأ رسائل الإمام عبدالعزيز الوعظية ورسائل ابنه سعود، ويقارنها برسائل تركي وابنه فيصل يجدها متشابهة ونكاد نقول متماثلة من حيث الحرص على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وإذا ظهر بعض التشدد في بعض الأحيان فقد كان مبعث ذلك الخوف من أن يشجع بعض التغاضى التهاون في اتباع أوامر الدين ونواهيه، والله أعلم.

الإمام:

مما لاشك فيه أن الإمام هو قطب الحكم ومحوره، وهو صاحب السلطة العليا الشاملة، والرئيس الذي يهيمن على أجهزة الدولة ومواردها، يولي ويعزل، ويجبي الأموال ويصرفها، ويحارب ويسالم، فهل هو حاكم مستبد؟

والجواب: كلا، فهو لا يحكم بما تمليه عليه رغباته وشهواته، ولكنه ملتزم بأوامر الدين ونواهيه، ولا يستطيع حتى التفكير في صنع قوانين وأنظمة تخالف الدستور الأعلى المكتوب الخالد: القرآن، أو سنة النبي ﷺ. وما كان عليه

السلف الصالح في فجر الإسلام، فعقيدته تحميه من كل انحراف، وتهديه دائماً إلى الطريق المستقيم والمسلك السليم.

الشورى:

يقول ابن بشر في كلامه عن الإمام سعود انه (كان ذا رأي باهر وعقل وافر، ومع ذلك إذا همّه أمر أو أراد انفاذ رأى أرسل إلى خواصه من رؤساء البوادي واستشارهم، فإذا أخذ رأيهم وخرجوا من عنده أرسل إلى خواصه وأهل الرأي من أهل الدرعية، وكان رأيه يميل إلى رأيهم، ويظهر لهم ما عنده).

والحق أن الشورى، وهي من مبادىء الحكم الإسلامي، كانت من قواعد الحكم السعـودي في كل أدواره، وكيف لا تكون كذلك والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز، في سورة دعيت سورة (الشورى)، تنويهاً بمكانتها بين الصفات والأخلاق التي يتحلّى بها المؤمنون: ﴿والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة، وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقناهم ينفقون﴾.

ثم خاطب الله سبحانه رسوله الكريم، في سورة آل عمران:

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، ان الله يحب المتوكلين﴾.

وفي تفسير الجلالين: (وشاورهم): استخرج آراءهم (في الأمر) أي شأنك في الحرب وغيره، تطييباً لقلوبهم، وليستنّ بك..

الأمراء ورؤساء العشائر:

ان الإمام هو الذي يولي ويعزل، ولكنه لا ينفرد برأيه، فهناك نوع من

توزيع الأعمال و (الاختصاصات) وعادات وتقاليد متبعة، فآل الشيخ ومعهم أعيان العلماء من أهل نجد، هم الذين يرشحون للإمام الأشخاص الذين يسميهم قضاة ومحتسبين ومطاوعة أو ما اصطلح عليه بعد باسم جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من الولايات والأعمال، وربما أوكل إلى من يثق به من أمرائه وقضاته أن يتولوا هم أنفسهم من يرضون دينهم وكفاءتهم للعمل معهم سواء في الإدارة أو القضاء.

يختار الإمام أمراء البلدان، في أغلب الأحيان، من أصحاب الزعامات الموروثة والأسر المعروفة، وكثيراً ما يخلف الابن أباه أو الأخ أخاه، ليقع التسليم بهم، لمكانتهم.

أما رؤساء العشائر، فيُختارون بالطريقة المتعارف عليها في العشيرة، وكثيراً ما تنتقل الرئاسة من الأب إلى الابن، وللسن والعدد والثراء دور أيضاً في هذا الاختيار.

والإمام لا يتدخل في كل كبيرة وصغيرة من أعمال الأمراء في البلدان، إلا أن يبلغه عنهم ظلم وفساد فيردعهم ويؤنبهم بعزلهم، ويترك لرؤساء العشائر حرية التصرف ولكنهم ان اعتدوا على الحضر أو على عشائر أخرى أو امتنعوا عن دفع الزكاة أو ارتكبوا غير ذلك من المخالفات لم تكن لهم عند الإمام هوادة، فيغزوهم ويؤدبهم الأدب الذي يستحقونه.

يقول بعض الغربيين في وصف الحكم الذي كان قائماً في نجد انه حكم «لا مركزي»، أو اتحاد امارات، في ظل امام له السلطة العليا، ويتمتع فيه أمراء المناطق بالكثير من حرية التصرف.

السياسة الشرعية :

ومن يقرأ رسائل الأئمة السعوديين ومواعظهم ، ولا سيما رسائل الإمام سعود والإمام تركي ، يستطيع أن يستخلص منها الأمور التي كان كل إمام سعودي حريصاً على قيام ولاته بها ، ومن أهمها :

- الزام الناس بالصلاة في المساجد والحرص على صلاة الجمعة والعيد بالجوامع الكبيرة والساحات .
- مراقبة تأدية الزكاة من خير المال ، لا من رديئه .
- الزام كل أمير بأن يكلف جماعة من أهل بلده بطلب العلم ، وان احتاج في ذلك إلى مال فالإمام يرسل إليه حاجته .
- منع الربا ، صريحة أو بحيلة ، لأن بعض الناس يستحلون كثيراً من الربا بشبه ، ولذلك ترسل إلى البلدان أوراق مكتوبة بخط اليد (لعدم وجود المطابع ووسائل النشر المعروفة في هذا الوقت) فيتداولها أهل كل بلد ويقوم بقراءتها عليهم المتعلمون منهم ، وهي تتضمن أقوال العلماء من آل الشيخ و غيرهم في تبيان المحظورات من أشكال الربا التي تلبس على الناس في شكل بيوع .

ويأمر الإمام كل أمير أن يلزم المطوع بالإشراف على المبايعة ، وأن يختار من أصحاب الدين ثلاثة يتتبعون التجار والفلاحين في مسألة المبايعة ، وإذا وجدوا رفعوها إلى الأمير ، فإن لم يفعل شيئاً فالإمام نفسه يؤدبه .

- منع الغش في المكاييل والموازين ، وتوحيدها .
- القومة في الجهاد ، من إتمام السلاح الطيب والرجال ، والقومة على الخيل وتمام آلاتها .
- مكافحة الفساد ومنع «الرديين» من الاجتماع في المقاهي وغيرها .

وبالجملة الزام الناس في كل بلدة أن يقوموا مع أميرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- ومن أهم واجبات كل أمير احترام استقلال القضاة في أحكامهم ومساعدتهم على تنفيذها بالقوة، عند الاقتضاء.
- السهر على الأمن ومعاقبة العابثين به.

إستقلال القضاء

يقول بركارت: إن البلاد العربية التي لم تخضع للحركة السلفية الوهابية كانت تعيش في شبه فوضى، سواء في النظام أو القضاء، وأما البلاد الوهابية فكانت تنعم بنظام قضائي صالح وتطبق أحكام الشرع.

وكان القضاة مستقلين أحراراً في قضائهم لا سلطان للإمام ولا للأمراء عليهم، وهذه ضمانة كبرى للعدل، وكانت للقضاة منزلة كبيرة عند الحكام وبين الناس.

والقضاة لا يتناولون أجراً على قضائهم من المتخاصمين، فالدولة تجري عليهم أموالاً وأرزاقاً من بيت المال.

والقضاء سريع، وقريب من المتقاضين.

حكم تحضير

يصف بعض المؤرخين والكتّاب الغربيين الحكم السعودي بأنه حكم بدوي، ويصفون دولة نجد بأنها دولة بدوية، وهذا الزعم باطل لا أساس له.

والحقيقة هي أن الحكم السعودي في نجد كان حكم تحضير وتمدين، وقد سبق ما توصل إليه الحكم في أقطار عربية أخرى كانت تترك للبدو أن يطبقوا فيما بينهم أعرافهم وما يحبون من الأحكام، أما الحكم النجدي السلفي فكان يلزم البدو بتطبيق أحكام الشرع، المعمول به في المدن، ولذلك قال ابن بشر في كلامه عن سعود:

(انه أخضع رؤوسهم لأحكام القرآن، وأذعنوا لأوامره وحكمه، فلم يقدر أحد على مخالفة أمره).

وقد كافح سعود كثيراً من عادات البدو وأساليبهم وخصوصاً ماكان يدعى (الدخايل)، ـ وهو أن يلجأ القاتل أو السالب واللص إلى عشيرة، فتحميه، وتمنعه من كل طالب متتبع له، ولو كان أميراً أو قاضياً ـ وفرض كذلك الدية بدلاً من الثأر.

وكان تركي، مثله في ذلك مثل سعود، معروفاً بشدته على البدو، الذين يعتدون على الناس أو يخالفون أحكام الشرع.

موارد الدولة

موارد الدولة هي الموارد الشرعية، وأهمها: الزكاة، والغنائم، والفيء.

ولا نريد أن نعيد ما هو معروف من أحكام الزكاة والغنائم والفيء، ونحن لا نملك معلومات تاريخية عن المبالغ التي كان يجبيها عمال تركي وعن مقدار ما يدخل منها إلى بيت المال، ولكنها على التحقيق أقل كثيراً من الموارد في عهد الإمام سعود، وقد زادت موارد تركي بعد استيلائه على الأحساء.

ويقول المستشرق بركارت، الذي أسلم وعرف باسم «إبراهيم» وأقام في

القاهرة بعد عودته من الحجاز، في كتابه: (مواد لتاريخ الوهابيين)، يقول:

(إن الزكاة التي تؤخذ من الناس هي الزكاة الشرعية. والتجار يدفعون من رؤوس أموالهم واحداً من كل مائتي دينار أو من كل أربعمائة.. وزكاة الحضر تذهب إلى بيت المال.

أما زكاة البدو فتذهب إلى «خزانة مخصوصة».

وما ندري ما يعنيه بالخزانة الخاصة، ولعله يعني الخزانة التي يتصرف بها الإمام، مضافة إلى موارد أملاكه الخاصة وما يؤخذ من المخالفين للشرع نكالاً، ولكننا لم نجد فيما قرأناه من تواريخ نجد سنداً لرواية بركارت.

أما غنائم الحرب، فيقول بركارت إن الإمام يتناول منها الخمس، ولو كان قائد الجيش رجلاً غيره، وتتألف الغنائم في أغلب الأوقات من جمال وأغنام وجياد، فتباع فوراً وتوزع أثمانها على المقاتلين، فيأخذ الراكب على الجواد سهمين، والراكب على الذلول والماشي سهماً واحداً.

ونفقات الحروب يتكفل بها المقاتلون أنفسهم، ولذلك تبقى واردات الدولة بعد الحرب كما كانت قبلها وأكثر.. بعكس ما يحدث في الوقت الحاضر بعد الحروب!

وكانت للإمام موارد أخرى من رسوم يأخذها على الحجاج العجم الذين يذهبون إلى الحج عن طريق البلاد النجدية.

النقود المستعملة في نجد

جاء في تاريخ ابن بشر، في مواضع متفرقة، ان النقود المستعملة في نجد، هي: الأحمر، الجديدة، الحرف، الزر، المشخص، المحمدية، المطابق.

ويقـول «فيلبي» في كتـابـه: «قلب جزيرة العـرب» إن عملة أهل نجد المفضلة، هي: الريال ـ أي دولار ماريا تيريزا.

وفي مسقط عملة صغيرة هندية تدعى: (بيزا).

وفي الأحسـاء عملة خاصـة بأهلهـا تسمى: (الـطويلة) من النحاس، والطويلة تساوي ثلثي البيزا، ويقبلون أيضاً الروبية الهندية.

وفي نسخـة كتـاب «عنوان المجد» المحقق: أن (الجديدة) تساوي ست بيزات، وأن أهل نجد تعاملوا بالبيزة حتى سنة ١٣٤٧هـ، حيث أبدلها الملك عبدالعزيز، رحمه الله، بالقرش.

. . وكان عندهم الريال الفرنسي، وكان يصرف بثلاثين جديدة.

إحصاء السكان والمقاتلين

ليس بين يدينا إحصاء لعدد السكان في المناطق التي حكمها الإمام تركي، وقد أورد المؤرخ الفرنسي (مانجان) في كتابه: (تاريخ مصر) إحصاء لعدد الأشخاص الذين يمكن دعوتهم إلى القتال، ولعدد الشيوخ والنساء غير المحاربين، وهو إحصاء مقارب، زعم أنه أجري في زمن محمد علي، نذكره للاستئناس، من غير اعتماد عليه:

اسم المنطقة	عدد الأشخاص الذين يمكن استنفارهم للقتال	عدد الشيوخ والنساء والأطفال
العارض	١٥٠٠٠	١٧٠٠٠
الخرج	٢٠٠٠	٧٠٠٠
الوشم	٢٤٠٠	١٠٠٠٠
القصيم	٣٠٠٠	١٤٠٠٠
الجبل	٢٠٠٠	٧٠٠٠
وادي الدواسر	٦٠٠٠	٢٢٠٠٠
ضرمى	١٢٠٠	٦٠٠٠
الحريق	٣٠٠٠	٩٠٠٠
سدير	٦٠٠٠	٢١٠٠٠
الأحساء	١٥٠٠٠	٧٠٠٠٠

وقدر عدد الأشخاص الذين يمكن استدعاؤهم للقتال من الحضر والبدو بمائة ألف.

جوانب من سيرة تركي في ضيافته ومجالسه ومواعظه

وصف ابن بشر جوانب من شخصية تركي تتجلّى في عنـايته بالضعفاء ومجالس الدرس والنصح للرعية، قال:

العناية باليتامى والمنقطعين:

كانت اليتامى من كل بلد عنده في قصره، وكل أرملة ومنقطع ينال من احسانه وبره، وهو الذي يتولى الباسهم وكسوتهم بيده تواضعاً، كما لا يقدم إليهم الطعام إلا بحضرته.

مجالس الدروس:

وكان لا يخلّ بمجالس الدروس واجتماع المسلمين.

وفي كل يوم خميس واثنـين، يخرج من قصره، فيجتمـع النـاس لذلـك أجمعين، وكان العالم المقدّم في ذلك المجلس الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمـد بن عبـدالـوهاب، وكانت القراءة عليه: تارة في التفسير، وهو الأغلب، وتارة في الحديث أو في شرح كتاب التوحيد.

لينه مع الضعفاء:

.. ومن لطيف سيرته أنه يكون للضعيف في الغاية من التلطف والإكرام، ولين الكلام، وإطعام الطعام.

عند غدير وثيلان
تركي يجمع أمراء البلدان
ويحذرهم من ظلم الرعايا .. ويقول لهم:

«من ظلم أو تعدّى على رعيته فليس أدبه عزله بل أجليه عن وطنه وأهله»!

لما عاد الإمام تركي من الأحساء، نزل على غدير يقال له: «وثيلان»، فأمر على رؤساء النواحي وأمرائهم أن يجتمعوا عنده، فلما حضروا، قام فيهم مذكِّراً، فأول ما وعظهم به أن ذكّرهم نعمة الله عليهم بالاجتماع بعد الفرقة، والأخوة بعد العداوة والغناء بعد العيلة، واعترف عند ذلك بنعمة الله عليه وضعفه وعجزه وتقصيره وحقر نفسه، ثم إنه أغلظ الكلام على الأمراء وتهدّدهم وتوعّدهم عن ظلم الرعايا.

أخبرني من حضر ذلك الجمع، أنه قال:

(اسمعوا يا أمراء البلدان، اسمعوا يا أمراء المسلمين، إياكم وظلم الرعايا، والأخذ منهم غير الحق. فإذا ورد عليكم أمري بالمغزى حمّلتموهم زيادة لكم، إيّاكم وذلك، فإنه ما منعني أن أجعل على أهل البلدان زيادة ركاب لغزوهم إلا من أجل الرفق بهم، وإني ما حمّلتهم إلا بعض ما حملهم الذي قبلي. . والله تعالى وتبارك يقول: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وإن الله مع الصابرين﴾.

وإذا ورد عليكم أمري، فرحتم بذلك لتأكلوا في ضمنه، وصرتم كراصد النخل يفرح بشدة الريح ليكثر الساقط عليه، فاعلموا أني لا أبيح لكم أن تأخذوا من الرعايا كثيراً ولا قليلاً، فمن حدث منه ظلم أو تعدّى على رعيته بغير حق، فليس أدبه عزله بل أجليه عن وطنه وأهله.

ثم تكلم رحمه الله للرعايا، فقال:

(أيما أمير ظلمكم فأخبروني).

فقام أمير بريدة، عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن حسن، فقال: «يا إمام المسلمين خصّ بقولك ولا تعمّ به، فإن كنت نقمت على أحد منا فأخبره بفعله».

فقال ـ تركي ـ: (إنما القول فيك وأمثالك تحسبون أنكم ملكتم البلدان بسيوفكم وإنما أخذها لكم وذلّلها سيف الإسلام والاجتماع على إمام).

ـ ابن بشر في أخبار سنة ١٢٤٨هـ ـ

رسالة جامعة
من تركي بن عبدالله إلى الشعب والأمراء

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركي بن عبدالله إلى من يراه من المسلمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد..

فموجب الخط إبلاغكم السلام، والسؤال عن أحوالكم، والنصيحة لكم، والشفقة عليكم، والمعذرة من الله إذ ولّاني أمركم، والله المسؤول المرجو أن يتولّانا وإياكم في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، والله تعالى منعم يحب الشاكرين، ووعدهم على ذلك المزيد، قال تعالى:

﴿وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنّكم، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾.

فالذي أوصيكم به، تقوى الله في السر والعلانية، قال تعالى:

﴿ومن يطع الله ورسوله، ويخشى الله ويتقيه، فأولئك هم الفائزون﴾.

وجماع التقوى: أداء ما افترض الله سبحانه، وترك ما حرّم الله.

الصلاة:

وأعظم فرائض الله، بعد التوحيد: الصلاة.

ولا يخفاكم ما وقع من الخلل بها، والاستخفاف بشأنها، وهي عمود الإسلام، المفرّقة بين الكفر والإيمان، من أقامها فقد أقام دينه، ومن ضيّعها فهو

لما سواها أضيع، وهي آخر ما وصّى به النبي ﷺ. وهي آخر وصية كل نبي لقومه، وهي آخر ما يذهب من الدين، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

وبعض النـاس يتخلف عن الجـماعـة، ويصلّي وحده، أو في نخيله هو ورجاجيله والمسجد جار له، وفي الحديث: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد».

وهمّ النبي ﷺ أن يحرّق على المتخلفين بيوتهم بالنار، لولا مافيها من النساء والذرية..

وقال ابن مسعود: «لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق» وهذه أمور ما يخفاكم وجوبها.

إنكار المنكر:

ولكن الأكبـر: عدم انكار المنكر، وتزيين الشيطان لبعض الناس «أن كلا ذنبه على جنبه»..

وفي الحـديث: (لتـأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، ولتأخذنّ على يد السفيه، ولتاطرنّه على الحق أطرا، أو ليعمنّكم الله بعقابه).

الزكاة:

وكذلك الزكاة، بعض الناس يخلّ بها أو يستخفّ بها، ويجعلها وقاية دون ماله، والعياذ بالله. وأنتم تعلمون أنها من أركان الإسلام، قال الله تعالى:

﴿والـذين يكنـزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، فبشّرهـم

بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾.

وقال النبي ﷺ:

(ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حق الله منه إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، وأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره، كلما بردت أعيدت، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد، فيرى سبيله، اما إلى الجنة واما إلى النار).

ثم ذكر عقوبة مانعها من الإبل والبقر والغنم، وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز يعذّب به صاحبه.

ونصاب الزكاة تفهمونه، وعروض التجارة مثل الزرع، الذي يدّخره صاحبه، ولو كان من زرع قد زكي، إذا حال عليه الحول ـ وهو معدّ للتجارة ـ وجبت فيه الزكاة، أو تمر أو أثمانها، كل ما أعدّ للتجارة تجب فيه عند الحول ويزكيه صاحبه.

والله تعالى يبتلي الغني بالفقير، وطلب منكم اليسير، فمن أدّاها، فنرجو أن الله يقبلها منه، ويخلفها عليه، ومن مكر بها فالله خير الماكرين.

الربا:

وكذلك الربا، تفهمون أنه من أكبر الكبائر، وأن مرتكبه محارب لله ورسوله، قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا، إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾.

وقال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة، واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

وقال تعالى:

﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا. وأحلّ الله البيع وحرّم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف، وأمره إلى الله، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال:

(لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه).

فلعنهم سواء، فدلّ هذا الحديث على أن الرضى بالمعصية معصية، وأن من لم ينكر على العاصي، كالمرابي، فهو مثله. وفي حديث آخر:

(الربا سبعون حوبا، أيسرها مثل من ينكح أمه).

وفي الحديث أيضا:

(أربعة، حقّ على الله ألاّ يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاقّ لوالديه).

وفي حديث:

(ما ظهر الربا والزنى في قرية إلاّ أذن الله بخرابها).

ومن أنواع الربا بيع الطعام بالطعام إلى أجل، وبيع الذهب بالفضة، والفضة بالذهب والتفرق قبل القبض.

وفي الحديث:

(الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبرّ بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، يداً بيد، وزناً بوزن، كيلاً بكيل، فمن زاد أو استزاد فقد

أربى، الآخذ والمعطي، فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد).

ومنه: القرض الذي يجرّ منفعة، وفي الحديث:

(كل قرض جرّ نفعاً فهو ربا).

وكذلك قلب الدين بالدين على المعسر، إذا كان في ذمته دراهم فعجز عن وفائها، أسلمها إليه بطعام، وهذا يشبه ربا الجاهلية، إما أن تقضي وإما أن تربي.

وكذلك بيع العينة، وهي حرام، إذا كان عند رجل سلعة فاشتراها منه إنسان إلى أجل، ثم اشتراها الذي باعها بنقد، بدون ثمنها.

وأنـواع الربا ما يمكن حصرها، فيلزم المسلم الذي له معاملة أن يفهم أنواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيه، والجاهل يسأل العالم، والخطر عظيم يسخط الرب ويمحق المال، فأنتم استعينوا بالله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان.

المكاييل والموازين

وكذلك المكاييل والموازين، وأنا ملزم كل أمير يحضر مكاييل بلده، كبارها وصغارها وينظر فيها عن الخلل، وتكون على مكيال واحد، وكذلك تفعلون بالمـوازين، وتفقدوا الناس في كل شهر، ولا يحلّ بخس الكيل والميزان، ولو كانت المعاملة مع ذمي، كما في الحديث: (أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك).

المعاشر الرديّة

كذلك تفقّدوا الناس عن المعاشر الرديّة، والذين يجتمعون على شرب التتن والنشوق به.

مجالس الدرس والأمر بالمعروف:

وكل أهل بلد يرتبون مجالس الدرس في المجامع، فإن كانت خاربة يعمرونها، والذي يعرف عن مجالس الذكر يرفعونه لنا، وأنا مطلق الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، إذا كان عن علم: ينصح أولاً، ويؤدّب ثانياً، ومن عارضه خاص أو عام، فأدبه الجلاء عن وطنه، وهذا من ذمتي في ذمة كل من يخاف الله واليوم الآخر.

وأنا.. عون لكل مظلوم:

وأنا أشهد الله عليكم أنّي بريء من ظلم من ظلمكم، وإني نصرة لكل صاحب حق وعون لكل مظلوم.

اذكروا نعمة الله عليكم:

قال تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾

وأعزّكم بعد الذلّة، وجمعكم بعد الفرقة، وكثّركم بعد القلّة، وأمّنكم بعد الخوف، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم.

والسلام.

وصف سياسة آل سعود في نجد

وصف مؤلف «لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» سياسة الأئمة من آل سعود في حكوماتهم الأوائل، ننقل منها الفقرات الآتية بنصها:

الحصون والأمناء:

كان شأن آل سعود حينئذ، حيث تولوا بلداً كبيرة أو كورة صغيرة، بنوا حصناً في تلك البلد على حدة عن حصنها الأول إن كان لها حصن، ويحثوا حوله خندقاً إن كانت أرضه صلبة، وأحكموا بنيان القلعة ورتّبوا في الحصن قدر خمسمائة رجل عسكري، أو ألف رجل على قدر البلاد وخراجها، وسمّوهم «الأمناء»، إمّا من أهلها أو من غيرها من البلاد، ولكن بشرط كشف حالهم عن الاستقامة التامّة بحسب الاعتقاد بالدين، ويعيّنون لهؤلاء متاعاً كثيراً، ربما يكفيهم سنتين أو ثلاثاً، مما يُدّخر، ويجعل في الحصن أيضاً بارود وبنادق كثيرة كذلك، وربما جعلوا في بعض الحصون مدافع، ويعين لأولئك الجنود مدخول كثير، مثلاً يبلغ أجر كل واحد من هؤلاء الجند ثلاثمائة أو أربعمائة ذهب في آخر العام، وذلك لأنهم اتخذوهم حفاظاً للبلد عن كل أحد، وهذا الجند المرتب لا حاكم عليهم غير عشرة رجال منهم أمراء يحكمون بموجب ما لهم من إجازة الحكم الذي عينوا فيه.. فإن اتفقوا فعلوا وأطاعهم الجند وإلا فلا، وطاعتهم لهم بالنسبة لما قرّره إمام المسلمين وبيّنه، وإن اتفقوا على غير ذلك فلا طاعة لهم قط، وهم لا يخرجون عن الحصون أصلاً.

القاضي والمفتي:

وكانت عادتهم أن يجعلوا في كل بلدة كبيرة قاضياً ومفتياً، وفي الصغيرة

قاضياً فقط، ويعينوا لهم خرجاً من بيت المال.

وأيضاً يرتبون في كل بلد عمالاً لأخذ الزكاة، مثلاً بعض البلاد يجعل فيها أربعة وبعض سبعة بحسب الكبر والصغر وكثرة المدخول وقلته، وهؤلاء غير الحكام، فإن الحاكم لم يجعلوا له تولية في أخذ المال قط.

المحتسب (أو المطوع):

وكانوا يجعلون في كل بلد محتسباً يتفقد أحوال الناس بالتجسس عما هم عليه من صدق النية بالطاعة لهذا الدين، وماهم فيه من المعاملات الدنيوية كالبيع والشراء، كأن ينقصوا المكيال والميزان أو يفسد أحدهم بلصاصة أو تعدٍ على أحد، أو يعدل القضاة عن إقامة حدود الله بأخذ رشوة.

الحاكم والأمير:

ويجعلون في كل بلدة حاكماً من قبلهم، وينـزعـون من كان حاكماً قبل إيالتهم، ويجعلون في كل كورة أميراً، وهو أعظم شأناً من سائر حكام البلاد، لأنه قاهر على كل من في الكورة، وكانوا يقولون للأمير والقاضي والمفتي والعمال: عليكم بالتوافق في التدابير وجواري الأمور.

مع أهل البادية:

وأما شأنهم مع أهل البادية، فكانوا يقرون أمراءها القدماء فيها، ولا يعزلونهم وينصبون أناساً من غيرهم. نعم، إذا تمرد أحد منهم عزلوه وجعلوا أخاه أو ابن عمه مقامه، ذلك لأنهم عرفوا أن البدو لا ينقادون أتمّ الانقياد إلا للكبير منهم، وكانوا يجعلون في كل قبيلة قاضياً أو مفتياً وإمام صلاة، يقيمون

لهم الصلاة جماعة، ويبيّنون لهم حدود الله وأحكامه.

وكان البدو، قبل خروج هذا المذهب، يتحاشون عن متابعة الشرع.

وكان الأمراء إذا علموا من أكابر البداة من يبذل النفس في النصح والإخلاص لهم وللدين جعلوا أكثر خراج طائفته له، بل ربما قالوا له يكفينا منك مجرد الطاعة، وزكاة قومك لك!

لا يضربون ولا يقتلون غدراً:

وكانوا إذا رأوا الخلاف من أحد من أهل المناصب والأعيان، خلافاً كلياً، من البداة وغيرهم، يؤدبونه بعزل أو حبس، ولا يضربونه، فإن ألجأهم الأمر إلى أن يقتلوه قتلوه جهاراً إن تمكنوا منه، ولا يقتلونه غدراً وغيلة بنحو سمّ، وإذا وقع بين رعاياهم حرب أو قتل أو مطالبة مال يحملونه على منهاج الشريعة.

لا تجبر.. ولا حجاب:

ومن جملة وضعهم في الحكومة أنهم تركوا التجبر والتحجب، وأخذ شيء من أموال الناس بلا وجه بيّن، حيث أنهم يدعون أنهم على مسند رسول الله ﷺ.

وكان الغني والفقير عندهم بحال، ولهذا لا يجسر أحد ذو مال أن يتعرض بشيء على أحد، حتى الشتم والسب رفعوه، فلو قال أحد لأحد: يا فاسق، أو يا كلب، أو نحو ذلك التزم بهذه الدعوى ورفع أمره إلى حاكم الشرع، ولو كان الإمام نفسه.

الجلاء للمذنب.. ورواتب لأسر الشهداء:

وكان من جملة أوضاع حكومتهم، إذا أرادوا ردّ المعتدي، فإنهم إما أن

يأخذوا منه مالاً كثيراً، إن كان له، أو يجلوه عن وطنه إلى غير ملكهم أو إلى بلد نائية عن بلده وهي تحت يدهم.

وإذا مات أحد من الزهاد أهل الورع، أو مات أحد من رجال الحرب، أو قتل أحد منهم وكان له عيال ضعفاء من رجال ونساء، قرروا لهم قدر الكفاية، ويتفقدون أحوالهم.

الشعب وديون الدولة:

وقد يقع عليهم، في بعض السنين، دين كثير لا يفي بيت المال بوفائه، فيشهرون أنهم «مقروضون» بذلك، ولا يفي بيت المال به، فيشيع هذا بين الناس، «فيجيبون» إليهم، كل بقدره من المال، حتى يوفوا ذلك كله، وهذا يحصل عن طيب نفس، لا عن قهر وقوة.

وكان ذلك في ابتداء أمرهم بالحكومة، لما كانت نجد وحدها بيدهم.

بيت المال:

وكـــان من سياستهم أنهم يضبـطون كل المـداخـل في بيت على حدة، ويسمونه: «بيت المال»، ولا يسلطون عليه من شاؤوا، بل لهم قواعد تؤخذ منه بقدر الخرج المعتاد، فيزيدون الخرج شيئاً فشيئاً حسب اتساع الملك، وهذا بأمر من محمد بن عبدالوهاب.

نفقة الجهاد.. على المجاهدين:

وكان من عادتهم في الحروب أن يعينوا عَلى كل قبيلة وكل قرية أو مدينة أناساً للجهاد، ولم يجعلوا لهم وظائف أصلاً، بل يقولون هذا واجب عليكم،

حتى الذخيرة على من خرج للجهاد، وكانوا يقولون لكبير الطائفة وأمير البلد: رتبوا نفراً للجهاد حيث أردنا وأمرنا، فكانوا حسب ما أمروا به.

تضليل العدو على مقاصدهم . . وجواسيسهم:

وكانوا . . لا يؤمرون على الجيش إلا أحداً من بينهم، أو رجلاً من أهل البادية.

وإذا أرادوا أن يغزوا مكاناً شيعوا: (أننا نريد المكان الفلاني) وهم قاصدون غيره لئلا يبلغ خبرهم أهل تلك الديار فيحترزوا منهم.

وكان لهم جواسيس في البلدان التي لم تكن تحت أمرتهم، يترقبون الأخبار ويرفعونها إليهم.

أسلوب تركي في مغازيه

يقول ابن بشر:

(وأما سيرته في مغازيه، فإنه إذا أراد الغزو كتب إلى أمراء البلدان ورؤساء العربان، وواعدهم على مكان معلوم في يوم معلوم، ثم يخرج رحايل زهابه وزهبته، ومدافعه - ان كانت - وآلات ضيفه وعليق خيله، قبله بنحو خمسة عشر يوماً، ثم بعد ذلك يظهر الراية، فتركز قريباً من باب قصره، قدر يومين أو ثلاثة، ثم إنه يختار يوم الخميس أو يوم الاثنين - وهما اليومان اللذان يحب الخروج فيهما - فيخرج من قصره ويركب، متى علم أنهم تهيّأوا، فيقف له الفرسان من بنيه وعشيرته ورجاله على خيولهم، وَيقف له الرجال والأطفال والأرامل والمساكين، فيدعون له ويودّعونه، فيبذل لهم العطايا. ثم تنهض الغزاة بعده.

ويسير، ومتى وصل المكان الذي واعد المسلمين أن يجتمعوا فيه، ووجدهم قد نزلوا فيه، سار بالجميع وينزل بهم في منزل آخر قبل غروب الشمس، ويرحل بهم قبل شروقها، ويقيل الهاجرة، ولا يرحل حتى يصلي صلاتي الجمع: الظهر والعصر فإذا وصل إلى عدوه شنّ عليهم الغارة، وقليل من يقف له، بل الأكثر إذا سمعوا به قد خرج أوقع الله الرعب في قلوبهم وانهزموا، وإذا استولى على عدوه، قتل المقاتلة، وترك النساء والأطفال والشيوخ، وأخذ الأموال، ولم يقتل أحداً صبراً.

الخروج لغير الغزو:

فإن لم يكن قصد عدوا، نزل بالمسلمين في موضع، وأقام فيه على حسب ما قصده من المصالح للمسلمين، فتخط المساجد، كل أهل ناحية يخطون لهم مسجداً، وفيهم أمام راتب يجتمعون للصلاة وراءه، وبعد فراغه يصلي امام ثان بالمتخلفين عند المتاع، ولا يصلي أحد منفرداً.

مجلس الوعظ والدروس:

ثم يرتب المجلس، بعد صلاة العصر، في صيوان الإمام تركي، فيجتمع المسلمون عنده من كل ناحية، فيعظهم العالم الذي عنده ويذكرهم - وكان أكثر من يغزو معه من قضاته: الشيخ إبراهيم بن سيف، لأن آل الشيخ مشغولون بالتدريس والتعليم - وأكثر القراءة في ذلك الدرس في الحديث أو التفسير أو في السيرة، وبعض الأحيان تكون في السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيميه.

قبض الزكاة:

وتقدم عليه وفود العربان في ذلك الموضع ويفرق العمال لقبض الزكاة من جميع العربان، من إبلهم وأغنامهم، ويأخذونها على الوجه المشروع، وإن كان في وقت الثمار بعث عمالاً، لكل ناحية عاملة يخرصون الثمار، وأكثر إقامته في وقت الربيع لأن فيه مصالح كثيرة، وهو وقت اختلاف العربان، فإذا فرغ من مقاصده رجع قافلاً، وأذن لأهل النواحي.

الجوانب العاطفية في شخصية الإمام تركي

لم يكن تركي عظيماً بشجاعته وقوته ومواهبه فحسب، ولكنه كان إلى ذلك عظيماً بخلقه، كان «إنساناً»، بأحلى معاني هذه الكلمة، يحب شعبه، ويحرص على سعادته، ويكره أن ينزل به ظلم من أمير أو متغلب، أو يمسه ضيق في معيشته، ويقول ابن بشر:

(كانت اليتامى من كل بلد عنده، في قصره، وكل أرملة ومنقطع يحسن إليه ويبرّه، وهو الذي يتولى إلباسهم وكسوتهم بيده تواضعاً، كما لا يقدم إليهم الطعام إلا بحضرته، وكان لا يخلّ بمجالس الدروس واجتماع المسلمين).

كان، كما يقول علماء النفس «غيريا» ولم يكن «أنانيا»، ولذلك خدم كلا من ابن معمر، ومشاري بن سعود، وساعدهما، ولم ينازعهما على الإمارة.

ولكنه كان يكره الخيانة والغدر كرها شديدا، ولذلك قاتل الخونة والجواسيس الذين كانوا يوالون الغزاة الترك، ولم يتردد في الثأر لمشاري بن سعود، حين غدر به ابن معمر.

كان تركي طبيبا، يداوي المرضى من أبناء شعبه، بالأساليب المعروفة في زمانه، وقد تعلمها بالسماع من العارفين والمجربين، وحذقها واستطاع، بإذن الله، أن يشفي بها كثيرين.

وكان شاعراً، يعبر عن عاطفته بشعر نبطي رقيق، لا يصعب على أي عربي فهمه لقربه من اللغة الفصيحة.

وتعدّ قصيدته الرائية، التي يعتب فيها على (مشاري)، ابن أخته،

ابن عمه، من أجمل الشعر النبطي، ويقال انه بعث بها إلى مصر، حيث كان مشاري مقيما. . وكان مجيئه إلى نجد سبباً إلى فتن انتهت بمصرع الإمام

رسالة شعرية من الإمام تركي إلى ابن عمه مشاري

طار الكرى،عن موق عيني وفرا ... وفزّيت من نومي طرا لي طواري
وأبديت من جأش الحشا ما تدرا ... وأسهرت من حولي بكثر الهذاري
خط لفاني زاد قلبي بحرا ... من شاكي ضيم النيا والعذاري
سِرْ ياقلم واكتب على ماتورا ... أزكى سلام لابن عمي (مشاري)
شيخ على درب الشجاعة مضرّا ... من لابة يوم الملاقا ضواري
ياما سهرنا حاكم على ما يطرا ... واليوم دنيا ضاع فيها افتكاري
أشكي لمن يبكي له الجود طرا ... ضراب هامات العدا ما يداري
يا حيف يا خطو الشجاع المضرا ... في مصر مملوك لحمر العتاري!
من الزاد غاد له سنام وسرا، ... من الذل شبعان، من العز عاري!
واشعاد لو تلبس حرير يجرا ... وامتوج تاج الذهب بالذراري؟
دنياك يا ابن العم هذي مغرا ... ولا خير في دنيا حلاها مراري
تسقيك حلو ثم تسقيك مرا ... ولذاتها بين البرايا عواري
اكفح بجنحان السعد لا تدرا ... فالعمر ما ياقاه كثر المداري
مافي يد المخلوق نفع وضرا ... ماقدر الباري على العبد جاري
واسلم وسلم لي على من تورا ... واذكر لهم حالي وما كان جاري
إن سايلو عني فحالي تسرا ... قبقب أشراع العز لو كنت داري
اليوم كل من عميله تبرا ... وحطيت الأجرب لي عميل امباري
رميت عني برقع الذل برا ... ولا خير فيمن لا يدوس المحاري
ثم الصديق إليّ سطا ثم جرا ... يودع مناعير النشاما حباري[1]

---

(١) وفي رواية ثانية:

(إذا كل خوى من خويّه تبرا ... حملت أنا الأجرب خويا مباري)

ونزلتها غصب بخير وشرا وجمعت شمل بالقرايا وقاري[1]
وحصنت نجد عقب ماهي تطرا مصيونة عن حر لفح المداري
والشرع فيها قد مشى واستقرا ويقرا بنا درس الضحى كل قاري
زال الهوى والغي عنها وفرا ويقضي بها القاضي بليا مصاري
وإن سلت عمن قال لي لا تزرا نجد غدت باب بليا السواري
وما سلت عمن قال لي ما تدرا حطيت الأجرب لي صديق مباري
ومن أمن الجاني كفا ما تحرا وتازى حريمه بالقرايا وجاري
وأجهدت في طلب العلى لين قرا وطاب الكرى مع لابسات الخزاري
ومن غاص غبات البحر جاب درا ويحمد مصابيح السرى كل ساري
وأنا أحمد اللي جاب لي ما اتحرا وأذهب أغبار الذل عني وطاري
والعمر ما يزداد مثقال ذرا عمر الفتى والرزق في كف باري
وصلاة ربي عدّ ما خط قرا على النبي ما طاف بالبيت عاري

---

(١) وفي رواية ثانية:

(نعم الخوى إلى سطا ثم جرا يودع مناعير القبايل حبارى

غزوات تركي ضد البدو

توطئـة:

بايعت بلدان نجد كلها لتركي على السمع والطاعة، فلم يحتج لقتال أي بلد، فكـانت غاراته كلها على البدو، إما تأديباً لهم لعدوان وقع منهم، وإما لامتناعهم عن دفع الزكاة.

وربما سار إلى بعض بلدان نجد، لحسم خلاف داخلي بين زعمائها، لا لغرض آخر.

منقـولة عن ابن بشر، بشيء من الاختصار وبعضها وقع بعد الاستيلاء على الإحساء ولكننا أثرنا ذكرها هنا لوحدة الموضوع، دون مراعاة الترتيب الزمني.

في سنة ١٢٤٣هـ

غارة على عرب من بني خالد

بعث تركي ابن عمه مشاري بن عبدالرحمن، ومعه غزوان أهل العارض وسدير والمحمل ومنيخ للإغارة على آل عبيدالله، من بني خالد، وكانوا نازلين في حفر «العتك»، المعروف، فحصل بينهم قتال وأخذ المسلمون كثيراً من أغنامهم وأثاثهم، وجرح مشاري جرحاً خفيفاً لمباشرته القتال، ورجع قافلاً.

في سنة ١٢٤٣هـ

غارات على عربان من هتيم والدواسر والعجمان ومطير:

١ - سار الإمـام تركي بمقاتلة من الخرج والعارض والفرع وسدير وغيرهم،

وأغار على عربان من هتيم وغيرهم، فنازلهم وقتل منهم عدة رجال وأخذ المسلمون كثيراً من أغنامهم وأثاثهم، ثم رحل.

٢ ـ ونزل بلد القراين، وكان عربان الدواسر في تلك الأرض، فنازلهم وأراد أخذهم، فطلبوا منه العفو فعفا عنهم وأخذ منهم الزكاة لهذه السنة وللسنة الفائتة، وأخذ منهم النكال على كل إبل ناقة، ثم قفل راجعاً إلى وطنه وأذن لأهل النواحي بالقفول.

٣ ـ وغزا أيضاً من الرياض، وأغار على آل أبا الحسن من الدواسر، وهم في أرض الخرج، فأخذهم. وأغار على عرب من قحطان عند الخرج.

٤ ـ سار تركي بمن معه من أهل العارض وحريملا والوشم، وأغار على عربان العجمان، وهم عند (بنبان) المعروف فأخذهم.

٥ ـ وسار بجيوشه من جميع العربان وقصد جهة الشمال وأغار على (السويقي وعربان من الملاعبة، من مطير، وهم من أرض الصمان، فأخذ أوباشهم، فلما حازها أتاهم مدد من حولهم من مطير وغيرهم من بني خالد، فأمر المسلمين أن يحفوا بالغنيمة من كل جانب، فقاتلوهم دونها بالرصاص والسيف، وردوهم على أعقابهم خائبين، ورجع تركي ورجاله غانمين.

٦ ـ أمر تركي على ابنه فيصل فركب في مائتي مطية، وأغار على عربان للصقور من عنزة، وهم على ماء قرب الدهناء، فأنذروا عنه، وهربوا، ورجع قافلا).

سنة ١٢٤٦هـ.

٧ ـ في شعبان، سار الإمام تركي بجميع رعاياه من أهل وادي الدواسر والجنوب والأحساء وسدير والوشم والقصيم وجبل شمر وعربانهم، فقصد الشمال ووافق فهيد الصيفي، رئيس سبيع وأتباعه وبني حسين وأخلاط

معهم من غيرهم، وهم نازلـون بين (حفر الباطن) والوقيا، وهما ماءان معروفان، فصبحهم بجنوده وأخذهم.

فلما حاز أمـوالهم، حضر عنده رؤساءهم وادّعوا أن لهم عنده ذمة وعهداً، فردّ عليهم جميع ما أخذ منهم.

سنة ١٢٤٧هـ

٨ ـ سار فيصل بن تركي بشوكة المسلمين من العارض والجنوب وسدير والوشم وغيرهم، ومعه أخلاط من عرب سبيع والسهول وآل العجمان وبني حسين وغيرهم، وقصد عالية نجد وشن الغارة على أعراب مجتمعة على (طلال)، المـاء المعـروف في عالية نجـد، من عتيبة وغيرهم، رئيسهم سلطان بن ربيعان، فلما داهمهم فيصل وجنوده انهزم الأعراب وصار المسلمون يقتلون فيهم ويغنمون وكان ابن بصيص وعربانه من بريه وغيرهم قريباً منهم، فاستصرخهم العتبـان فأقبلوا إليهم فقـويت قلوب العتبـان وكـروا على المسلمين وهم متفرقون يحوزون الغنائم، فحصل على المسلمين هزيمة، فركب فيصـل في شجعان قومه وحموا ساقة المسلمين ومعهم من الغنيمة ثلاثة آلاف بعير، ونزلوا بلدة القويعية، ثم أذن فيصل لغزوانه بالرجوع لأوطانهم). (١)

---

(١) هذه الرواية نقلناها من طبعة قديمة لتاريخ ابن بشر، أما الطبعة الجديدة لدارة الملك عبدالعزيز ففيهـا ان الأمـير فيصـل، بعد الهزيمة التي حصلت على المسلمين (ركب جواده)، وثقل في الساقة، ومعه أعيان من شجعان قومه وحمى ساقة المسلمين فكر عليهم بمن معه كرات وأوطأهم سنابك الخيل مرات، وقلعوا عليهم خيل، وأخذوا منهم ركاب، وانهزم المسلمون ومعهم من غنيمتهم ثلاثة آلاف بعير. ثم قفل فيصل.

سنة ١٢٤٨هـ

٩ - أمر الإمام تركي على رعاياه من أهل الجنوب والوشم وسدير والقصيم وغيرهم ومن تبعهم من الأعراب بالغزو مع ابنه فيصل، فركب فيصل من الرياض بغزو العارض، واجتمعت عليه غزوانه، وعدا علي ابن عشبه وعربانه مع عنزة، وهم نازلون في الدهناء، فسبقه النذير إليهم، وانهزموا هاربين، فحرف جيوشه، ونزل بلد المجمعة.

١٠- سار الإمام تركي من الرياض في أول شوال، وعدا على فلاح بن حثلين وعربانه من العجمان وأخلاط معهم من العربان، وهم على أم ربيعة، الماء المعروف في ديرة بني خالد، ونازلهم، فسبق النذير إليهم فانهزم من منزله ذلك هو وعربانه، فنزل الإمام تركي غزواته على أم ربيعة، فلما استقر بها، رجع إليه المرضف وأتباعه من آل مرة، وصالحه على نفسه ومن تبعه من عربانه، فلما علم ابن حثلين بذلك داخله الرعب، وركب قاصداً تركي، وألفى عليه بلا ذمة ولا عهد، فقيّده بالحديد.. ثم أرسله إلى الرياض واعتقله فيها.

الباب السابع

فتح الأحساء
سنة ١٢٤٥هـ

الأحســاء

الأحساء جمع حسا، وهو رمل يغوص في الماء حتى إذا صار إلى صلابة الأرض أمسكته، فتحفر عنه العرب وتستخرجه.

والأحساء بلد ذات نخيل كثير، ومياه جارية، وينابيعها حارة شديدة الحرارة.

ونخيلها بقدر غوطة دمشق، مستدير عليها.

وأهل الحسا والقطيف يجلبون التمر إلى الخرج (في وادي اليمامة) ويشترون بكل راحلتين من التمر راحلة من الحنطة.

ـ من تقويم البلدان، لأبي الفداء ـ

الأحساء ـ ملك كثير الخير، كالبصرة في كثرة الطعام والأشجار والأنهار. . وفيه من الأرز شيء يكفي جزيرة العرب قاطبة، ومن الثمر كذلك.

ولم يُبسط الملك لآل سعود، حتى أخذوا الأحساء. . وكل طائفة هلكت بالقحط من أطراف مملكة آل سعود يأمرهم بالذهاب إلى الأحساء فتردّ حالهم في أقل الأيام، وما ذلك إلا من بركةٍ فيها وحاصلٍ كثير.

ـ لمع الشهاب ـ

نبذة تاريخية مختصرة عن تطورات الحكم في الإحساء

لم تكن الأحسـاء، حتى القـرن الثالث عشر للهجرة، معدودة من دولة نجد، ولا خاضعة لأحد من أمراء نجد، ونستطيع القول أن أمراء الأحساء والقـطيف هم الذين كانت لهم الصولة والجولة في كثير من البلدان النجدية، وكـانـوا يقومون بغزوات على القصيم وغيرها، ويجدون بين النجديين أنصاراً يساعدونهم على عدوانهم، بسبب اختلافهم على الزعامات المحلية.

مدة ولاية بني خالد:

من الثابت تاريخياً أن شيوخ العشائر، المعروفة ببني خالد، استولوا على الأحساء، أو ما يعرف اليوم باسم «المنطقة الشرقية»، من سنة ١٠٨٠هـ حتى سنة ١٢١٠هـ، وكان لأمراء بني خالد قوة وهيبة، حتى سمّى بعض المؤلفين الشيخ سليمان آل حميد: ملك الأحساء![١]

وقد كان لهم نفوذ كبير في بلدان نجد، لأن نجد كانت متفرقة، ولما تضاءل نفوذ أشراف مكة فيها، حلَّ محله نفوذ أمراء الأحساء.

---

(١) كانت الأحساء قبل ذلك تخضع للحكم العثماني، الذي أنهى حكم آل جبري في الأحساء، ثم جاء (براك) زعيم بني خالد، وأخرج الترك منها ـ وكان وجودهم فيها ضعيفاً يمثله «باشوات» لا قوة لهم ولا مدد.

الدرعية وحدها.. قاتلتهم!

ولعل الدرعية من بلدان نجد القلائل التي رفضت الخضوع لأمراء الأحساء وقاومت غزواتهم وطردتهم عنها، ويذكر ابن بشر في سابقة ١١٣٣هـ أن سعدون آل عريعر قضى فصل الصيد في العارض (وحجر الكثير في العارض كل فصل الصيف، وأظهر المدافع من الأحساء، ونزل «عقربا» المعروفة.. ثم سار إلى الدرعية، ونهب فيها بيوتا، في الظهيرة وملوى والسريحة، وقتل أهل الدرعية من قومه قتلى كثيرة).

من الإحساء رخاء نجد
ومنها أيضاً.. العدوان والمصادرة

يقول الدكتور (أبو حاكمة) إن أهل نجد كانت تأتي إليهم القوافل محملة بالسكر والقهوة والبهارات الواردة إليهم من الهند بطريق القطيف والعقير، وان أهل نجد يلتفتون إلى الأحساء متى حلَّ بهم الجدب، ولبعض شيوخهم بساتين في الأحساء، ويقرر أن بعض بلدان نجد لم تنعم بالأمان نسبيًّا إلا لأن أمراء الأحساء كانوا حراصاً على استتباب الأمن والأمان لتبقى التجارة مزدهرة والحياة رغيدة، وبرغم ذلك ماكان شيوخ الأحساء يمتنعون عن غزو البلدان والعشائر النجدية، كلما امتنع هؤلاء عن دفع (الخوّة) أو الزكاة أو تقديم الهدايا إليهم.

فبراك بن عرعر، مثلاً، وصلت قواته إلى الدرعية، ولما خلفه أخوه محمد زحف بعربانه، إلى الخرج ووادي حنيفة وسدير، وفي عهد سعدون بن محمد كانت غزوةُ الخرج والعارض، ونهب أطراف الدرعية. (١)

---

(١) انظر «تاريخ نجد «لفيلبي»، وهو يزعم في رواية له، لا يُسمّي مصدرها، أن (سلطان بن حمد القبس) الذي حكم الدرعية من ١١٠٧هـ حتى ١١٢٠هـ (ثم قتله أهل الدرعية) كان واحداً من بني خالد.

وانظر أيضاً كتاب (تاريخ الكويت) للدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة، وكتاب «تاريخ العرب الحديث» للدكتور عبدالكريم محمود الغرايبة.

قوة بني خالد . . وزوالهم!

ومما يلفت النظر أن شيخ الأحساء، عند ظهور الدعوة السلفية الإصلاحية في نجد، وهو: (سليمان بن محمد آل حميد)، رئيس بني خالد، كان قوياً جداً ومرهوباً في جميع البلدان النجدية، فلما بلغه أن أمير العيينة، يناصر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بلدته، أمره بالتخلي عنه، وقتله أو نفيه، فلم يستطع مخالفتـه، مع ما بينه وبين الشيخ وأسرته من صلات وعهود، ومع أن العيينة كانت في ذلك الوقت من أقوى بلدان نجد وأعمرها وأغناها.

ومن المفارقات . . أن غارات أو «حروب» شيوخ الأحساء ضد الدرعية، بعـد احتضـانها للدعـوة السلفية ونصرتها، كانت تخفق كلها، لا بسبب قوة الدرعية، فلم تكن الدرعية، في عهد محمد بن سعود ولا في أوائل عهد ابنه عبدالعزيز، تملك من أسباب القوة مايجعلها تتغلب على أمراء الأحساء، ولكن الله سبحانه لمّا أراد النجاح للدعوة هَيَّأ لها الظروفَ . . فكانت الخلافات تدبُّ في صفوف رؤساء بني خالد، أو تنزل بهم مصائب مفاجئة، كالموت وغير ذلك، فتقع الفوضى في عساكرهم ويتراجعون هاربين!

ومن الأمثلة التي تضرب على حظهم العاثر أن زعيمهم القوي سليمان آل حميد، هرب من بلاده خوفاً على نفسه من القتل، والتجأ إلى نجد، لأن أفراداً من أسرته ثاروا عليه، ثم دبّ الخلاف بين ورثة ملكه فأضعفهم ومزّقهم شر ممزق.

يقول صاحب (لمع الشهاب):

(إعلم أنه لمّا أراد الله ذهاب دولة الخوالد، وضع الشقاقَ بينهم، فصار كلّ من آل حميد يجرّ شعباً من القبيلة لنفسه، ليقوى أمره، فينالُ الرئاسة . .).

ويقول ابن بشر، في أخبار سنة ١٢٠٠ :

(وفيهـا دبّت بين بني خالـد الفتن، واستحكمت في قلوبهم الشحنـاء والإحن. . فأراقوا بينهم الدماء. . وغدا بعضهم لبعض سالباً، ولهلاكه مريداً وطالباً، فأصبحت الأرض من فعالهم تعجّ، والخلق تجأر إلى الله وتضجّ، وتدعو عليهم بالإذلال. .). (١)

خضوع الإحساء للدرعية

قام الإمام عبدالعزيز وابنه الأمير سعود بغارات كثيرة على الأحساء، بعد أن تغيّر ميزان القوى، ودخلت جيوش الدرعية مراراً الأحساء، وعاهد أهلها على الطاعة، ولكنهم كانوا ينقضون عهودهم ويخرجون العلماء الذين يرسلهم إليهم عبدالعزيز لتعليمهم دين الإسلام الصحيح، فيعود (سعود) إلى تأديب العصـاة والمتمردين، وفي سنة ١٢٠٧هـ جاء براك بن عبدالمحسن إلى سعود وأنبـأه أن أهل الأحساء يريدون الدخول في الدين والالتزام بجميع أحكامه والمبايعة على الإسلام والسمع والطاعة للإمام.

ولكن أهـل الأحساء نقضوا العهد مرة أخرى، وأتاهم (زيد بن عريعر واستولى عليهم واستوطن البلد). (١)

---

(١) الكلمات الموضوعة بين قوسين، هي كلمات ابن بشر بنصها، وأما بقية الكلام فقد يكون بعضه مقتبساً من ابن بشر، دون التقيد بنص رواياته.

ويقول لنا ابن بشر، في أخبار سنة ١٢٠٨هـ ان أولاد عريعر هربوا من الأحساء وقصدوا البصرة والزبير وسكنوها.

وقد استمرت الغزوات على الأحساء في عهد عبدالعزيز، وكان يقودها ابنه سعود، من سنة ١٢٠٢هـ حتى ١٢١٠هـ، وكان سعود يستعين ببعض شيوخ بني خالد على بعض ويقيمهم رؤساء لوالده على الأحساء عند انتصاره عليها ويبايع أهل الأحساء للإمام عبدالعزيز على السمع والطاعة ويرسل إليهم معلمين لتعليم الدين الصحيح ومكافحة الشركيات، ثم لا يلبث أهلها بتحريض رجال الفتنة من الطامعين بالرئاسة أن يثوروا ويخرجوا المعلمين وعلماء الدين النجديين عنهم فيرجع الأمير سعود إلى قتالهم وتأديبهم بشدة، وحدث مرة أنهم قتلوا (دعاة المسلمين ومعلمي التوحيد)، كما يقول ابن غنام، فعاد سعود مرة أخرى إلى تقتيل المتآمرين، وهكذا استمرت الحال بين الطاعة والعصيان حتى آخر سنة ١٢١٠هـ. ففي شهر ذي القعدة، سار سعود بقوة عظيمة إلى الأحساء، وأمضى الليل قريباً من (الرقيقة) وعند الصباح ثوّر مقاتلته (بنادقهم دفعة واحدة، فأظلمت السماء وأرجفت الأرض، وثار عجاج الخان في الجو وأسقط كثير من الحوامل فنزل الرقيقة، وخرج إليه أهل الأحساء، سامعين مطيعين، فأقام سعود في ذلك المنزل ـ كما يقول ابن بشر (مدة أشهر، يقتل من أراد قتله، ويجلي من أراد جلاءه، ويحبس من أراد حبسه، ويأخذ من الأموال، ويهدم من المحال، ويبني ثغوراً ويهدم دوراً. . وحاز سعود من الأموال في تلك الغزوة ما لا يعد ولا يحصى).

ولما رحل عائداً، اصطحب معه عدداً كبيراً من رؤساء (الأحساء) رهائن وأسكنهم الدرعية.

وهكذا تم إخضاع الأحساء نهائياً إلى الدرعية.

إخضاع القطيف:

ولا يذكر لنا ابن بشر شيئاً عن (القطيف)، ولكن صاحب اللمع سدّ هذه الثغرة، فقال ان (سعود) بعد إخضاعه الأحساء، باستثناء القسم الشرقي منها والقطيف خاصة، عاد وقاتل صاحب بلاد الشرق ابن حمد، وغلبه، فطلب الأمان، وأمنّه.

وأرسل عبدالعزيز جيشاً إلى القطيف بقيادة ابن عفيصان، فقاتل أمير القطيف (ابن سليمان الخالدي) ومن معه، قتالاً شديداً، ثم هرب إلى قلعة (تاروت) وتحصن فيها، فاقتحمها ابن عفيصان وكتب إلى عبدالعزيز يبشره بالفتح، فأمره بالعودة، وأن يجعل أحمد بن غانم أميراً على القطيف.

وأصبحت الأحساء منذ ذلك الوقت قطعة من دولة نجد..

الإحساء.. بعد حملة إبراهيم باشا

استيلاء بني خالد ثم العسكر على الأحساء.. وعودة بني خالد

يقول ابن بشر، في أخبار سنة ١٢٣٤هـ إن إبراهيم باشا (لما استولى على الدرعية واستقر فيها، سار من عنده ماجد بن عريعر ـ الذي أبوه رئيس الأحساء وبني خالد بالسابق ـ ومعه أخوه محمد بن عريعر، فاستوليا على الأحساء واستقرا فيها. ثم سار محمد بن عريعر من الأحساء إلى القطيف واستولى عليها).

ويردف ابن بشر قائلاً:

(فلما كان بعد أيام، بعث الباشا عسكراً إلى الأحساء نحو مائتين وأربعين، مقدمهم محمد كاشف، فساروا إليها ـ مع ابن مطلق ـ وأمرهم الباشا بجمع بيت المال وجميع ما كان لآل سعود فيها، فقدموا وأخذوا أموالاً وقتلوا رجالاً

وصادروا ظنابين آل سعود فيه وطوارفهم وقُتِل رجال من أئمة مساجد الأحساء من أهل نجد.

وهـرب سيف بن سعدون، رئيس السياسب من الأحساء، وهرب معه رجال من أتباعه ومن الأعيان وركبوا البحر.

وخـرج آل عريعـر منـه، ولم يبق لهم فيه أمر ولا نهي، وقصدوا الشمال بعربانهم وبقيت العساكر في الأحساء، وعاثوا فيها، إلى قريب ارتحال الباشا).

ويعود ابن بشر، فيقول لنا، في آخر سنة ١٢٣٤هـ نفسها: (لمّا رحلت العساكر من الأحساء.. ورحل الباشا من نجد، قدم الأحساء محمد بن عريعر وذووه من آل حميد وملكوها).

رواية الوثائق:

تتلخص رواية ابن بشر عن آل حميد بأنهم كانوا في البصرة والزبير، ثم سار ماجـد ومحمـد ابنا عريعر من عند إبراهيم باشا، بعد استقراره في الدرعية، وقصدوا الأحساء واستوليا عليها، ولكن عساكر إبراهيم باشا ما لبثت أن دخلت الأحساء تنهب وتقتل، فهرب منها آل عريعر، ولما رحل الباشا عن نجد ورحلت عساكره عن الأحساء، عاد آل عريعر إلى الأحساء وتملكوها.

وقـد وجدنا في الوثائق التركية ما ينقض رواية ابن بشر من حيث تحديد تاريخ ظهور آل عريعر ويعدل أخبارهم عنه تعديلاً يسيراً، فقد جاء في رسالة بعث بها والي بغداد (داود باشا) إلى السلطان العثماني أنه (أسكن ماجد ومحمد عريعر في بغداد، ولما اقترب إبراهيم باشا من الدرعية جهّزهما، وأرسلهما إلى الأحسـاء، وقـد أخـبراه أنهما أدخـلا عشـائر الأحساء في الطاعة، وسيكونان مخلصين للدولة العلية).

ويقول هذا الوالي، في رسالة أخرى إنه (ساعد إبراهيم باشا في الاستيلاء على الدرعية بتقديمه الأسلحة إلى ماجد ومحمد، ابني عريعر)!.

وقد يفهم من هذه الرسالة أن ماجد ومحمد أتيا إلى الدرعية، وهي محاصرة لم يتم لابراهيم باشا فتحها، وحملا إليه أسلحة، أو قدما برجال مسلحين لمساعدته، وأنهما كانا قد استوليا على الأحساء، قبل سنة ١٢٣٤هـ، ومما يؤيد ذلك رسالة كان بعث بها ماجد في جمادى الأولى من سنة ١٢٣٣هـ. إلى السلطان العثماني، يذكر فيها أنه جاء إلى ديار بني خالد، وإن بني خالد وجميع العربان دخلوا في طاعة الدولة العلية، وأنه تغلب على حمود السعدون في «الصبيحية»، واتجه إلى الأحساء، وأن أخاه محمد اتجه إلى إبراهيم باشا، الذي نزل الدرعية.

وقد جاء في كتاب (الأخبار النجدية) للفاخري في أخبار سنة ١٢٣٣هـ:

.. في اليوم الرابع عشر من ذي القعدة، سلم أهل الأحساء الأمر لماجد بن عريعر.. واستقام الأمر لماجد، وتوجه أخوه إلى القطيف فتسلمها.

وفي آخر الشهر المذكور قدم عبدالله بن مطلق الأحساء، وكان في أيام الحرب في الدرعية (مثقل) عليه، فلما استقام الأمر للباشا أرسله إلى الأحساء، ومعه قطعة من العسكر، جملة خيلهم مائتين وسبعة وأربعين، ومقدمهم محمد آغا الكاشف، فقدموا الإحساء واستقلوا بأمرهم و أبعدوا ماجد عنها.

وأما في سنة ١٢٣٤هـ فيقول الفاخري ان محمد بن عريعر انفصل في شهر رمضان (عن إبراهيم باشا، بعد ما سار أياماً، فقدم الأحساء، وخرج من بها من العسكر، وسار ابنه سعدون إلى القطيف فملكها).

وخلاصة القول ان شيوخ الأحساء الجدد استعادوا رئاسة الأحساء بتدبير الترك ومساعدتهم وأعلنوا تبعيتهم للدولة العلية العثمانية، ولا يستطيع أحد أن

يدّعي أنهم أقاموا دولة مستقلة، أو نواة لدولة، تطمح إلى تحرير نجد وتوحيدها، فقد كان شعار الأحساء يومئذ: الانفصال عن نجد ليس غير!

لماذا ساعد (والي بغداد) بني عريعر؟

يقول الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، في كتابه «تاريخ العراق الحديث» إن داود باشا، والي بغداد، كان يخشى كثيراً أن تزحف جيوش محمد علي من نجد إلى الأحساء، فتدنو من بلاده، وقد يخطر ببال محمد علي الاستيلاء عليها، فتطير العراق من بين يديه، بل يصبح مهدداً في حياته، لأن محمد علي الذي دبَّر مذبحة المماليك، قد يعمد إلى قتله، ولذلك أسرع داود (بإرسال قوات من عشائر المنتفق وقوات بني خالد) ليخرجوا النجديين الذين كانوا فيها، (وليحكموا هذه البلاد من قبله، وقامت هذه القوات بمهمتها بسهولة نظراً لتشتت قوى الوهابيين في أعقاب استسلام الدرعية.

ويردف الدكتور نوار إلى ذلك أن داود باشا، والي بغداد، لم يكن راغباً في الاصطدام بالقوات المصرية في الأحساء، فرأى أن يرفع المشكلة إلى السلطان، صاحب الأمر في تحديد مستقبل الحكم في الأحساء، وأن الأولى على حد تعبير داود نفسه: «**أن يشرب العاقل من أعلى النهر**»، فطلب داود من السلطان أن يرفع يد رجال إبراهيم عن الأحساء، وأن يسندها إليه.

ويقول عثمان بن سند ـ مؤرخ حياة داود ـ إن السلطان بعث بفرمان إلى محمد علي يأمره فيه بأن يخلي الأحساء وأن يسلمها لرجال داود.

فهل صدر حقيقة فرمان بهذا المعنى من والي مصر؟ إن الشواهد تؤكد أن إبراهيم حين تقدم إلى الأحساء كان يهدف إلى القضاء على القواعد الوهابية التي يمكن أن تستغل لمتابعة المقاومة ضد الحملة، ولم يكن يعني بأن يستقر في

حكمها، إذ أنه لم يترك فيها حامية مصرية بعد انسحابه منها ومن نجد، وبعد انسحابه من الأحساء عاد حكمها إلى حكامها السابقين من بني خالد، وكان هؤلاء أقرب إلى العراق منهم إلى القوة المصرية، التي وفدت منذ وقت قصير على هذه البلاد، كما أنهم كانوا عمال داود من قبل في حكم الأحساء قبل وصول الحملة إليها).

ويقول فيلبي، في كتابه: «تاريخ نجد»، الذي اعتمد في القسم الأول منه على روايات ابن بشر (إن فكرة امتداد الحكم التركي حتى الخليج الفارسي داعبت إبراهيم باشا، فبعد سقوط الدرعية، قام الأخوان ماجد ومحمد من عائلة عريعر، وزعيما عشيرة بني خالد، يطالبان بإعادة حكمهما إلى البلاد، فسارعت كل من الهفوف والقطيف إلى الاعتراف بهما كرهاً في حكم المصريين، غير أنهما لم يتمتعا بالاستقلال طويلاً، فقد أرسل إبراهيم باشا قوة صغيرة من جيشه بقيادة ضابط من عنده اسمه محمد كاشف، وأمره أن يستولي على جميع أموال عائلة سعود وأنصارها، وتوجهت القوة نحو مقر الشقيقين المطالبين بالإمارة، فهرب هذان برفقة زعيم عشيرة السياسب، وأخذ الأتراك يمارسون ضغطهم على كل من كانت له علاقة بالسعوديين ومذاهبهم ويعتدون عليهم، فمكثوا في الأحساء حتى بارح إبراهيم الجزيرة العربية.

ويتساءل فيلبي، بعد ذلك، عما إذا كانت هناك علاقة بين انزال البريطانيين قوة كبيرة في القطيف، لإشعار إبراهيم باشا أن انجلترا لا ترضى بقيام دولة تركية على ساحل الخليج الفارسي.. وبين رحيل جيش إبراهيم باشا عن الأحساء؟.. ثم يعود فيقول: (ربما كانت عودة ماجد عريعر وأخيه إلى الأحساء، بعد مغادرة الترك لها، حلاً مؤقتاً ومرضياً من وجهة النظر البريطانية).

فتح الأحساء وإعادتها إلى الدولة السعودية في عهد تركي

كان طبيعياً أن يفكر الإمام تركي، بعد تحرير نجد وتوحيدها، في المسير إلى (الأحساء)، واستردادها من ال عريعر، لأنها كانت ملكاً لآل سعود، وهي مصدر عظيم من مصادر الثروة والقوة، كما أن بقاءها تحت سيطرة بني خالد يظلّ خطراً على أمن نجد.

ولكن تركي لم يعمد فوراً إلى محاربة آل عرعر الذين استولوا على الأحساء خلال حملة إبراهيم باشا على الدرعية، واعترف بهم الترك، وأمدوهم بالسلاح الكثير. ، واعتبروهم تابعين لهم.

انتظر تركي الظروف الملائمة، فلما توافرت له بإذن الله، قام بالاستيلاء على الأحساء.

ومما لا شك فيه أن أعظم أعمال تركي، بعد تحرير نجد وتوحيدها، هو فتحه الأحساء وضمها إلى نجد، وقد كان لهذا العمل الجليل أثره الكبير، قومياً ودولياً، وكان موضع اهتمام بريطانيا العظمى، على الخصوص، لكثرة مصالحها في الخليج العربي.

وأما صداه في مصر، فحسبنا القول أنه أثار غضب محمد علي، فهاج وماج، وأرغد وأزبد، لأنه كان يطمع في الاستيلاء على الأحساء والامتداد منها إلى سواحل الخليج العربي، ولكنه كان غير قادر على أي عمل حربي ضد الإمام تركي، لانشغاله بمشكلاته وحروبه خارج الجزيرة العربية.

المقدمات.. للفتح :

في رجب من سنة ١٢٣٨هـ. جرت بين ماجد بن عريعر، شيخ بني خالد، وكان معه عربان من أتباعه ومن عنزة وسبيع وغيرهم وبين فيصل الدويش وأتباعه من مطير والعجمان وغيرهم من العربان، سلسلة معارك في مناخ الرضيمة ـ وهو موضع معروف في (العرمة)، سقط فيها كثير من القتلى وانتهت بهزيمة بني خالد وانسحابهم إلى الأحساء. (١)

وقد حدثت لبني خالد هزيمة ثانية في سنة ١٢٤٢هـ، ففيها أمر الإمام تركي ابن أخته مشاري بن عبدالرحمن أن يغزو بأهل العارض والمحمل وسدير (على آل عبيد، من بني خالد، وهم في حفر العتك المعروف، وأخذ المسلمون كثيراً من أغنامهم وأثاثهم). (٢)

---

(١) كان أهل نجد مولعين بصيغة التصغير، ولذلك قالوا: عريعر، مع أن الأصل: عرعر.

(٢) الكلام الموضوع بين قوسين منقول عن ابن بشر بنصه.

ردم الآبار :

وفي سنـة ١٢٤٣هـ بلغ تركي بن عبدالله (ان بني خالد يجمعون الجنود لحربـه فأمـر على أمير سدير أن يسير برجال من سدير، ويدفنوا قليب (حفر العتك) فدفنوها، ودفنوا (أم الحمام) وذلك طبعاً حتى لا يفيد منها مقاتلو بني خالد عند توقفهم فيها للتمون بالماء، خلال محاولة قد يقومون بها لغزو بلدان أو عشائر نجدية.

وفي أول سنة ١٢٤٥هـ غزا محمد بن عفيصان بأمر الإمام تركي، بجيش من المسلمين، وقصد ناحية الأحساء، فأغار على قافلة مقبلة من بندر العقير، وأخذها، وكان معها من الأموال ما لا يحصى).

آخر غزوة ناجحة لبني خالد :

وفي أوائل سنة ١٢٤٥هـ (غزا طلال بن حميد بجيش وخيل، وكمن لأهل (حرمة) وأرسل شرذمة من غزوه فأخذوا أغنامهم، ففزع أهل البلد عليهم، فخـرج عليهم الكمـين، وقتلوا من أهـل البلد ستـة رجال، و جرحوا فيهم جراحات كثيرة.

وكـانت هذه آخـر عزّ آل حميد، ولم يتمتعوا بعدها، حتى دارت عليهم الدوائر وتجرعوا غصص الدهر الغابر)

أعظم معارك تركي

معركة الإحساء الفاصلة سنة ١٢٤٥هـ

سمّى ابن بشر معركة (الأحساء)، التي انتصر فيها تركي بن عبدالله نصراً مؤزراً، فدخل الأحساء وبايعه أهلها وضمها إلى نجد: معركة (السبية)، وقال إنها سميت كذلك. . «لكثرة ما سبي فيها من الحلي والحلل والأثاث والأغنام والإبل».

ثم يقول ابن بشر - وننقل روايته للأحداث بتصرف يسير، تقديماً وتأخيراً، وحذفا لبعض التفاصيل.

مسير بني خالد وحلفائهم:

سار محمد عريعر وأخوه ماجد، ومعهم عربانهم وأتباعهم من بني خالد وسار معهم رئيس أعراب سبيع وجملة من عربانه، ورؤساء مطير وكثير من عربانهم، وابن هذال رئيس عنزة وجملة من أعرابه، ورئيس بني حسين وعربانه، وغيرهم من أخلاط البوادي.

وقد نزلوا جميعاً (خفيسة المهمري الخبرا، المعروفة بين الدهنا والصمان، ويشربون من ماء «معقلا»، ماء قريب منهم).

---

(١) يقول الدكتور عبدالله الشبل، محقق (الأخبار النجدية) للفاخري أن اسم السبية «للموضع الذي دارت فيه المعركة، والتسمية قديمة ذكرها البكري وياقوت وغيرهما وحدّدوها: «السبية موضع يقع في شرقي الدهناء»، ويقول محقق الطبعة الجديدة من ابن بشر إن السبية اسم لأقواز من الرمل تقع شرق الدهناء، وقد عناها ذو الرمة، بقوله:

وقد جعلوا السبيّة عن يمين   مقاد المهر وانتجعوا الرمالا

مع فيصل بن تركي :

(فلما بلغ الإمـام تركي بن عبـدالله خبرهـم ذلك، أمر على جميع نواحي المسلمين، من أهل العارض والجنوب والوشم وسدير والقصيم والجبل ووادي الدواسر، واستنفرهم مع ابنه (فيصل، وأمر على أتباعه أيضاً من العربان بالمغزا معـه : مطلق المصـخ وعسـاف أبـو ثنين وأتباعهما من سبيع) ورئيس أعراب السهـول وأتبـاعـه، ورئيس الدواسر وأتباعه، وأعراب من قحطان، وغيدان وأتباعه من آل شامر والعجمـان.

فسـار بهم فيصـل في أول شعبان، وقصد جموع بني خالد، ونزل «معقلا»، الماء المعروف الذي يشربون منه وقطعهم عن الماء.

ووقـع الـطراد والقتـال وتصـادمت الفرسان والأبطال، ونشرت الرايات والبنود، وتزاحمت الجموع والجنود، وتلاقت الفئتان وعمل السنان، واشتعلت نار الحرب، وصبر الفريقان وثارت نيران العزائم العدية، فدارت بين الطرفين كؤوس المنية. . واستمـر هذا القتـال والـطراد والحرب والضرب والجلاء مدة أيام. . وساق بنو خالد على رماة المسلمين إبلهم وساقوها عليهم مرة بعد مرة، فاشتد الأمر بالمسلمين.

موت ماجد بن عريعر :

وهنا تحدث المفاجأة، فقد مات ماجد بن عريعر. . وكان ذلك في أول رمضان.

فلما بلغ الإمام والمسلمين ذلك استبشروا وتيقنوا أنهم قد نُصروا، وأرسل فيصل إلى أبيه يبشره بالذي أوقع الله، واستنفره.

مجيء تركي إلى مكان المعركة وانتصاره بالرعب :

فلما وصلت رسالة فيصل إلى تركي ، (ركب بشرذمة قليلة من خدمه ورجاجيله ، واستنفر حشر ابن وريك ، رئيس آل عاصم من قحطان ، وقدم على ابنه في العشر الأواخر من رمضان ، فلم ينزل حتى قابل خيمة محمد بن عريعر، وضرب خيمة قبالها، فوقع الفشل فيهم، حيث رفعها وأقامها . . وأنزل الله النصر لذلك القدوم ، وبالاعتماد على دعاء الحي القيوم .

فتزاحمت جموع العربان وتلاقت الأبطال والفرسان ، وقتل ذلك اليوم المصخ رئيس سبيع وقتل من بني خالد عدة فرسان وعدد من الرجال والخيل، حتى قاربوا للهزيمة .

فلما كان صبح ٢٧ رمضان حملت جموع المسلمين على جموع بني خالد . . فانهزموا هزيمة شنيعة . . وولوا هاربين . . والمسلمون في ساقتهم يقتلون ويغتنمون . . واستولى الإمام على محلتهم وخيامهم وسوادهم وبياضهم من الأمتعة والفرش والإبل والأغنام وجميع ما معهم من الأواني وآلات الحرب .

وأقام الإمام تركي وابنه هناك يوماً أو يومين يجمع الأخماس من تلك الغنائم ، مما يعجز عنه الحصر، ثم رحل ونزل (الخفيسه) وأقام فيها أكثر من عشرة أيام ، يجمع الغنائم ويفرقها، وكتب إلى رؤساء الأحساء، يدعوهم إلى المتابعة والمبايعة ، فأجابوه إلى ذلك .

فسار بمن معه من جنود المسلمين (وقصد الأحساء، وكان محمد بن عريعر، ومن معه من عشيرته وبعض رؤساء بني خالد، لما صارت الهزيمة ، قصدوا الأحساء فدخلوه ورتبوا ثغوره وقصوره وضبطوه .

ولكن المقادير تغلب التدابير، وربك على كل شيء قدير . .

فلما قرب تركي من الأحساء، ونزل (الحويرات) المعروفة ، أوقع الله الرعب في قلوب بني خالد ورؤسائهم وهربوا . . وتركوا النساء والأبناء والأموال ، فرحل

(تركي) ونزل البلد ودخلها من غير قتال، ونزل تحت القارة المسماة (أبو غنيمة)، وأرسل إلى أهل الثغور والقصور فسلّموا له، وظهر عليه رؤساء أهل الأحساء وأعيانهم وعلماؤهم، وبايعوه على القيام بدين الله ورسوله والسمع والطاعة.

وبقي قصر الكوت، فيه (محمد بن عريعر) وخيله وبعض رجاله دخله واحتصن فيه بلا حرب، فأرسل إليه الإمام إن شئت أن تخرج على إحساننا وإساءتنا فاخرج.

فخرج، فعامله بالإحسان والإكرام والأمان، وأعطاه ما يحتاج إليه من الخيل والركايب العمانيات وغير ذلك من الأمتاع.

وأمر على عمر بن محمد بن عفيصان، ومعه خيل وجيش من المسلمين أن يسير واخلف برغش بن حميد، والذين هربوا معه من بني خالد، فأدركهم في أطراف الأحساء، وأخذ ركائبهم وما معهم وهربوا على ظهور خيلهم.

وأقام تركي وابنه فيصل في الأحساء أكثر من أربعين يوماً، وأخذ ما وجد من أموال بني خالد من الذهب والفضة والخيل والركاب وغير ذلك.

ورتب في كل قرية إماماً، في مسجدهم، لصلاة الجماعة، وأدّب من تخلف عنها وحضهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاجتماع على الذكر في مجالس الدرس، وتعليم الجهال أصل الإسلام، وخمسة الأركان.

واستعمل فيهم قاضياً: الشيخ العالم عبدالله الوهيبي.

واستعمل على الأحساء عمر بن عفيصان أميراً.

وبايعه أهل الأحساء، ولم يختلف عليه اثنان.

ووفد إليه رؤساء أهل القطيف وبايعوه، وكذلك رؤساء عربانهم،

ووفد عليه رؤساء أهل عمان من أهل رأس الخيمة وغيرهم.

ثم قفل راجعاً إلى وطنه، وأذن لغزوه من كل ناحية ولرؤساء العربان، فرجعوا سالمين غانمين.

فتح الإحساء

في رواية حكومة بونباي

جاء في كتاب «منتخبات من سجلات حكومة بونباي» ما ترجمته، بشيء من التصرف

في سنة ١٨٣٠م خرج بنو خالد بقوة عظيمة سائرين إلى نجد، ومن سوء حظهم أن الزعيم الوحيد الموهوب بينهم، وهو «ماجد» أصيب بمرض مفاجىء ومات، وكان أخوه (محمد) شاعراً بضعفه عن القيام بأمور الزعامة، فتخلى عن القيادة لابن أخيه «برغش».. وكانت الحرب أول الأمر، سجالاً بين طرفين متعادلين.. ولكن برغش الذي كان معسكراً قرب الماء.. تركه وتقدم برجاله باتجاه فيصل وكان فيصل هو الذي يقود مقاتلة النجديين.

ولما علم تركي بما فعله برغش، خرج من الرياض ليلة ٢٣ آذار سنة ١٨٣٠ على رأس ١٢٠٠ مقاتل من المشاة والفرسان، واستطاع النزول إلى ميسرة العدو، ونجح في الاستيلاء على موقع الماء المسمى «الدوباره»، وبذلك حال بين الماء وبين بني خالد من جهة، ووضع أعداءه في موقف حرج، فهو يحيط بهم من جهة، وابنه فيصل يحيط بهم من جهة ثانية.

وقد قام رجال تركي وفيصل بالهجوم على بني خالد في وقت واحد، من المقدمة ومن المؤخرة، فانهزمت عشائر بني خالد هزيمة منكرة، وسقطت في أيدي المنتصرين خيامهم وأمتعتهم، ونساؤهم وأطفالهم، وأفراسهم وجمالهم وأغنامهم.

وكان يقال ان عدد الجمال التي غنمها الوهابيون ١٠٠ ألف وعدد الأغنام نحو مليون رأس. (كذا.. وهو مبالغة).»

وهرب الشيخ محمد عائداً إلى الأحساء.. ولحق به برغش.

وأعلن عدد من بني خالد خضوعهم لتركي.

ثم ذهب تركي بعد ذلك إلى الأحساء فاستولى عليها، واستولى كذلك على القطيف.

وقد حكم تركي الأحساء بعدل وحكمة، ولم يكن يأخذ من الأهالي سوى الزكاة، ووضع بتدابير حازمة حداً حاسماً لأساليب السلب والقتل، والخلافات والمنازعات بين العشائر، التي كان يتصف بها مشايخ بني خالد).

محاولة حكومة الهند استدراج إبراهيم

وتتحدث منتخبات بونباي عن محاولة قديمة قام بها الكابتن (سدلر) لاشراك إبراهيم باشا في حملته ضد القرصنة المزعومة التي يقوم بها القواسم، في رأس الخيمة، وقد وعده بتقديم المساعدة له في الأحساء والخليج.

بدأ سدلر مهمته بزيارة سلطان مسقط في نيسان من عام ١٨١٩م، وسأله عن رأيه في قيام تعاون بينه وبين إبراهيم باشا ضد النجديين والقواسم ـ فأجابه أنه يرفض قيام أية صلة بينه وبين إبراهيم باشا، لما بلغه من قسوته وغدره، ولكثرة الفظائع التي ارتكبها.

ولكن (سدلر) صمم على متابعة مهمته، وذهب إلى الأحساء، ليستعين ببني خالد في ترتيب سفرته إلى الدرعية، فعلم منهم أن أحد معاوني إبراهيم باشا

العسكـريين واسمه (كاشف) جاء الأحساء وصادر كل جمالها. . فاضطر إلى الاستنجاد بقافلة من الترك كانت متجهة إلى المدينة المنورة، فأخذته معها، ولم يذهب إلى الدرعية، لأن الأخبار كانت قد وصلت برحيل إبراهيم باشا إلى الحجاز.

قابـل (سـدلر)، أخيرا . . إبراهيم باشا، واعتذر له عن عدم تمكنه من مقابلته في الدرعية، مسرح انتصاراته الباهرة، وحيث كان يجب أن يقدم إليه تهاني حكومة الهند البريطانية الحارة.

سرّ إبراهيم من حديث (سدلر) الذي دل على أن أخبار انتصاراته وصلت إلى الهند، ثم عرض عليه (سدلر) مساعدة حكومة الهند له، سواء في نجد أو الأحسـاء، إذا كان يقبـل بالإشـتراك مع الـبريطانيين في محاربـة القـرصـان والقواسم، وسلّمه رسالة من حاكم الهند، فاستمهله إبراهيم في الجواب، حتى يكتب إلى والده ويستأذنه. . وهنا قدّم إليه سيفاً ثميناً جداً، هدية من الحاكم.

بعد أيام، دفع إليه كتابا، هو جوابه على رسالة حاكم الهند، وقدّم إليه عدة جياد، ويبدو أن سروجها وزينتها كانت عتيقة مهترئة، فقال (سدلر) في صوت خفيض انه يخشى عدم سرور الحاكم بها. . فاستعادها إبراهيم باشا منه واستردّ رسالته إلى حاكم الهند، وانتهت المقابلة.

وانتهت مهمة سدلر، بالإخفاق التام.

فتح الإحساء

في رواية «فيلبي»

يقول فيلبي، في كتابه (تاريخ نجد):

(انقضى صيف عام ١٨٢٩م، هادئاً دون حوادث. أما خريف ذلك العام فقد شهد تركي يرسل محمداً بن عفيصان في غزوة على الأحساء، فيستولي هذا على قافلة محملة بالبضائع الوفيرة، وهي في طريقها من العقير إلى الهفوف. ويبدو ان الغرض من هذه الغزوة كان مضايقة عائلة عريعر في الإقليم. لكن أبناء عريعر أخذوا بزمام المبادرة، فأعلنوا الحرب على تركي، وتجمعت قواتهم الكبيرة العدد في الصُّمّان.

وهكذا وجد تركي نفسه مضطراً إلى أن يحشد قوات عشائره بسرعة ويرسلهم بقيادة فيصل لمقابلة التهديد بالمثل. فنشبت معركة ضارية متكافئة بين الفريقين عند آبار عقلا بالقرب من خُفيسات المحماري(١)، استمر فيها القتال من منتصف شباط حتى الرابع والعشرين منه، أي إلى أول شهر الصوم. فقُتل ماجد ابن عريعر. (٢) وقد أرسل فيصل يعلم والده بما حدث وهو واثق كل الثقة من النصر في النهاية. فوصل أبوه إلى مكان المعركة بامدادات قوية

وحينئذٍ تجدد القتال بين الطرفين قاسياً مريراً. ويبدو أن جيش (تركي) كان ينتزع النصر من عدوه شيئاً فشيئاً، حتى قام تركي في الثاني والعشرين من آذار، بشن هجوم كاسح على مواقع الأعداء فتقهقروا ولاذوا بالفرار. وظلت قواته

---

(١) هكذا جاءت في ترجمة الدويدري، وصحتها: المهمري.

(٢) لم يقتل ماجد، وإنما مات، ويحدد الفاخري تاريخ موته بأول رمضان.

تطاردهم وتذبح الهاربين منهم حتى بعد استيلائها على معسكر عريعر وذخائره غنيمةً خالصة.

غير أن عدداً قليلاً منهم نجا بجلده، مثل مطير حليفة ماجد، التي كانت قد انسحبت لدى رؤيتها تطورات المعركة قبل الهجوم الأخير، وبذلك أسهمت في نجاح تركي إسهاماً كبيراً.

زحف تركي وابنه فيصل على الأحساء بعد أن أمضيا زهاء الأسبوعين في ميدان المعركة، يجمعان الأسلاب ويوزعانها على الجند. ثم أرسل تركي رسله أمامه إلى القبائل والمدن طالبين من أهلها اعلان ولائهم. وسار بعد ذلك في أثر رسله إرهاباً، فعرضت معظم القرى خضوعها لحكمة. أما محمد بن عريعر وأقرباؤه ومشايعوهم فقد سارعوا إلى تحصين الحصون والقلاع للمقاومة. غير أن معظم زعماء بني خالد هربوا لدى وصول تركي. فاحتل مدينة الهفوف سلماً، ثم أقام قاعدة عملياته في تل غنيمة، قريباً منها.

وهناك زاره الزعماء المدنيون والروحيون من مختلف المدن والقرى في الواحة الكبيرة، وأخذوا يقدمون له فروض الطاعة ويتعهدون بالإخلاص للوائه. هذا في الحين الذي كان فيه ابن عريعر يحتل حصن الكوت العظيم في الزاوية الشمالية الغربية من المدينة. وطلب تركي إليه أن يستسلم، فقدر محمد الموقف ونزل عند رغبة خصمه بشروط مشرفة. وهكذا عادت الأحساء تحتل مكانها المرموق في الدولة الوهابية من جديد. وقد ظل تركي وفيصل في المنطقة قرابة الشهر والنصف، والوالد يدير شؤونها ويصرف أمورها مهتماً بالحاجات الدينية على الخصوص، طالباً إلى الأهلين أن يحافظوا على تعاليم الله ويطيعوا أوامره ونواهيه في سبيل خيرهم وفلاحهم. وأن يواظبوا على الصلاة في الجوامع،

وعين بعد ذلك عمر بن عفيصان حاكماً على الإقليم.

الباب الثامن

صلات تركي
العربية والدولية

سياسة الإمام تركي بن عبدالله تجاه الحجاز وعسير

كان تركي معنياً بتوطيد دعائم حكمه في نجد، واسترداد الأحساء واستعادة النفوذ، الذي كان لآل سعود، في بلدان الخليج العربي، ولكنه لم يفكر في الاستيلاء على الحجاز وعسير، وخاصة الحجاز، لمعرفته بحرص السلطان العثماني ومحمد علي عليهما واستعدادهما للحرب دون وقوعهما تحت سلطانه، هذا إلى أنهما كانا السبب الأكبر في ضياع الدولة السعودية الأولى، وهو لا يملك القوة الكافية لمواجهة قوات السلطان ومحمد علي، التي يستطيعان حشدها هناك.

كان تركي بطلاً، ولكنه لم يكن مغامراً متهوراً، يعرض نفسه وبلاده للتهلكة، ولذلك اتبع سياسة عدم المغامرة في حرب ضد الحجاز أو التدخل في شؤونها.

فمن أين جاء قول بعض المؤلفين إن جنود نجد، في زمن تركي، استولوا على المدينة ومكة والطائف، لفترة ما، عام ١٢٤٣هـ، وانهم بعد ذلك اعتدوا على حدود الحجاز؟

إننا لا نجد في تاريخ الفاخري إلا إشارة غامضة إلى غارة فاشلة قام بها فيصل بن تركي عام ١٢٤٧هـ (على عربان الحجاز، فصار الأمر عليه لا له).

ويعطينا ابن بشر تفصيل هذه الغارة، فيقول:

سار فيصل بن تركي بشوكة المسلمين من العارض والجنوب وسدير والوشم وغيرهم، ومعه أخلاط من عرب سبيع والعجمان وبني حسين وغيرهم، وقصد عالية نجد، وشنّ الغارة على أعراب مجتمعة على (طلال) الماء المعروف في عالية نجـد، من عتيبـة وغيرهم، رئيسهم سلطان بن ربيعان، فلما داهمهم فيصل وجنوده انهزم الأعراب وصار المسلمون يقتلون فيهم ويغنمون.

وكـان ابن بصيص وعـربانه من بريه وغيرهم قريباً منهم، فاستصرخهم العتبان فأقبلوا إليهم فقويت قلوب العتبان وكرّوا على المسلمين وهم متفرقون يحوزون الغنائم، فحصل على المسلمين هزيمة، فركب فيصل في شجعان قومه وحموا ساقة المسلمين، ومعهم من الغنيمة ثلاثة آلاف بعير، ونزلوا بلد القويعية، ثم أذن فيصل لغزواته يرجعون لأوطانهم.

هذه هي رواية ابن بشر للغارة في الطبعة القديمة من تاريخه، وفي الطبعة الجديدة تعديل يسير لها، إذ جاء فيها أن فيصل بن تركي، بعد الهزيمة التي حصلت على المسلمين (ركب جواده، وثقل في الساقة، ومعه أعيان من شجعان قومـه، وحمى ساقـة المسلمين، فكرّ عليهم بمن معه كرّات وأوطأهم سنابك الخيل مرات، وقلعوا عليهم خيل، وأخذوا منهم ركايب، وانهزم المسلمون، ومعهم من غنيمتهم ثلاثة آلاف بعير، ثم قفل فيصل راجعاً.

لم تكن هذه الغارة إصطداماً بحكومة الحجاز، وإنما كانت غارة على عربان دخلوا حدود نجد، ولم تكن لها أبعاد سياسية.

فلننـظر إلى ما حدث قبـل عام ١٢٤٧هـ. من وقائع، لنرى ان كانت هنالك واقعة تدلّ على صدام بين جنود نجد وجنود الحجاز؟

ثورة رئيس عسير..

يذكر ابن بشر في حوادث سنة (١٢٤٠هـ) ان أحمد باشا، رئيس مكة، سار بعسكر كثير من مصر والحجاز وغيرهم، ومعه عدد من أشراف مكة وأتباعهم، فقصدوا عسير في اليمن، ورئيسهم يومئذ سعيد بن مسلط، وسعيد هذا مشهور بالديانة والعبادة، فوقع بينهم وبين عسير وقعات ومقاتلات في ناحيتهم.

ثم إن الله تعالى أمضى أمراً من أمره من خوارق العادات، وذلك أنهم لما أمعنوا في هذه الناحية، ونزلوا في وادي السرح من أرض تهامة، أنشأ الله سبحانه القادر القاهر سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت على هؤلاء العساكر برداً لا يعرف له نظير، وهلك غالب العسكر ولم ينج إلا القليل، قيل ان الذي بقي منهم خمسون، وانهزموا إلى الحجاز، ولم يقم لهم بعد هذه الآية قائمة مدة سنين، وعسكر عسير قريب منهم، فلم يصبهم من البرد شيء - وقيل انها أمطرت عليهم تلك السحابة مطراً فقط.

الاستنتاج العجيب:

هذه الحادثة أثارت اهتمام مؤلف كتاب: (محمد علي وشبه الجزيرة العربية)[1]، الذي جمع في هذا الكتاب كثيراً من الوثائق الموجودة في دار الوثائق المصرية - وهذا الجمع بحد ذاته عمل مفيد - ولكن المؤلف يستنتج أحياناً من الوثائق آراء وتفسيراتٍ للحوادث تبدو غير منطقية، وهكذا نراه يقول، تعليقاً

(١) انظر كتاب (محمد علي وشبه الجزيرة العربية)، تأليف الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم.

على معركة سعيد بن مسلط، إن (العلاقة بين تركي وحكومة الحجاز بدأ يسودها نوع من التوتر، على أثر حادثين:

أولهما: حدوث اتصال بينه وبين سعيد بن مسلط زعيم الثورة العسيرية، ضد حكومة الحجاز.

وثانيهما: اتصال تركي بن عبدالله ووالي بغداد، بشأن محاولة تركي إعلان ولائه للدولة العثمانية.

الحدث الأول:

اشتدّت ثورة عسير في عهد سعيد بن مسلط ضد حكومة الحجاز، وعمل سعيد على تنسيق جهوده مع كل الجهات الخارجة على نفوذ هذه الحكومة، فحدث اتصال بينه وبين تركي، الذي أرسل من جانبه شيخاً مرعي الجانب، للتفاهم مع سعيد حول قيام تحالف ثنائي بينهما، وتنسيق جهودهما ضد حكومة الحجاز.

وفي تلك الأثناء وقعت بعض الأعمال العدائية من جانب بعض القبائل النجدية على حدود الحجاز، دلّت على عدم استقرار الحالة في منطقة نجد، وهنا لم يكن من سبيل لمواجهة هذا الموقف.. سوى العمل للقضاء على هذا التحالف.

يقول لنا المؤلف أن محمد علي تكفل بالقضاء على ثوار عسير، الذين يتزعمهم سعيد، وأما حليفه تركي.. فقد كتب محمد علي إلى فيصل الدويش أن يغزو منطقة تركي، ويمنع وقوع التحام بينه وبين قوات سعيد بن مسلط، وقد نجح الدويش في المهمة التي كلف بها.

وفي اعتقادنا أن استنتاجات مؤلف الوثائق، غير صحيحة:

فقوله إن قيام بعض القبائل بالعدوان على حدود الحجاز، ويقصد بعض

قبائل الحجاز، لا يعني إطلاقاً عدم الاستقرار في نجد، لأن النزاعات القبلية المحدودة والعابرة أمر مألوف في كل العهود.

وأما الزعم بأن الدويش كان مكلفاً بغزو منطقة تركي لمنع الالتحام بينه وبين زعيم العسيريين، وأنه نجح في مهمته، فكلام باطل، لأن سعيد بن مسلط توفي سنة ١٢٤١هـ ولم يقم فيصل الدويش بعد هذا التاريخ بأي عمل ضد تركي، فقد كان آخر عمل عدواني قام به ضد تركي هو قدومه مع عربانه إلى الرياض، ثم رحيله عنها، دون أن يقع بينه وبين تركي أي صدام، وكان ذلك قبل نشوب ثورة عسير!

رواية فيغان:

والقصة الثانية، المؤيدة لها، إنما جاءت من سوء ترجمة أو فهم لكلمة «الوهابيين»، فبيلي وايندر، مثلاً، ينقل عن الجنرال فيغان هذا الخبر:

وصل الوهابيون عام ١٢٤٢هـ. إلى ضواحي مكة، وفي عام ١٢٤٣هـ استولوا على المدينة ومكة والطائف، وقد اضطر حاكم العسكري (أحمد باشا) إلى الهرب والالتجاء إلى جدة، حيث بعث بالرسل والكتب إلى محمد علي، طالباً نجدته فوراً بالسلاح والمؤن والجنود، للقضاء على الغزاة واستعادة البلاد منهم، ولما وصلت الإمدادات من مصر، قاتل من يسميهم المتمردين واستردّ ماكان بحوزتهم.

فمن هم هؤلاء الوهابيون، الذين يتحدث عنهم فيغان؟

انهم رجال عسير ورجال بعض العشائر الحجازية، ويطلق عليهم لقب الوهابيين، لأنهم انضموا إلى الدعوة السلفية الإصلاحية، التي قامت في الدرعية وظلّوا أمناء لمبادئها.

إن هذه العشائر هي التي استولت على حاميات المدينة ومكة والطائف، لا أهل نجد.

ثورة الشريف

ويذكر بعض المؤرخين أن الشريف (يحيى)، الذي أعلن ثورته على الحكم التركي لغاية شخصية، هو الذي حرّض العسيريين وبعض قبائل الحجاز على محاربة الترك المحتلين فحاربوهم واستولوا على الحاميات المذكورة.

وينقل القطاوي في كتابه (عهد محمد علي، في ضوء الوثائق الروسية، المحفوظة في القاهرة) نص رسالة بعث بها ديبلوماسي روسي إلى حكومته سنة ١٨٢٧م/ ١٢٤٣-١٢٤٤هـ، وهذه ترجمة جانب منها:

أصبحت قضايا مكة أكثر خطورة مما كان يظن، فالشريف «يحيى» تمرّد وثار وأشاع أن الحكومات الأوروبية أعلنت الحرب على السلطان العثماني، وأن محمد علي لم يعد بسبب ذلك قادراً على إرسال جنود جدد إلى الحجاز، واستطاع بهذه الوسيلة حمل كثيرين على الإنضمام إليه.. ومن المعتقد أن عدداً من رؤساء الوهابيين القدامى في الحجاز وعسير قد نصروه وساعدوه، لأنهم لا ينسون أن عساكر محمد علي كانت حاربتهم وهزمتهم.. فلما استولى الشريف يحيى على منصب الشرافة في مكة، شجع ذلك الأهالي كثيراً فتغلبوا على حاميات المدينة والطائف ومكة.

سافر، قبل شهر، ٨٠٠ من المشاة إلى الحجاز

وسيسافر الشريف الجديد - الذي اختاره محمد علي - إلى الحجاز، ومعه ٣٠٠٠ جندي نظامي، ثم تتبعه فرقتان من الفرسان الترك وفرقتان من الفرسان العرب، مجموعهما ١٦٠٠ فارس.

ونظراً إلى أن خزينة القاهرة فارغة، فقد سحب محمد علي من خزانة الإسكندرية مبلغ (٥٠٠٠٠) (تالر)، لتأمين نفقات هذه الجملة.

وبلغنا أيضاً سفر فرقة من فرق حامية الإسكندرية، بقيادة القائم مقام

إسماعيل آغا، للحاق بالشريف الجديد.[1]

معركة مخا .. وغرائبها

يقول ابن بشر، في أخبار سنة «١٢٤٩هـ»:

(وفيها سارت قبائل عسير وألمع إلى (المخا) البلد المعروفة في اليمن وقد أخذها عسكر الترك وملكوها يريدون أن يستنقذوها من الترك، وكان في عسكر عسير وأتباعهم نحو ألفي رجل قد لبسوا أكفانهم فقصدوا سورها وتسوروا جدرانها فقتل أكثرهم فوق السور، فلم ينثن عزم الباقين حتى نزلوا فيه، وتبعهم الباقون من عسير فأخذوا البلد عنوة من أيدي الترك وغنموا أموالاً لاتحصى، ورئيس عسير القائم بهذا الأمر: (علي بن مجثل).

وذكر لي رجل دخل (المخا) بعد الوقعة، أن رجلاً من الترك بعدما دخل رجال عسير البلد وأخذوها، قال لهم إن في هذا الخان أربعمائة صندوق من الفلوس والقماش والسلاح فامشوا معي لأريكم إياها، فسار معه عدد كثير، فلما وصلوها ضرب صندوقاً منها بطبنجة فثارت فيه فاشتعلت النار وثارت الصناديق وكانت مملوءة باروداً ورصاصاً فأهلكت خلائق كثيرة.

لا ندري إن كانت معركة (مخا) قد حدثت في حياة الإمام تركي أم بعد مصرعه، ولكن محمد علي يتهم السلطان العثماني بأنه كان من أسباب الكارثة التي نزلت بقواته المرابطة في الحجاز وعسير، وذلك لأنه أرسل إلى (تركشه بيلمين) فرماناً يسمح له فيه بالعصيان.

---

(١) أنظر كتاب رينه قطاوى الموضوع باللغة الفرنسية، وعنوانه بترجمة حرفية ـ عهد محمد علي بحسب الوثائق الروسية في مصر.

Rene' Cattawi: «Le regne de Mohammad Ali d'apres Les archives russes en Egypte.

و (تركشه بيلميز) ـ ومعناه لا أعرف التركية ـ هو لقب عرف به (محمد آغا) الشركسي، قائد الفرسان ورئيس حامية جدة التي ثارت على خورشيد باشا، مطالبة بأن تصرف لها الرواتب المتأخرة، وكان تحت سلطته ٧٠٠ أرناؤوطي، و ٥٠٠ فارس و ٨٠٠ من المشاة، كثرتهم من الترك والشراكسة، وقد طلب منهم خورشيد أن ينتظروا حتى يتصل بمحمد علي، ولما جاء رسول محمد علي أمسكوا به فوجدوا معه رسالة يطلب فيها محمد علي من خورشيد أن يدفع إلى المتمردين فوراً رواتبهم، ثم عثروا على رسالة أخرى مخفية يأمره فيها بالإمساك بهم وسوقهم إلى مصر، فحبسوا الرسول، وأخذوا الأموال التي جاء بها من مصر في سفينة، وأرغموا خورشيد على العودة إلى مصر.

أعلن (بيلميز) نفسه حاكماً على الحجاز، وهجم على مكة، ولكن قائد الحامية المصرية هناك استطاع أن يرده عنها فرجع إلى جده.

تركي في الخليج العربي وفي البريمي

الإمام تركي في الخليج العربي

في عام ١٨٣٣م / ١٢٤٩هـ. كان كل ساحل خليج عمان وفارس حتى القطيف، تابعاً لسيادة «الوهابيين» أو على الأقل خاضعاً لنفوذهم ويؤدي إليهم الزكاة.

- دليل الخليج الفارسي -

وفي عام ١٨٣٣م كان كل ساحل الخليج الفارسي قد اعترف بالحاكم الوهابي ويدفع له الضريبة.

ويلسون: «تاريخ الخليج الفارسي»

صلات الإمام تركي بالخليج العربي

يقول ابن بشر، في أخبار سنة (١٢٤٤هـ):

(وفيها وفد رجال من رؤساء أهل عمان إلى الإمام تركي وطلبوا منه قاضياً ومعلماً وسرية تقاتل معهم عدوهم، فأرسل الإمام تركي معهم عمر بن محمد بن عفيصان في جيش، وبعث معه قاضياً الشيخ محمد بن عبدالعزيز العوسجي، فلما وصلوا إلى عمان، كاتبهم أهل الظاهرة وبعض أهل الباطنة من عمان، ووفد أكثرهم عليهم، واستعمل عليهم أميراً عبدالله بن سعود، من أهل القويعية ونزل قصر البريمي).

ويقول ابن بشر أيضا:

في أخبار سنة ١٢٤٥هـ:

(وفد إليه رؤساء أهل القطيف وبايعوه، وكذلك رؤساء عربانهم، وأعطاهم وكساهم. ثم وفد عليه رؤساء أهل عمان من أهل رأس الخيمة وغيرهم، وانتظمت له الأمور، وتهيأ للرحيل من الأحساء، وهو مسرور منصور.

سنة ١٢٤٨هـ:

غزا فيصل بن تركي بأمر أبيه عربان ابن عشبه، ثم نزل (المجمعة).

وجهز جيشا من غزوه إلى عمان، واستعمل عليهم أميراً سعد بن محمد بن معيقل، وكتب إلى عمر بن محمد بن عفيصان، أمير الأحساء، يتجهز من الأحساء برجال معه إلى عمان، ويصير أميراً للجميع، فساروا إلى عمان، وفتحوا فيها بلداناً وأخذوا عرباناً.

وفي سنة (١٢٤٩هـ) أمر تركي ابنه فيصل بتجهيز حملة كبيرة لمساعدة ابن غانم، أمير القطيف، ضد أهل العماير، الذين يحاربونه، بمساعدة شيخ البحرين.

ذلك كل ما نجده في ابن بشر، من أعمال الإمام تركي في سواحل الخليج العربي (الذي كان يدعي بالخليج الفارسي) وصلاته بشيوخها، وهو قليل، وأما سياسة الإمام تجاه بريطانيا العظمى فلا يشير إليها إطلاقاً.

وسنلخص، في الصفحات التالية، بعض ما وجدناه في (دليل الخليج الفارسي) و(منتخبات حكومة بونباى) - وهما أكثر المراجع عناية بأخبار الخليج، خلال عهد تركي، ونضيف إليهما شيئاً مما كتبه وايندر وغيره.

سياسة الإمام تركي في الخليج العربي في المصادر الغربية

رأس الخيمة

في منتخبات حكومة بومباي:

بدأت قوة الوهابيين، ومواردهم تزيد، وقد بدأ زعيمهم تركي بن عبدالله، الذي يعرف باسم: ابن سعود، يراسل شيوخ الخليج الفارسي، ويدعوهم إلى إعادة العلاقات، التي كانت قائمة بينهم، قبل هزيمة الوهابيين على يد إبراهيم باشا.

وفي مقابلة وقعت عام ١٨٢٥م/١٢٤١هـ. بين المقيم العام البريطاني، وبين الشيخ سلطان بن صقر، أوضح هذا الأخير ارتباطه بالوهابيين، وبيّن أن الحكومة البريطانية، يجب أن تنظر إليه.. خصوصاً من ناحية الضرر - أو الظلم - الذي يلحقه.

وفي هذا الكلام تعريف بشيخ القواسم، سكان رأس الخيمة، الذي كان له شأن كبير في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز، والمنتخبات تتهمه بأنه يصانع الحكم السعودي خوفاً لا حباً، ومن المعروف أن البريطانيين كانوا يتهمون رأس الخيمة بالقرصنة فضربها أسطولهم بالقنابل وأشعلوا النار في بيوتها وأنزلوا بها خسائر فادحة.

« مسقط »

خضوع سلطان مسقط

يقول (بيلي وايندر) ان سلطان مسقط (سعيد)، بلغه أن الحاكم الجديد الذي عينه الإمام تركي في البريمي، يعد حملة لغزو عمان وسيشترك فيها ابن عفيصان بجيش جاء به من الأحساء، فلجأ إلى البريطانيين، طالباً مساعدتهم، فلم يعدوه بأية معونة، لأن سياستهم كانت تقوم على عدم التدخل في النزاعات المحلية، ما دامت لا تهدّد سلامة ملاحتهم في البحار وطرق البريد، ولذلك قرر الاتفاق مع الإمام تركي.

وفي دليل الخليج الفارسي:

جاءت المبادرة من حاكم مسقط، الذي أرسل مندوباً محملاً بالهدايا إلى الرياض عام ١٨٣١م، ليطلب المساعدة ضد شيخ البحرين، وقد أفاد تركي من هذا الطلب. . فاستطاع اخضاع البحرين. . وذلك أن شيخ البحرين كان يخاف من اتفاق قد يقوم بين الإمام تركي وبين حاكم مسقط ضده.

ولكن تركي استطاع أن يخضع حاكم مسقط وشيخ البحرين جميعاً لسيادته.

وقد تمّ الاتفاق بين الإمام تركي وسلطان مسقط على ثلاثة بنود هامة:

أولاً: يدفع سلطان مسقط إلى تركي خمسة آلاف دينار ذهباً.

ثانياً: يحتفظ كل منهما بحدود أراضيه: مسقط حتى (جعلان)، وتركي حتى القطيف.

ثالثاً: يتعهد الفريقان بالتعاون على إخماد أي عصيان يقع في أراضي أي واحد منهما.

ويقـول دليل الخليج الفـارسي ان السلطات الـبريطانية اتصلت بحاكم مسقط وانتقدت هذا البند الأخير، فأكد لها الحاكم أنه سيطبقه بحكمة، وبما يرضي البريطانيين.

عجمان وأم القوين

كان شيوخ (عجمان) و (أم القوين) أكثر الناس ابتهاجاً بانتصار تركي، وتوليه الحكم في نجد، لأنهم كانوا يكرهون حاكم عمان ويريدون التخلص من نفوذه. (١)

---

(١) أنظر دليل الخليج الفارسي.

نفوذ تركي في البحرين

يتبين مما جاء في «دليل الخليج الفارسي» وكتاب «العربية السعودية في القرن الثامن عشر» لويندر، أن الإمام تركي طلب من حاكم البحرين عبدالله بن أحمد آل خليفة، الذي كان يسيطر على أكثر قطر أيضاً الأمور الآتية:

١ ـ أن يدفع الزكاة.

٢ ـ أن يدفع (إلى تركي) ٤٠ ألف دينار ذهبي تعويضاً عن الخيول التي كان (الوهابيون) قد تركوها في عهدته سنة (١٨١١م)، حين اضطروا إلى الخروج من البحرين.

٣ ـ أن يتخلى له عن قلعة الدمام، التي احتلها آل خليفة، بعد موت رحمة بن جابر سنة (١٨٢٦م) وقصده من وراء ذلك أن يُسلم هذا الحصن إلى بشير، نجل رحمة، الذي كان يكره آل خليفة، وبذلك يضمن خضوع البحرين الدائم للرياض.

ويبدو أن شيخ البحرين اتصل ببريطانيا ليضمن مساعدتها له ضد تركي، ولكنها لم تستجب لطلبه، فاضطر إلى القبول بصلح مع تركي تضمن البندين الآتيين:

١ ـ يعترف شيخ البحرين بسيادة تركي ويدفع إليه الزكاة.

٢ ـ يتعهد تركي بحماية البحرين ضد أي اعتداء يقع عليها.

ولم يذكر شيء عن «الدمام» لأن (البحرين) تابعة لتركي. وأما الخيل.. فبقيت مسكوتاً عنها.

ولم يقدر لهذا الاتفاق أن يعيش طويلاً، فقد أمر تركي بشير بن رحمة على (تاروت)، فوقع نزاع بينه وبين أهل القطيف، واضطر إلى إخلاء تاروت

والالتجاء إلى قطر.

وفي عام ١٨٣٤م حاصر عبدالله القطيف وعقير. . وبعد أن ضمن لنفسه حياد حاكم عمان، ومؤازرة فرع (العماير) من بني خالد. . وهكذا تمرد شيخ (البحرين) على سيادة تركي، قبيل مصرعه. . وسيطر على القطيف والعقير وتاروت. . مدة غير قصيرة.

في البريمي

يقول «كيلي» في كتابه (حدود العربية الشرقية):

. . كانت حالة الساحل المهادن مضطربة، فالنزاع هناك قائم بين بني ياس والقواسم على الزعامة.

وكذلك كانت الحال في عمان. . لقيام منافس لحاكمها، من آل بوسعيد، يريد خلعه. . وهذه النزاعات والفتن كانت تغري بالتدخل.

ولذلك أمر تركي، في آخر العام (١٨٣٢م) أحد رجاله، وهو عمر بن عفيصان، أمير الأحساء، الذي سبق له أن قاد حملة إلى البريمي، أن يسير إلى تلك الواحات ويستولي عليها ويقيم فيها حامية دائمة.

وقد غادر ابن عفيصان الأحساء، في شهر كانون الثاني من عام ١٨٣٣، على رأس ٣٠٠٠ مقاتل، ووصل (البريمي) في الشهر التالي.(١)

---

(١) يقول «رنتز» في كتيبه: (البريمي):

منذ حوالي عام ١٢٢٨هـ. الموافق ١٨١٣م. أخذ إشراف النجديين على عمان يخف، بسبب وفاة مطلق المطيري الذي قتل في معركة مع الحجريين، وكذلك بسبب وفاة الإمام سعود بن عبدالعزيز، وزحف القوات التي أرسلها محمد علي، والي مصر، صوب بلاد نجد. =

ويردف كيلي قائلاً: وفوراً أرسل ـ ابن عفيصان ـ إلى سلطان مسقط سعيد بن سلطان، يطلب منه الزكاة، وإلا انقض على عمان. وقد خضع السلطان وقبل أن يدفع (٥٠٠٠) دينار ماريا تيريزا إلى الأمير تركي كل سنة. وهكذا عاد ابن عفيصان إلى الحسا في النصف الثاني من عام ١٨٣٣م حاملاً معه غنيمة تقدر بخمسة عشر ألف جنيه وثلاثمائة بعير، وتاركاً وراءه في البريمي حاميةً من سبعين رجلاً.

في السنوات الست التالية، استطاع الوهابيون بفضل استثمارهم للخلافات في عمان، أن يحتفظوا بالبريمي. وقد كتب المقيم البريطاني في الشارقة عن قائد حامية البريمي، ابن عبدالعزيز، يقول: (إن شعب رأس الخيمة

= . وجاء إلى البريمي من نجد (بتال المطيري)، أخو مطلق، وكان معتزماً أن يكون ذا منزلة مستقلة فيها، غير أن قبائل المناطق المجاورة للبريمي نجحت في مقاومته، وقد هدمت قلعة البريمي، واستعاد السكان استقلالهم لفترة وجيزة.

أما تاريخ البريمي في بضع السنوات التي تلت ذلك، فهو غامض مجهول، والروايات التي أمكن الحصول عليها فيها شيء من التناقض، وليس من الميسور تسجيل حوادث هذه الفترة بثقة تامة.

ويبدو أنه حوالي عام ١٢٣٦هـ أو ١٢٣٧هـ أي نحو ١٨٢١م. جاء إلى البريمي (سعد بن مطلق) وأغار إغارات واسعة في عمان، زاعماً أنه ينتقم لمقتل والده مطلق المطيري.

ونحو عام ١٢٤٠هـ الموافق ١٨٢٤م، استولى (سلطان بن صقر) القاسمي على البريمي، برغم احتجاجات حاكم مسقط وكانت البريمي قد اعتبرت محايدة بناءً على معاهدة محترمة عقدت قبلاً..

ووقف طحنون بن شخبوط، رئيس بني ياس، إلى جانب سعيد بن سلطان، حاكم مسقط، ضد رئيس القواسم.

ولما اتضح أن السلام والأمن في الخليج الفارسي مهددان تدخل المعتمد البريطاني وأمكن إبعاد خطر الحرب.

ووافق سلطان بن صقر على أن يدمر بروج البريمي، ولكن يلوح أن هذا الاتفاق لم ينفذ قط).

مخلص لعبدالعزيز الذي كانت تقوم سياسته على إثارة الخلافات والمنازعات بين مختلف الشيوخ. ولو أنهم كانوا متحدين لما استطاعت قبضة من الجنود الوهابيين أن يخضعوا لسلطانهم كل منطقة عمان.

لقد خلف محمد بن عبدالعزيز على البريمي (نائباً عنه) سعد بن مطلق، وهو ابن مطلق المطيري المشهور. وما أن وصل البريمي حتى سار على رأس ثلاثة آلاف مقاتل إلى الباطنة (عمان الداخل)، لمقاتلة عشيرة «الحجاريين»، إنتقاماً لمقتل أبيه. وقد وصف الليوتان ويلستد،من البحرية الهندية، وكان أول أوروبي يزور الباطنة العماني، في كتابه «رحلات في العربية» المنشور عام ١٨٣٨م هذه المعركة، قائلاً:

(عرفت هذه العشيرة التي أراد ابن مطلق تدميرها بخبر حركته قبل ساعتين من ظهوره، فجمعوا ثمانمائة رجل لمقاومته. وكانوا مسلحين تسليحاً جيداً. ومع أنهم أقل من خصومهم فقد هجموا على الوهابيين بعنف واضطروهم إلى الانسحاب، بعد أن ذبحوا عدداً منهم).

لم ينجح سعد بن مطلق في إدارة أمور القبائل في منطقة البريمي، وكان إسرافه في طلب الزكاة من أسباب إخفاقه. حتى قواسم الشارقة ورأس الخيمة، وهم شركاء الوهابيين القدامى، تخلوا عنه، وكذلك سلطان مسقط رفض الاستمرار في دفع الزكاة. وفي عام ١٨٣٩م غادر سعد بن مطلق البريمي إلى نجد. وهجم بعد ذلك آل بوشامس.. على الحامية في البريمي وأخرجوها.

الصلات بين الإمام تركي وبين بريطانيا العظمى

جاء في منتخبات حكومة بونباي أن رسالة وصلت إلى حاكم بونباي بتاريخ منتصف سنة ١٨٣١م، من الإمام تركي، بواسطة شيخ عجمان، وفيها يعرب تركي عن رغبته في تجديد المعاهدة التي كانت عقدت بين الإمام سعود وبين البريطانيين.

وقد بحث عند وصول هذه الرسالة، في وثائق حكومة بونباي، عن معاهدة عقدت مع الوهابيين، فلم يوجد لها أثر.

ومع ذلك، أرسل جواب ودّي إلى الإمام تركي، بواسطة المقيم البريطاني في الخليج، وليس فيه شيء من بنود المعاهدة المفقودة. . ولكنه يتضمن التأكيد بأن الصلات بين البريطانيين وتركي ستكون على مثال الصلات التي قامت في عهد الإمام سعود.

والمقصود بالبريطانيين، طبعاً، حكومة الهند البريطانية، لأنها هي المهتمة بأمور الخليج العربي، وهي التي تحدد السياسة البريطانية تجاه الأمراء والمشايخ العرب.

ويقول ويندر إن السياسة البريطانية، كما رسمتها حكومة بونباي، قائمة على عدم التدخل في النزاعات المحلية، لأن ما يهم بريطانيا هو قمع القرصنة فحسب، ولذلك لا تتحزب لأمير ضد آخر، ولا تعادي أحداً، إلا إذا كان يساعد القرصان ويهدد أمن الملاحة في الخليج.

وهذا يبدو جلياً من التعليمات الصادرة عن حكومة بونباي إلى (المقيم البريطاني) في الخليج بتاريخ ٢٢ أيلول (١٨٢٨م) فقد جاء في الفقرة السابعة

منهـا ضرورة الامتنـاع عن التـدخـل في أية معـركـة لا تكون أسبابها أعمال القرصنة . . وأنه يجب ألا تعطى ضمانات إلى أي واحد من رؤساء الخليج ، كما يجب أن يشعروا برغبة الحكومة البريطانية في بقائهم على مودة وسلام .

وفي فبراير «شبـاط» من سنة ١٨٣٤م رسم الحاكم العام لحكومة بونباي سياسة أشد وضوحاً، حين حذرها من ضمان سلامة أراضي مسقط، حتى . . ضد هجوم الوهابيين، لأنه ليس هناك ما يدل على أنهم يريدون من وراء ذلك القيام بأعمال القرصنة، كما أن ضمان البريطانيين لمسقط، قد يحمل أميرها على مهاجمة الوهابيين، وبهذا يجر البريطانيين إلى نزاع لا شأن لهم فيه!

وقد اتخذ مجلس المديرين في الهند في نيسان ١٨٣٤م قرارات جاء فيها:

يظهـر أنـه من المحتمـل أن الحروب التي كانت تحدث كثيراً بين الدول المتصالحة في الخليج قد يمكن تفاديها بعد خضوع هذه الدول إلى زعيم مشترك في شخص أمـير الـوهـابيين الـذي استعـاد تقريباً كل الممتلكات التي كانت لأسلافه، بعد استيلائه على الأحساء والقطيف، وإخضاع البحرين للزكاة، وإقـامته صلات ودية مع الشيخ سلطان بن صقر ومع إمام مسقط، وكلاهما يعترف بسيادة تركي .

في دليل الخليج الفارسي :

وفي دليل الخليج الفـارسي أن المقيم البريطاني في الخليج ، بناءً على أمر حكـومـة الهنـد، التي درست رسالة الإمام تركي المقدمة إليها بواسطة حاكم عجمان رشيد بن حميد، بعث رسالة جوابية إلى الإمام تركي ، جاء فيها:

(إن رسالتكم المؤرخة في ٢٥ جمادى الأولى، والتي تبلغنا عن الوقائع التي انتهت إلى توليكم الـرئاسة قد وصلت إلينا وأحدثت في نفوسنا الأثر الجميل

الذي تحدثه أخبار تصل من الأصدقاء.

إن استعدادكم لتفاهم ودي بيننا نقابله بمثل شعور الصداقة التي كانت قائمة بين هذه الحكومة وبين سلفكم العظيم الإمام سعود، وستبقى قائمة بكل قوتها ولن تتصدع أبداً أو تضعف.

وقد سلمت هذه الرسالة إلى تابعكم المخلص، عيسى بن حسن، وليؤكد لكم ما جاء فيها).

من دليل الخليج الفارسي

علاقة الأمير تركي بالحكومة البريطانية
١٨٢٤ - ١٨٣٤م

اقتصرت علاقة الأمير تركي خلال مدة حكمه بالسلطات البريطانية في الهند على حادثة واحدة. في منتصف سنة ١٨٣١م تقريباً تلقى حاكم بومباي رسالة من أمير الوهابيين عن طريق شيخ عجمان، وجاء فيها رغبته في «تجديد المعاهدة التي عقدت بينكم - الحكومة البريطانية - وبين الأمير سعود»[1]، وعقب وصول هذه الرسالة دار البحث في أرشيفات حكومة الهند للعثور على معاهدة عقدت مع الوهابيين، ولم يسفر البحث عن شيء. وأخيراً تلقى الأمير رداً عاماً بروح ودية من السلطات البريطانية عن طريق المقيم البريطاني في الخليج.

---

(١) يدل على الجهل الذي كان سائداً في ذلك الوقت بالنسبة لما يجري في وسط الجزيرة العربية ما جاء في خطاب حكومة بومباي إشارة إلى سعود - الذي مات منذ ١٧ عاماً فقط والذي ينتمي إلى نفس جيل فيصل - بأنه «جدكم العظيم». .

أعمال الأمير تركي في شرق الجزيرة

١٢٤٠ - ١٢٥٠هـ / ١٨٢٤ - ١٨٣٤م

في عهد تركي استعاد الوهابيون[١] - لفترة محدودة - المكانة التي كانت لنفوذهم في شرق الجزيرة. وفي سنة ١٨٣٣م كان كل ساحل خليج عمان والخليج العربي شمالاً حتى القطيف خاضعاً لهم، يدفع الجزية.

فتح الأحساء

١٨٢٤ - ١٨٣٤م

وكان من أول الأهداف التي عمل تركي على تحقيقها استعادة إقليم الحسا الذي كان بنو خالد قد عادوا إلى حكمه منذ خلفتهم القوات المصرية عليه في سنة ١٨١٩م. وطوال المدة من ١٨٢٤م إلى ١٨٣٠م ظل الموقف هناك كما هو، ولكن في سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م اضطر بنو خالد أخيراً إلى الاستسلام لقوات الأمير في المعركة الأخيرة التي دارت بينهما في عريره وكان يقود قوات الوهابيين تركي بنفسه ومعه ابنه فيصل. وفي سنة ١٨٣١م غامر بنو خالد - متشجعين بتمرد مشاري - بمهاجمة الهفوف والقطيف لكنهم صدوا عن المدينتين.

وحين قوى مركز الأمير في الحسا في سنة ١٨٣٠م بادر بطلب الجزية[٢] من شيخ البحرين، وخشى هذا تحالف الأمير مع سيد عمان عليه، فاضطر لدفعها.

---

(١) يقصد بالوهابيين: الموحدين أو السعوديين.

(٢) الأولى استعمال كلمة الزكاة.

علاقة السعوديين بالبحرين

١٨٢٤ ـ ١٨٣٤م

ولم تكن هذه الاتفاقية نهائية . . ولا كان أحد الطرفين مخلصاً في عقدها أو الالتـزام بها، فظل (الوهابيون) على محاولتهم أن يجعلوا بشير ـ ابن القرصان الشهير رحمة بن جابر ـ في الدمام مصدر مضايقة للعتوب في البحرين، كذلك فعل شيخ البحرين ـ بمجرد أن تمكن من ذلك بعد رحيل بشير من الدمام سنة ١٨٣٣م ـ فنقض الاتفاقية وحرض بني خالد في الحسا على مناوشة الوهابيين، وهناك بعض الأسباب التي تحملنا على الظن بأن تدبير مشاري اغتيال الأمير تركي في سنة ١٨٣٤م كان بتحريض من شيخ البحرين ـ أو على الأقل بإيحاء منـه ـ وكـان هذا قد أعلن الحـرب قبل هذه الحادثة مباشرة وحاصر ميناءي القطيف والعقير من البحر.

النفوذ السعودي في عمان المتصالحة

١٨٢٤ ـ ١٨٣٤م

ولم يكـد تركي يعـزز من مكانته على عرش نجد حتى بدأ أكثر الشيوخ المثيرون للاضـطراب فيما يعـرف اليوم بعمان المتصالحة يهيجون أطماع الأمير خاصة شيوخ الشارقة وعجمان، وفي سنة ١٨٢٥م اعترف الشيخ القاسمي في الشـارقـة سراً بخوفه من أمير الوهابيين وطلب وعداً من السلطات البريطانية بتقديم العون له إذا ما رفض الرضوخ لما يطلبه منه الأمير، ولم يقدم إليه هذا

الوعد على أي حال لكن السلطات البريطانية قدمت إليه نصائح حازمة بعدم الاتصال بأي حركة معادية لسيد مسقط.

وأدى ظهور الوهابيين على ساحل الحسا في سنة ١٨٣٠م إلى إثارة مزيد من القلاقل في عمان المتصالحة، وأصبح تقدمهم نحوها مرتقباً، ينظر نحوه شيوخ عجمان وأم القوين بفرح لأنه سيخلصهم من سيطرة شيخ القواسم، وطبيعي أن هذا كان يترقب تقدم الوهابيين بفزع شديد. ومرة أخرى طلب شيخ الشارقة عون الحكـومة البريطانية، ولم يقدم إليه وعد بذلك، وفي نفس الوقت طلب شيخ عجمان - ربما لذكرى الأيام التي كان فيها حسين بن علي من الرمس يحكم البـلاد باسم الوهابيين - من الأمير تركي إرسال بعثة إليه تكون بمثابة تمثيل للوهابيين في البلاد، ورفض الأمير هذا الطلب على اعتبار أنه لا يعترف بشيوخ في عمان إلا شيخ الشارقة وسيد مسقط فقط. لكنه أخيراً استعان بشيخ عجمان في الوساطة لاتصال ودي بينه وبين الحكومة البريطانية.

علاقة السعوديين بسلطنة عمان
١٨٢٤ - ١٨٣٤م

أما العلاقات بين أمير الوهابيين وسيد مسقط فقد كانت - بالنظر إلى بعد المسافة الفاصلة بين حدودهما - مستمرة ولكن ببطء شديد.

لقد كان تركي.. يعلن أنه قام بعمله كزعيم مستقل حر، ولكنه في الواقع كان مستمراً في دفع خراج سنوي إلى محمد علي، باشا مصر، وكان يصور لهذا الباشا أعماله بصورةٍ تجعله يرضى عنها!

خلال ولاية تركي

رجال .. وظواهر طبيعية غير مألوفة !

- ١ -

خالد بن سعود المزيّف

يقول ابن بشر، في أخبار سنة (١٢٤٨هـ) :

وفيهـا جاء رجـل من مصر، وادّعى أنه خالد بن سعود، وقدم (بريدة) وتزوج فيها، وأمر (تركي) أهل البلدان بإكرامه والقيام بما ينوبه من بيت المال، فلما أقبل على الرياض تلقاه وأكرمه.

فلما قدم الرياض عرفه أناس، يعرفون (خالد) في مصر، أنه غيره. . وأنه تسمّى عليه.

فهرب من الرياض إلى مصر، وقيل إن محمد علي باشا مصر، قتله!

تلك رواية ابن بشر، وتؤكد وثيقة محفوظة في القاهرة وصول خالد هذا إلى مصر، فقد كتب مأمور في ديوان الخديوي إلى محافظ المدينة المنورة سليمان آغا يخبره بوصول رسالته ومعها عربي يسمى (خالد) ـ اسم أصغر أولاد سعود ـ وقد هرب من مصر متنكراً. . (وأتى السويس ومنها ذهب إلى ينبع. . ثم التحق بقافلة نجد، ولما وصل إلى هناك، أخبر أنه أصغر أولاد سعود، فقبض عليه تركي المقيم بالدرعية، وسجنه، ولكنه هرب منه بحيلة. .).

تلخيص: وتمضي الرسالة في ذكر قصته، وخلاصتها: أنهم في مصر تأكدوا من أن خالد بن سعود الحقيقي يقيم في مصر لم يبرحها وأن خالد المزعوم ـ كما أخبر عن نفسه ـ من عرب عنزة واسمه الأصلي الشيخ عجيل بن حمود، وكان من قبل مع الإمام عبدالله بن سعود.

ويقـول خالد المزعوم.. إنه وعدد كبير من رؤساء العشائر تعاهدوا على محاربة تركي، لأنه (عصى مولانا) و(قد أمسكوا بي وقالوا إنني خالد بن سعود، هربت من مصر. وأكدت لهم غير ذلك) ولكنهم أصروا على توهمهم..)[1]

ولا شيء في هذه الوثيقة عن مقتله، الذي ذكره ابن بشر.

---

(١) أنظر وثيقة دفتر ٧٨٠ ديوان حديوي: تركي تاريخ دي القعدة ١٢٤٧هـ / ١٨٣٢م. وهي منشورة في كتاب: وثائق شبه الحزيرة العربية للدكتور عبدالرحمي.

قصة رحمة بن جابر وموته

حياة رحمة بن جابر، حياة مشحونة بالمغامرات، تصلح موضوعاً لمسرحية مثيرة.

هل كان قرصاناً؟

أم كان مجاهداً؟

هل كان وفياً لدولة التوحيد، أم انفصل عنها، ومال إلى جانب خصومها؟

هل مات منتحراً.. أم مات شهيداً؟

كل هذه الأسئلة ترد على الخاطر، ويقف المتسائل عنها حائراً..

المؤرخون الغربيون يقولون إنه كان قرصاناً مجرماً، وكان منظره مخيفاً، كأنه ضبع، أثخنته الجراح.

و (ابن بشر) يقول عنه، عند ذكره لوفاته سنة ١٢٤٢:

(وفي جمادى الأولى من سنة «١٢٤٢هـ» توفي الشجاع، المقاتل في البحر، رحمه بن جابر بن عذبي رئيس الجلاهمة من بني عتبة، أهل البحرين وأهل الكويت.

وكان نادرة وقته بأساً وشجاعة، وكان الإمام سعود استعمله في الخوير والدمام محارباً في البحر، فصار له هيبة، وأرسل إليه سعود رجالاً يقاتلون معه، وكثرت أعوانه، فحارب أهل البحرين ومسقط وغيرهم حرباً شديداً، وله معهم وقعات.

فلما نفذ القدر في آل سعود بالتفرق والجلاء، نزل الدمام وأقام مدة مصالحاً لأهل القطيف والبحرين).

ثم يذكر ابن بشر معركة نشبت بينه وبين سفن أهل البحرين. . قتل فيها خلق كثير. . وان سفينة رحمه بن جابر ثار (جبخانها من البارود الذي فيها فاشتعلت النار. . وفُقِد رحمه ذلك اليوم).

وروايات الغربيين، الذين كانوا يمثلون المصالح البريطانية في الخليج، تجمع على أن (رحمة) لما رأى الخطر محدقاً به وكان يحتضن طفلاً له إلى صدره، أشعل النار، حتى يحترق هو ومن معه ومن وصل إلى سفينته من خصومه، مفضلاً أن يموت بيده، لا بأيدي أعدائه!

وبذلك يكون قد انتحر انتحاراً، وإن كان له عذر.

أما ابن بشر فهو حسن الظن برحمة، ولعله أعلم بأمره من غيره، وهو يذكر من حسناته أنه كانت له (محبة لأهل هذا الدين وأهل هذه الدعوة من هذه الطائفة).

. . فمن شعره: الدالية التي أنشأها، بعد هدم الدرعية، تنبيء عن حسن عقيدته، ومحبته لهم، فمنها قوله:

جزى الله بالخيرات عنا أئمة	دعونا إلى التوحيد عن هوة الردى
مشايخنا أحبار دين نبيّهم	فمنهم «تقي الدين» حبرٌ تزهدّا
وقام على آثاره شيخ علمنا	إمام روى التوحيد علماً وسؤدداً
وأطفأ نيراناً لشرك تجدّدت	بنجد فواراها هناك وأخمدا

والذي يعنينا من قصة رحمة، في عهد الإمام تركي، هو أنه خلف ولداً، اسمه: بشر بن رحمة، كان استبقاه في الدمام، نائباً عنه قبل خروجه إلى البحر!

ويبدو أن الإمام تركي كان راغباً في تسليم الدمام إلى بشر بن رحمة، بعد أن أخرجه منها شيخ البحرين، ولكن شيخ البحرين اعترف بسيادة الإمام تركي، في إتفاق عقد فيها بينهما، ولم يرد للدمام ذكر فيه، وهذا يعني أن بشراً لم يعد إلى المنصب الذي انتزع منه.

رحمة بن جابر .. هل كان قرصاناً؟ أم ثائراً وعدواً لآل خليفة؟

يقول بيلي ويندر في كتابه: «العربية السعودية في القرن التاسع عشر»:

من أبرز الشخصيات، التي كانوا ينعتونها بالقراصنة، كان رحمة بن جابر بن عذبي، رئيس فرع الجلاهمة، وهم من عرب العتوب، الذين منهم أيضاً آل خليفة، حكام البحرين.

كان رحمة من عمال الإمام سعود بن عبدالعزيز، في زمن عظمة الملك السعودي.

ولم تكن هوايته القرصنة، كما يذهب إلى ذلك بعض الناس، ولكن آل خليفة، في اعتقاده، حرموه من حقه في البحرين، ولذلك ظل طوال حياته حاقداً عليهم، يقود حملة ثأر موصولة ضدهم.

كان رحمة أعظم «قرصان» هدّد البحار وأرعب الملاحين، وقد غيَّر مراراً ولاءه ومعسكراته، ولكنه كان يجتنب دائماً الهجوم على السفن البريطانية.

وقد هلك سنة ١٨٢٦م، حين فضل أن يغرق سفينته وسفينة خصمه، على الهزيمة والاستسلام لعدوه أحمد بن سليمان آل خليفة.

ويقول بعضهم إن هذه الحادثة التي عرفت باسم «ذبحة رحمه» تتلخص بأنه ألقى فحمة مشتعلة من رأس «نار جيلته» على مستودع البارود، في سفينته، فتفجر واشتعلت سفينته، وكان يحمل حفيده الصغير بين ذراعيه.

وصف مخيف لرحمة:

وقد ترك لنا الضابط البريطاني الكابتن ر. مينيان وصفاً مخطوطاً لما شاهده

عياناً قبل تلك المعركة البحرية، وخلالها، قال:

(كنت حاضراً آخر مقابلة جرت بين رحمه والانجليز. كان ذلك في بوشهر، في مقر المقيم البريطاني، كان منظر رحمة منظراً وحشياً، لم يغير قميصه منذ لبسه أول مرة، ولم يكن عليه سروال يستر ساقيه الرقيقتين، وكان يلتف بعباءة خشنة من صوف، ويضع على رأسه كوفية مخططة بالخضرة والصفرة، وهي شبه مرمية على رأسه. كان جسده الجاف مخدداً و«مثقباً» بالجراح، وكذلك وجهه كثير الندوب العميقة، وإحدى عينيه «مقلوعة»، وكانت يداه طويلتين وهزيلتين وكأنهما مخلب طائر مفترس، وكان ذراعه الأيسر مكسوراً، والعظمة التي بين مرفقه وكتفه أصبحت ذرات متناثرة من صدمة أصابتها ولكنها تجمعت وتلاصقت بحيث يخيل إليك أن الذراع والمرفق التحما بالكتف بجلدة ووتر فقط!

وكان يمد أصبعه الطويلة المرعبة، التي تطوقها الحلية الوحيدة التي يحملها: خاتم فضة ضخم، منقوشة فيه حروف عربية، وكان يقول:

ليس شيء أحب إليَّ من أن أقطعها بخنجري، كما أقطع كثيراً من الرؤوس بضربة من ذراعي، المجرد من العظم!

ليس في الخليج ركن واحد في أمان من غزواته.

إنه يهب بقوة الصاعقة وسرعة البرق، مكتسحاً كل شيء، ومتنقلاً من شاطىء إلى شاطىء ومن جزيرة إلى جزيرة.

وكان يهدد، أحياناً، بوشير والبصرة معاً!

ولكن حياة هذا القرصان قدر لها أن تنتهي بشكل رهيب.

ففي صباح جميل، انحل الضباب عن صفاء تام، وظهرت، فجأة، على البحر الأزرق سفينة صغيرة، فأمر رحمه رجاله أن يتقدموا بسفينتهم نحوها،

وذلـك بعـد أن سألهم إن كانوا يريدون النجاة بأنفسهم خوفاً من أعدائهم، لقلتهم وكثرة الأعداء، فرفضوا الانسحاب وصمموا على التحدي).

وكانت المعركة.. واستطاع فريق من رجال آل خليفة الصعود إلى سفينة رحمة وأرادوا قتله.. ولكنه فجر السفينة فهلك بيده، لا بأيديهم.

ويقـال إن بعض المقـاتلين على السفينـة، عنـد وقوع الانفجار، قذفوا بأنفسهم إلى البحر، فجاء أنصار آل خليفة والتقطوا أنصارهم، وأما رجال رحمة فماتوا غرقاً!

أحداث غريبة

في سماء الدنيا .. وعلى الأرض

يهتم الفاخري، ويجاريه في ذلك ابن بشر، بما يقع في نجد وما حولها، من ظواهر في السماء الدنيا، تتصل خاصة بالكواكب، وما يحدث على الأرض من مطر أو جفاف، ورياح عاصفة ونحو ذلك، ومن أوبئة تصيب الناس وتفتك بالعشرات والمئات.

وقد أحببنا أن ننقل عنهما أكثر ما سجلاه من ذلك في زمان تركي.

سنة ١٢٤١هـ:

قلّ المطر.. ووقع الجدري فعمّ البلاد. - الفاخري -

سنة ١٢٤٢هـ:

كثر هبوب الرياح جداً بخلاف العادة، وقلّ المطر وقلّ النبات، وقل السمن في الدواب، ووقع في البلدان نوع من العصافير البرية، وهي جنسان: كبار كالقنابر - التي تسمى القويبع، وصغار كالعصافير، وأخذت تحصد الزرع، وهي طوال، وكانوا يسمونها الحصد، وجعلوا يذودونها واستمرت شهراً وأكثر، وكان مجيئها في آخر الشتاء، إلى أن اشتدّ الحب في سنبله، ثم تفرقت وضعف أمرها، وهذا أمر لم يعهد.. - الفاخري -

سنة ١٢٤٤هـ

وقع الطاعون ببلاد الوشم، وغزا تركي بن عبدالله، فمرّ بالوشم، فأصاب قومه ما أصابهم من ذلك الوباء، ومات منهم نحو ستين رجلاً، منهم سلطان بن عبدالله، أمير ثرمدا.

وفيها رخصت الأسعار بكل بلد ـ الفاخري ـ

سنة ١٢٤٦:

وفيها الريح التي كسرت من النخيل ما كسرت.. واستمرّ الرخاء على الناس ـ الفاخري ـ

سنة ١٢٤٧هـ:

هذه السنة ينبغي أن تسمى سنة الحوادث لما وقع فيها.. ومن ذلك الحمرة التي حدثت عند طلوع الفجر، وعند غروب الشمس.. ومن ذلك القتام الذي يشبه الغيم في السماء، دون الأرض، وقد استمر، فصارت الشمس ترتفع أول النهار ولم يسطع ضوءها آخر النهار قبل أن تغيب، وفي اليوم الثامن عشر من ربيع الأول طلعت خضراء كأنها قطعة زجاج وأبصرها جميع الناس، وصارت كذلك الى آخر النهار.

ويقول ابن بشر، في أخبار سنة (١٢٤٧هـ):

في هذه السنة حصل في السماء غيارات، عند طلوع الشمس وعند غروبها، وغير ذلك.. ففي آخر صفر ليلة ٢٥ و ٢٦ صار في السماء والأرض نور قريب من نور القمر، واستمر إلى آخر الشهر، وعجب الناس من ذلك، فلما كان سابع ربيع الأول صار قتر في السماء وتغيّرت الشمس، وأول العشر الأواخر من هذا

الشهر، ظهرت الشمس من المشرق خضراء كأنها قطعة زجاج، وصارت تلك الخضرة في الأرض والجدران، وحسبها أكثر الناس كسوفاً.

وفي هذا الشهر صار في الأفق حمرة زائدة بعد غروب الشمس وقبل طلوعها، واستمر أياماً وشوهد قبل انفجار الصبح حمرة بادية من جهة الشمال، ليس هي من وجهة الفجر نحو ثلاثة أيام، وفي النصف من هذا الشهر، بعد صلاة المغرب، ظهر في الأفق حمرة عظيمة من جهة الجدى، ثم سارت إلى المغرب وأضاءت الأرض والجدران، واخضرّت ثم احمرّت، حتى ظن الناس أن الشمس لم تغرب.

وفي أول ربيع الثاني، اجتمع من السيارات خمسة في برج الأسد: الشمس والقمر والمريخ وزحل وعطارد.

وفي أخبار سنة ١٢٤٨ :

في ليلة الثلاثاء تاسع عشر جمادى الآخرة، بعد ما مضى نصف الليل:

تطايرت النجوم في السماء كأنها الجراد، وكأنها شعل النار وقدح الزند، ومن جميع جهات السماء كلها، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وصار فيها شهب عظيمة تنقضّ وتضيء بالأرض، ويبقى موضع الشهاب ساعة لا يزول، وانزعج الناس لذلك، واستمر إلى بعد إصفرار الصبح حتى ستره النهار، وأخبرني من أثق به أنه رأى شهباً تنقضّ بعد ما طلعت الشمس، يراها كأنها الدخان.

وفيها حدث برد أضرّ بالنخيل.. وفي السنة التي تلت.. برد أعظم.. بحيث أن الماء الذي يقطر من الغروب على الدراج وما تحته يعترض على حافة البئر جامداً كأنه العامود.. وما اختلّ حمل النخل، وفي سنة الخمسين.. الأسعار في غاية الرخص.. البر: خمسة وعشرون صاعاً بريال والتمر سبعون وزنة بريال.

مصرع الإمام تركي

عودة فيصل بن تركي

وصف معركة القصر في الرياض

مقتل مشاري بن عبد الرحمن

مصـرع الإمـام تركـي

في نهاية سنة ١٢٤٩هـ، وفي آخر يوم من شهر ذي الحجة، أدّى الإمام تركي صلاة الجمعـة، وخـرج من المسجـد إلى قصره ماشياً وحـده، من غير حراسة، وكان يقرأ كتاباً قدمه إليه أحد المراجعين، ويتبعه غير بعيد منه خادمه الأمين (زويد)، فاعترضه مملوك لمشاري يدعى (إبراهيم بن حمزة بن منصور) وأطلق عليه الرصاص، فسقط الإمام صريعاً، وإذا بمشاري وجماعة معه من المتآمرين يخرجون من المسجد، شاهري سيوفهم، ويصيحون أن حكم تركي قد زال وقام حكم مشاري، فبهت الناس وتملكهم الخوف، وما لبث مشاري

أن دخل القصر مع بعض أعوانه، وأخرج عيال تركي وفيصل منه واستولى على كل ما كان فيه، وأعطى أعوانه كثيراً من النقود التي وجدها في القصر ليبثوها بين الناس ويشتروا الضمائر التي تباع. . وجلس مشاري في القصر لتقبل البيعة. . وأرسل إلى آل الشيخ الذين احتموا بالمسجد خوفاً على أنفسهم من القتلة، أن يخرجوا من المسجد ويقدموا عليه لمبايعته، وكانت العادة أن آل الشيخ يبدأون البيعة ثم يتبعهم سائر الناس، فطلبوا منه الأمان فخرجوا وبايعوه وتبعهم الناس، لاعتقادهم أن الأمر قد أحكم ودبر وأبرم بليل.

أراد زويد، حين رأى ما فعله مشاري والقتلة بسيده أن يقاتلهم ولكن أحداً لم ينصره، ثم أمسك به أعوان مشاري وحبسوه.

وأما جثمان الإمام الشهيد فقد حملوه إلى بيت (زويد) حيث غسلوه وكفنوه، ثم دفنوه، بعد الصلاة عليه، في مقبرة الرياض.

قبر تركي:

ويقول فيلبي ان الملك عبدالعزيز كان يزور مقبرة الأسرة في (البطحاء) بالرياض، حيث دفن جده الإمام فيصل وأبوه الإمام عبدالرحمن بن فيصل وغيرهما، ثم يذكر بأسى جده الإمام تركي، الذي لم يدفن مع أبنائه وأحفاده.

ذلك انه دفن في مقبرة وراء باب الظهيرة، شمالي الرياض.

مصرع الإمام تركي بن عبدالله
في بعض المصادر الغربية

جاء في منتخبات سجلات حكومة بونباي .

(هناك أسباب حقيقية تحمل على الظن بأن العمل العنيف الجريء الذي أقدم عليه مشاري . . إنما كان بإغراء وتحريض من عبدالله بن أحمد بن خليفة، شيخ البحـرين، الذي كان يرسل الكتب إلى القاتل، ولما بلغه مقتل الزعيم الوهابي ـ تركي ـ تلقّاه بإطلاق النار ومظاهر الفرح الأخرى)

وجـاء في (دليل الخليج الفـارسي) ما يشبه الخبر السابق، بصيغة أكثر اعتدالاً (هناك أسباب تدعو إلى الظن أن مقتل تركي عام ١٢٤٩ هـ على يد مشاري ورجاله كان بتحريض شيوخ العتوب، أو على الأقل كان مرضياً لهم، وقد كانوا قبل ذلك حاصروا ميناء القطيف وميناء العقير).

وهنـاك خبر عن محرضي مشـاري ومشجعيه يتسم بالغـرابة، وهو قول (موزيل) ان مشاري (قتل تركي . . بالذهب المصري . . وأن للقائد اسماعيل بك دوراً في هذا الموضوع، وأن الأتراك اعترفوا بحكومة مشاري بعد اغتياله لخاله).

وقد نقل الدكتور العثيمين رواية موزيل، واستبعدها، وخصوصاً الادعاء بأن الترك اعترفوا بحكومة مشاري، لأن أيامه كانت قليلة لا تتيح الفرصة للاعتراف . .

وفي رأينا أن الخصومة التي قامت بين شيخ البحرين وبين الإمام تركي قد تحمله على الابتهاج بمقتله، ولكنها لا تجيز لأحد أن يذهب إلى حد اشراكه في جريمة قتله . . فالحرب شيء، والاغتيال شيء آخر، فهو إلى فظاعته محفوف

بالمخاطر.

لقد كانت نفسية مشاري سيئة، والأشخاص الذين عاونوه واشتركوا معه كانوا على شاكلته، قد امتلأت نفوسهم حقداً وحسداً وشهوة إلى المناصب التي حرموا منها، والله أعلم.

من هو القاتل؟

لا نقصد بالقاتل المباشر بالقتل، وهو عبد تافه، مأمور، يشبه السلاح بيد من يستحمله، وإنما نعني رأس الفتنة، المدبر لجريمة القتل، وهو مشاري بن عبدالرحمن.

وفي آل سعود غير واحد يحملون اسم مشاري، والناس اعتادوا أن يطلقوا على كل فرد من آل سعود لقب: (ابن سعود) وان لم يكن اسم أبيه سعوداً، وانتقلت هذه العادة إلى الأجانب فسموا كل رئيس من آل سعود: ابن سعود، وحتى الملك عبدالعزيز، رحمه الله، كان يعرف في الغرب باسم: ابن سعود.

ويقول فيلبي ان تسمية أفراد كثيرين من الأسرة السعودية الكبرى باسم واحد يجعل التمييز بينهم أمراً عسيراً، ومن هناك نشأت حيرته في هوية قاتل تركي، وكان يظن أن الإمام تركي نفسه هو ابن الإمام سعود، وأن عبدالله بن سعود كان أخاه، وفاته أن أباه هو عبدالله بن محمد.

ويقول ابن بشر ان القاتل هو: مشاري بن عبدالرحمن بن مشاري بن سعود.

ويبدو أنه أسقط اسم أب من آبائه، فقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف أن اسمه الكامل هو: (مشاري بن عبدالرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود بن محمد بن مقرن).

وهكـذا يتضـح لنا أن مشاري هذا ليس من سلالة محمد بن سعود، مؤسس الـدولـة السعودية الأولى، ولكنه من سلالة مشاري، أخي محمد بن سعود، وبينه وبين سعود في سلم القرابة، سبع درجات، كما يقول الفرضيون، ولـذلـك كان تركي تعوّد أن يخاطبه، بابن العم، وإن تكن صلة القرابة بين مشاري وبين تركي من جهة الأم - أو صلة الرحم - أوثق، فتركي خاله، أخو أمه.

متى عاد القاتل من مصر؟

يقول ابن بشر، في أخبار سنة ١٢٤١هـ إن مشاري جاء في تلك السنة هارباً من مصر فقدم على خاله تركي.

ويقول لنا ابن بشر، عند كلامه عن مصرع تركي، ان قاتله مشاري جاء من مصر سنة ١٢٤٢هـ وروايته الأولى هي الأصح، لأن ابن بشر يذكر قيامه، في السنة التالية (١٢٤٢هـ) بالإغارة على بدو في حفر العتك.

وكيف عاد؟

يقـول المؤرخ الـروسي (لـوتسكي) ان مشـاري - ويسميه مشاري بن سعود، كأنه في نظره أخو الإمام الشهيد عبدالله بن سعود - قد عيّنه محمد علي على نجد وأرسله إليها وأن أحداً من أهل نجد لم يأبه له.

ولا يذكر لوتسكي مصدر روايته، ولم نعثر على ما يؤيدها، ولكنها تلقي شبهة على قصة هربه فربما كانت عودته من مصر بتدبير من محمد علي ودسيسة من دسـائسـه ضد تركي، وان كنا لا نستبعد قيام مراسلات بينه وبين خاله تركي، فقصيدة تركي النبطية الرائية المشهورة، يؤنب فيها مشاري لا ستطابته الإقامة في مصر ذليلاً كالعبيد، أرسلت إلى مشاري في مصر.

مراحل المؤامرة

ننقل وصف المؤامرة على تركي عن ابن بشر، مع تقديم وتأخير، وبعض التصرف، حرصاً منا على إعطاء القارىء صوراً متكاملة للمؤامرة، وسنضع أقوال ابن بشر التي ننقلها دون تصرف بين قوسين.

بداءة حسنة:

وصل مشاري إلى الرياض سنة ١٢٤١هـ فأكرمه خاله تركي وأعطاه عطاء جزيلا، وجعله أميراً على (منفوحة) وفي السنة التالية أرسله على رأس قوة للإغارة على عربان من بني خالد، في حفر العتك، فقاتلهم وانتصر عليهم وجرح جرحاً خفيفاً، ورجع.

ويقول (فيلبي) إن تركي انتدبه في هذه الغارة لابعاده عن منصبه في (منفوحة) وهذا غير صحيح، لأن شكوك تركي بمشاري لم تكن قد بدأت بعد.

شبهات وشايات:

وفي سنة ١٢٤٦هـ جاء إلى تركي رجل وشى بمشاري عنده وقال له إن مشاري (اجتمع بأناس من ولاة الرعية وعاهدهم على قتله، فوقع في نفس تركي على أناس منهم، من أجل هذه الشبهة، فعزل من عزل منهم عن ولايته وعفا

عمن عفا، ولم يرفع بالأمر رأساً، وزاد في اكرام مشاري، إلا أنه عزله عن أمارة (منفوحة) فحقد في نفسه.

ومن هناك يتبين لنا، كما يقول فيلبي، حلم تركي وتسامحه، وذلك أنه أحسن الظن بمشاري، وجعل الذنب قاصراً على الأشخاص الذين «يوسوسون» له ويدفعونه.. وربما كان إبعاده لمشاري عن منصبه رغبة منه في عدم احتكاكه بالمفسدين ودعاة الفتنة، ولم يكن هذا التدبير كافياً.

هرب مشاري مغاضباً:

وفي سنة ١٢٤٦هـ خرج تركي من الرياض في حملة كبيرة، غازياً إلى الشمال، فانتهز مشاري الفرصة وهرب من الرياض، وبدأ رحلة التآمر.

ذهب أولاً إلى (منديل بن غنيمان، رئيس الملاعبة، من مطير وعربانه، في المستوى المعروف عند مال السر فطلب منه ينزل عنده وينصره فأبى.

ثم رحل من عنده، وكاتب رؤساء أهل القصيم يطلب منهم ذلك فأبوا عليه..

ثم سار ونزل على عربان عنزه واستنصرهم فلم يغنوا عنه شيئاً.

ثم سار إلى مكة وقصد الشريف محمد بن عون فأكرمه، وأراد منه النصر والمساعدة، فأبى عليه، وأقام عنده عدة أشهر.

ندامة مشاري ورجوعه سنة ١٢٤٨هـ:

لما خابت آمال مشاري في التماس من يساعده على مقاتلة خاله تركي، وطالت به الغربة.. لم يجد له مناصاً من الرجوع إلى خاله وادعاء الندم والتوبة.. والله يعلم ما كان يخفيه في قرارة نفسه.

وهكذا نزل عند أهل بلد (المذنب)، وطلب منهم أن يذهبوا إلى خاله تركي ويؤكدوا له أن مشاري أدرك خطأه العظيم وجرمه الجسيم، وندم ندامة تؤهله لعفو خاله عنه، ويأخذوا له منه ذمة وعهداً، ثم ركب معهم وساروا جميعهم إلى الرياض وقدموا على تركي، والتمسوا لمشاري الصفح فاستجاب لهم وعفا عنه، وأكرمه وأسكنه بيتاً عنده ـ ويقول فيلبي: إن مشاري ألقى (بنفسه على أقدام خاله، راجياً العفو بعد المقدرة، فاستقبله بلطف وترحاب، ووهبه منزلاً قرب القلعة.

مشاري يستمر في التآمر:

لم تكن ندامة مشاري إلا لوناً من المكر، فقد عاد إلى التآمر، ويقول ابن بشر إن رجالاً من دعاة الفتن زيّنوا لمشاري أنه أولى من تركي بالزعامة، ولا يتحقق ذلك إلا بقتل تركي.

وكانت تصل إلى تركي أخبار سيئة عن حركات مشاري، ولكنه ماكان يعيرها سمعاً، لاعتقاده باستحالة إقدام تركي على اقتراف جريمة القتل.. وبمن؟ بخاله، الذي يودّه ويبرّه؟!

تنفيذ المؤامرة:

في آخر سنة ١٢٤٩هـ كان فيصل بن تركي قد سار بالجيوش إلى القطيف.

وتركي بقي وحده في الرياض، وليس فيها من مقاتلته إلا القليل.

ومشاري يعرف أن تركي يخرج إلى المسجد، من دون حراسة كافية، وقد يدخل المسجد و يخرج منه وحده.

فعزم مشاري على إظهار ما بطن، وجرّد سيفه لإثارة الفتن، وذلك

بمساعدة رجال أسافل، من الخدم والأراذل، وتواعدوا عليه بعد صلاة الجمعة، إذا خرج من المسجد.

فلما صلّى الجمعة وصلى سنتها التي بعدها، خرج على عادته من الباب الذي جنوبي المحراب (وكان قد أعدّ هذا الباب في قبلة المسجد لدخوله وخروجه، ولدخول الإمام، دون تخطي رقاب الناس، لكثرة ما في المسجد من الصفوف) فوقف له البغاة عند الدكاكين بين القصر والمسجد «فخرج تركي» وبيده مكتوب يقرأه، وفي جنبه رجل على يساره، فاعترضه منهم عبد خادم لهم يقال له «إبراهيم» بن حمزة، فأدخل «الطبنجة «مع كمّه وهو غافل، فثوّرها فيه، فخرّ صريعاً..

وإذا مشاري قد خرج من المسجد فشهر سيفه وتهدّد الناس وتوعدهم، وشهر أناس سيوفهم معه، فبهت الناس، وعلموا أن الأمر قد تشاوروا فيه وقضي بليل.

وأراد (زويد) مملوك تركي وخادمه أن يقتل القتلة ويؤلب عليهم الناس فلم يجد بينهم ناصراً للرعب الذي داخلهم، وأمسك به أعوان مشاري وحبسوه.

البيعة لمشاري:

ودخل مشاري وأعوانه قصر الإمام تركي، وأمر مشاري على عيال تركي وابنه فيصل فأخرجهم من القصر، واستولوا على كل ما فيه من النقود والأواني والكسوة، وما في ملحقاته من الخيل والإبل، والأسلحة. ووزعوا كثيراً من الدراهم التي نهبوها من بيت المال وخزائن القصر بين الناس لشراء ضمائرهم.

وجلس مشاري فوراً في القصر ودعا الناس إلى مبايعته، وكان آل الشيخ قد دخلوا المسجد عند سماعهم ماحدث، فلما طلبهم للبيعة اشترطوا عليه

الأمان، فأمّنهم، فخرجوا وبايعوه. (١)

وبايعه أهل الرياض، وأرسل رجالاً إلى البلدان ليأخذوا البيعة باسمه، ففعلوا.

كيف كفنوا الإمام تركي ودفنوه:

وأخرجوا جثة الإمام الشهيد إلى بيت مملوكه (زويد)، حيث غسل وكفن، وبعد صلاة العصر، أقيمت عليه الصلاة، ودفن مساء ذلك اليوم - الجمعة - في مقبرة الرياض.

طمأنينة مشاري، بعد جريمته:

ويقول ابن بشر ان مشاري كان مطمئناً إلى نجاح مغامرته الفظيعة لأن أعوانه أوهموه أن الأمير فيصل بن تركي لن يتجرأ على حربه ولن يجد بين الناس من ينصره ويساعده.

ولكن الله سبحانه عجّل عليه العقوبة، وكانت نهايته عبرة لمن يعتبر.

هرب زويد وإبلاغ النبأ إلى فيصل:

استطاع (زويد) الهرب من حبسه، وذهب إلى فيصل بن تركي، وأخبره بمصرع أبيه وما فعله مشاري وأعوانه. (٢)

---

(١) و (٢) أنظر ابن بشر الذي نقلنا عنه هذه الأخبار.

عودة فيصل للثأر لأبيه

الإستيلاء على الرياض والقصر ومقتل مشاري

كان فيصل محاصراً لبلدة «سيهات»، وعلى أهبة دخولها، فلما أبلغه (زويد)، خادم الإمام تركي، نبأ مصرع والده الشهيد، فكَّ فيصل الحصار فوراً، وسار من القطيف قاصداً الأحساء، لإتمام استعداداته للقتال والثأر.

ويبدو أن الخبر كان قد فشا في الأحساء، فجمع فيصل من كان معه من رؤساء البلدان والعربان، وفي مقدمتهم:

عمر بن محمد بن عفيصان، أمير الأحساء.

وعبدالله بن علي بن رشيد.

وعبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن حسن، رئيس بريدة.

وحمد بن يحيى بن غيهب، أمير بلدان سدير.

وتركي الهزاني، رئيس الحريق.

وغيرهم من الرؤساء البلدان والعربان.

بيَّن لهم فيصل ما ينوي عمله للثأر لأبيه، وهو السير إلى الرياض، إما فوراً أو بعد الانتهاء من ترتيب الأمور والقضاء على الفتن في القطيف، فرجحوا السير فوراً، قبل أن يستعد مشاري للمقاومة والمقاتلة، وبايعوه على السمع والطاعة والسير معه، وفتح له (ابن عفيصان) خزائن بيت المال، وقام بما يجب من جمع المؤن وغير ذلك، وسار فيصل بجيوشه إلى الرياض، واستطاع أن يصل دون أن يشعر به أحد، ثم أحكم خطته لدخول الرياض، التي كانت بروجها ممتلئة

بالجنود، وذلك بإرساله في الليل عدداً من أهل الرياض الذين كانوا معه طليعة يحاورون حراس الرياض والذين يعرفونهم ويستدرجونهم لإدخالهم إلى قلب الرياض وإنزالهم في بيوتها، ففعلوا ونجحوا، ثم تبعهم (فيصل) بجنوده بعد صلاة الصبح ، وقام فيصل بمحاصرة القصر الذي كان يحتمي فيه (مشاري) وأعوانه، الذين فوجئوا بمحاصرة جيوش فيصل لهم، ولم يعرفوا خيانة جنود مشاري له .

ويبدو أن الحصار كان مقدراً له أن يطول، لمتانة القصر وكثرة مافيه من سلاح ومؤن، ولكن أحد رجال القصر المحصورين، وهو (سويد)، طلب من ابن رشيد بوساطة أحد الأفراد الذين استطاعوا النزول من القصر، المفاوضة . . فاستأذن ابن رشيد الإمام فيصل في مفاوضته، فوافقه، وتم الاتفاق بين سويد وابن رشيد على إعطاء المحصورين الأمان على أنفسهم، باستثناء مشاري ومن باشر القتل أو حضره .

وجاءت بعد ذلك المرحلة الحاسمة وهي اقتحام المكان الذي التجأ إليه مشاري في القصر، فأصرّ ابن رشيد على أن يتولى ذلك هو نفسه، وصعد إلى القصر مع عدة رجال، وكانت بينه وبين مشاري جولات، وانتهت بمصرع مشاري، بقطع رأسه بالسيف في قول، وبرميه بالرصاص في قول آخر.

وهكذا انتهت مغامرة مشاري التي استمرت أربعين يوماً، واستعاد (فيصل) ملك أبيه .

أما القول بأن مفاوضات جرت بين مشاري وفيصل في المسجد أو في مكان آخر، طلب خلالها مشاري الأمان. . أو أن ابن رشيد طلب له الأمان من (فيصل). . فكلام لا يقبله عقل ولا يسيغه منطق، فكيف يقبل (فيصل) مجرد التفكير في استبقاء قاتل أبيه حيًّا. . وبعد كل ما سبق من تآمره ومكره؟

استيلاء فيصل على الرياض ومقتل مشاري في رواية ابن بشر

يقول ابن بشر إن (زويد) خادم تركي، استطاع الهرب من حبسه، وذهب إلى فيصل بن تركي وأبلغه خبر مقتل أبيه، وكان فيصل في القطيف، فكتم الخبر عن الناس، وقدم الأحساء، وكان الأمير فيها من جهة تركي: عمر بن محمد بن عفيصان، ففشا الخبر في الأحساء، وكان فيها من رؤساء المسلمين من الأمراء والأعيان، منهم:

عبدالله بن علي بن رشيد.

عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن حسن، رئيس بريدة.

تركي الهزاني، رئيس الحريق.

حمد بن يحيى بن غيهب، أمير بلدان سدير.

وغيرهم من الرؤساء، ورجال من رؤساء العربان.

جمعهم فيصل، ومعهم ابن عفيصان وأخبرهم بالأمر، وأنه لابد له من الثأر لدم أبيه، ومازال بهم حتى بكوا وأجمعوا على مبايعته على السمع والطاعة والمسير معه، وساعده ابن عفيصان، وفتح له بيت مال الأحساء، فأمر فيصل (بالتزود للمسير بالذهاب والزهبة والسلاح والدراهم.

ثم رحل من الأحساء بجنوده ورفع راياته وبنوده، وأعمى الله أخباره على الباغين، حتى لايعلموا صدوره وووروده.

فلما كان ليلة الثلاثاء ١٩ محرم نزل قريباً من بلد الرياض، وثوروا من

البارود، حتى كان له رعد عظيم وانقضاض، ومع ذلك فالباغي لايسمعه ولا يشعر به ولا خطر على باله ولا تحدث به، ويرسل الرسل ليأتوه بالخبر، فيرجعون إليه أن لا عين ولا أثر.

ثم أمر (فيصل) على من كان معه من أهل الرياض أن يدخلوا البلد في الليل ويمسكوا البروج والبيوت المقابلة للقصر، وأمر على رجال من غيرهم ممن يثق بهم أن يسيروا معهم.

جنود مشاري يتواطأون عليه . .

فلما وصلوا البلد، وجدوا بروجها وسورها مملوءة من الرجال، جعلهم مشاري فيها، فلما رآهم أهل البروج وعرفوهم سكتوا عنهم وأدخلوهم فرحين، وكل ذلك تقدمة لما قضاه أحكم الحاكمين.

ودخلت هذه العدوة البلد، كأنهم تواطأوا على وعد، من غير ما أن ينذر عنهم أحد، وفعلوا ما به أمروا، ودخلوا البيوت والبروج وضبطوها، فلما أحاطوا به (بمشاري) عن مدارك الفرار، شبّوا النار بالبنادق وصاحوا: الثأر!

فلم يفاجأ مشاري وذويه إلا صوت أولئك الرجال، وبنادقهم يثأرون عليه، وإذا بهم وسط البيوت يعتزون ويثأرون بدم الإمام، ويرمون.

فلما رأى ذلك (مشاري) بهت وسقط به، ونزل الرعب بلبه وقلبه أنها داهية شاقة وحادثة حاقة، فأغلق (أي مشاري وجماعته) الأبواب، وصعدوا بروجهم للحرب، وهم يعلمون أن ليس لهم بذلك من طاقة، ولكن أضرموا الحرب في رؤوس البروج ليبرموا أسباب الهروب والخروج.

وأبى الله إلا الانتقام، ممن غدر بالإمام.

دخول فيصل الرياض ومحاصرته القصر:

ولما كان بعد صلاة الصبح ركب (فيصل) من مكانه بالمسلمين ودخل الرياض ونزل بيت (زويد)، وفرّق المسلمين في البيوت وفي بروج البلد، وشبَّ الحرب على من في القصر، وكان الذي فيه: مشاري، ومعه نحو من مائة وأربعين رجلاً، منهم سويد بن علي،وكان الإمام تركي قد عزله من إمارة جلاجل.

كل الجهات، لا يفتر عنهم في جميع الحالات.

فلما كان ليلة الثلاثاء تاسع صفر، نزل من القصر رجال من سبيع وغيرهم، وأخبروا أنهم تخاذلوا ووقع الرعب في قلوبهم، فأتى منهم رجال ـ من أعيانهم ـ إلى (سويد) وطلبوا منه أن يأخذ لهم أماناً من فيصل، هذا وهم في حصن حصين، وعندهم من السلاح وآلات الحرب كمين فوق كمين، وعندهم من الأزواد وفواكه المطاعم ما لو حاربوا مائة سنة لكفاهم، ولكنه كما قيل: «سمين الغصب مهزول، ووالي الغدر معزول».

ولما كان ليلة الخميس حادي عشر صفر، أرسل (سويد) إلى فيصل وطلب منه الأمان على نفسه وماله ومن كان عنده في القصر من الرجال، سوى من باشر قتل الإمام أو ساعد على قتله، فشاور الإمام فيصل رؤساء المسلمين، فأشاروا عليه أن يعطيهم الأمان، لأجل مافي القصر من بيت المال والخزانات، وخاف أن يؤخذوا عنوة فتصير بين الناس «شتات» فأعطاهم الأمان على الصعود للقتال.

صعود ابن رشيد إلى القصر:

. . فأتوا إلى القصر، ورموا لهم الحبال، فصعدوا في القصر وهم أربعون

من الرجال، مع الليث الشجاع والصارم القطاع عبدالله بن علي بن رشيد، رئيس جبـل شمـر، وبداح رئيس آل حتيش من العجمان، والشجاع المقدام عبـدالله بن خميس رضيع الإمـام، فنـزلـوا عليهم في وسط القصر، وقصدوا مشاري وأعوانه في مكانهم، فقتلوهم وهم ستة رجال، وأخرجوا جسد مشاري ورأسه خارج القصر، ليعرف وينظر إليه . .

في رواية ابن سيف:

طلب ابن بشر من محمد بن إبراهيم سيف، الذي كان الإمام تركي عينه قاضياً في (حائل) أن يصف له معركة القصر، فأرسل إليه كتاباً يقول فيه إن الذين كانوا في القصر نزلوا بالأمان.

(وبقي موقـد الفتنـة «مشـاري» وثلاثة معه في جوف القصر لايدرون، وخفيت عليهم خيانة جندهم حتى أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون.

فلما تنبّه الباغي ومن ذكر معه للخيانة تيقن أن البغي صرعه وخانه،

فكلما صعـد مربعة من القصر رجاء أن يدخلوه، قالوا له: ارجع أزكى لك، بل طردوه.

فلما أسلمه أصحابه ذهب ومن معه إلى أذل مكان في القصر وتخبأ.

فأصعد جنده الذين في المرابيع قوماً من جند المظلوم، فهبطوا عليه ليقتلوه فلم يزالوا بالحرب والضرب يساجلونه، فقتلوا أصحابه قبله، فلما استراحوا منهم توجهوا إليه وجعلوه قبله، فلما أثخنوه بالجراح المزعجة تخبأ في بيت درجة، وطلب مواجهة ابن عمه، فأبوا عليه، ثم طلب شربة ماء فلم يجيبوا إليه، فخرج عليهم مصروعاً بالبغي، فأجّجوا فيه الملح والرصاص، وأخذوا الثأر واستوفوا بالبيض القصاص. . وجملة من قتل معه وبعده ستة رجال).

مصرع تركي وعودة فيصل ومقتل مشاري في رواية فيلبي

وطأ فيلبي للكلام عن مصرع تركي، بمقدمة عن قيام ابنه فيصل، قبيل تلك المأساة المروعة، بحملة كبيرة، أمره بها تركي، ضد أهل جزيرة العماير، الذين يحاربون تابعه: عبدالله بن غانم، حاكم القطيف.

قال فيلبي: زحف فيصل بن تركي عن طريق آبار الرمحيه، التي تقع على حافة الدهناء، وهاجم أهل العماير وحاصرهم وهزمهم شر هزيمة. ففروا إلى حصن الدمام التي كانت من أملاك حاكم البحرين. ثم طاردهم فيصل حتى سيهات ووضع خطة لمحاصرة الحامية واكراهها على التسليم. فاحتل جزر تاروت ودارين وأقام فيهما حاميات من جنده. غير أنه توقف عن العمليات الحربية لدى ورود أخبار مرعبة من الرياض، تتحدث عن مقتل والده تركي، على يد أنصار مشاري بن عبدالرحمن، عند خروجه من الجامع بعد صلاة الجمعة، واحتلال مشاري للقلعة واجباره سكان العاصمة على الاعتراف به أميراً عليهم.

المأساة المروّعة:

حدثت هذه المأساة المروعة قبل العاشر من أيار سنة ١٨٣٤م.. إلا أن فيصلاً كتم الخبر، ففك الحصار عن سيهات وأخذ معه عبدالله بن غانم إلى الهفوف. وهناك جمع قواده وأركان حربه، ومن جملتهم حاكم الأحساء، عمر بن عفيصان، عبدالله بن علي بن راشد.

وكان هناك آخرون غيرهم يعتمد عليهم فيصل اعتماداً كلياً، مثل حاكم بريدة عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن حسن، وحمد بن غيهب من أهل شقرا، وتركي الحزاني من الحريق. وأسر إليهم فيصل الخبر المفجع الذي ورده، ثم طلب نصحهم. فقرّ رأيهم بالإجماع على أن يعملوا على استعادة الرياض ومعاقبة المغتصب بأقصى سرعة ممكنة. ولتوثيق ما ارتأوه أقسم الجميع يمين الولاء والخضوع لفيصل كإمامهم وحاكمهم، ووضع ابن عفيصان الخزينة المحلية تحت تصرفه التام، ثم وضعت الترتيبات للزحف في أقرب فرصة.

وفي العاشر من حزيران سنة ١٨٣٤م، وصلت قوات فيصل إلى مشارف الرياض. ويبدو أن مشاري لم يكن على علم بهذه التحركات، غير أن أسوار المدينة وأبراجها كانت محروسة بقواته. وأرسل فيصل طليعة جيشه لدخول المدينة واحتلال الأبنية المحيطة بالقلعة، وحين تمكنت هذه من دخول الأسوار، بوشر بعد ذلك بقصف القلعة في الحال. وكانت القلعة مزودة بالذخيرة والأسلحة لمقاومة الحصار والصمود في وجه المهاجمين. إلا أن هرب فريق من قبائل السبيع، أضعف الحامية التي كان تعدادها مائة وأربعين رجلاً. وكان مشاري قد أرسل رسالةً إلى فيصل، يعرض عليه الاستسلام هو وأتباعه على أن تكفل سلامتهم. فوافق فيصل على هذا العرض، شريطة السماح لرجاله بدخول القلعة . . ودُلّيت الحبال من على الأسوار وصعدت بواسطتها فرقة مؤلفة من أربعين رجلاً بقيادة عبدالله إلى السطح توزعت تبحث عن مشاري وأتباعه، فأخرجوا من مخابئهم وسحبوا سحباً ثم ذبحوا. وألقى الجند برأس مشاري في الساحة العامة ليؤكدوا للشعب بأنهم قد ثأروا لمقتل إمامهم.

وبعد ذلك تقاطر أهل الرياض للسلام على فيصل، حاكمهم الجديد.

كان ذلك في الثامن عشر من حزيران سنة ١٨٣٤م، أي بعد أربعين يوماً من مقتل تركي الذي دام حكمه زهاء احدى عشرة سنة، محسوبةً من تاريخ وصوله إلى عرقة(١).

وصف ويندر لمعركة القصر:

وصف «ويندر» معركة القصر، إستناداً إلى رواية ضاري بن فهيد، وصفاً قد يكون فيه بعض الحقائق وبعض الأكاذيب التي تريق على الواقعة صبغة أسطورية.

قال ويندر ما ترجمته:

سمع عبدالله بن رشيد أن «سويد» وهو صديق له قديم، في البرج الجنوبي من القصر، فاستأذن «فيصل» في الاتصال به فأذن له، فقال له سويد أن يرسل خادماً في الليل فيجد رسالة منه في سور البرج، فجاء الخادم وأخذ الرسالة، وفيها يقول سويد:

(أنا في حالة يائسة، فإذا كان عندكم لي شيء.. فأنا أعرف كيف أخدمكم)!

فأجابه عبدالله بن رشيد، ، بعد استئذان فيصل: ستعود حاكماً في جلاجل!

فكتب إليه سويد: «تعال يا عبدالله، مع ثلاثين رجلاً، وسأرمي لكم حبالاً تصعدون بها إلينا. إن مشاري عنده عشرون رجلاً فقط، ولكن يجب ألاّ

---

(١) رواية فيلبي هي أقرب الروايات إلى رواية ابن بشر، ولعلها أصح ماكتب عن المعركة بين (فيصل) و (مشاري).

تستخفوا بشجاعته».

ما كان فيصـل راغبـاً في قيام صديقـه ابن رشيد بمغـامـرة، لأن نهاية المحصورين محتومة، وإن طالت أياماً، ولكن ابن رشيد أبى إلا الإقدام.

كان بين المـدافعـين عن مشـاري عبدٌ عنيد جسيم، يحرس باب حجرة مشاري، فلم يجرؤ أحد على اقتحامها. . ولكن ابن رشيد استطاع الإمساك بالعبد من خلفه، وجاء بعض رجال فيصل وذبحوا العبد. . وفتح الباب ـ وكان مشاري قد أصيب بجراح والتجأ إلى المسجد، ولكن عبدالله ورجاله لم يريدوا قتله، قبل استشارة فيصل، فلما دخل فيصل القصر والتقى بمشاري، قال له:

«لقد قتلت إمام المسلمين بغير حق، فالشرع يقضي بقتلك».

وهكذا أخرجوا مشاري من المسجد، وقتلوه.

ويعقب ويندر على مصرع تركي، قائلاً: إن مصرعه جرّ وراءه كثيراً من المتاعب، خلال تسع سنوات موصولة، قام خلالها أربعة من أفراد الأسرة المالكة بطلب الإمـامة، ثم عاد محمد علي إلى احتلال نجد، وانتهت فترة الاحتلال باستعادة فيصل لملكه مرة ثانية.

المعركة كما يصفها مطران:

وصف ندره مطران مسير فيصل إلى الرياض ومحاصرته للقصر واستيلاءه عليه، ومقتـل مشـاري، وصفـاً استمـده من كتـابات (بلغرف)، الذي زار الـرياض، وهذا ما جاء في كتابه: (سوريا الغد) الموضوع باللغة الفرنسية، بشيء يسير من التصرف والتلخيص.

كان فيصـل متردداً حين بلغـه مصرع أبيه بين الهجـوم على خصـومـه وإخضـاعهم، وبـين الانسحـاب والـرجـوع إلى الرياض للثأر. . فنصح له

عبدالله بن رشيد بالسير فوراً إلى الرياض، قبل أن يستعد مشاري للقائه بمزيد من الرجال والأسلحة، فاستمع لنصحه.

ووصل فيصل الرياض دون أن يشعر أحد بقدومه، وكان مشاري في قصره، وعنده خزينة الدولة، وأسلحة ومؤن تكفي جيشاً كبيراً مدة طويلة، وكانت جدران القصر غليظة قوية، وأبوابه من حديد، يصعب تدميرها.

أمر فيصل بمحاصرة القصر، ومضى على ذلك عشرون يوماً دون نتيجة، فعزم ابن رشيد على وضع حد لهذه الحالة، ولو كلفه ذلك حياته، فاصطحب معه رجلين قويين، وانتهز فرصة الظلمة الحالكة التي سيطرت على الجو وما حوله خلال الليل، ورشا الحرس واستطاع الوصول إلى حجرة النوم التي كان يرقد فيها مشاري، ولكنها كانت مقفلة، فاقتحمها بضربات عنيفة، فاستيقظ مشاري، وكان معه مسدسان، فلما رأى الأشخاص الثلاثة أخذ يطلق النار عليهم، فسقط رفيقا ابن رشيد على الأرض: أحدهما ميتاً، والآخر جريحاً يكاد يموت.. وشهر ابن رشيد سيفه على مشاري، ولكن مشاري كان عملاقاً فأمسك بابن رشيد وتصارعا وسقطا جميعاً على الأرض، وحاول ابن رشيد عبثاً أن ينتزع من مشاري مسدسه، وطال العراك بينهما، وإذا الرجل الجريح يتحامل على نفسه ويجذب بقوة مشاري وبذلك استطاع ابن رشيد أن يقطع بسيفه رأس مشاري، وذهب به إلى فيصل.

وهكذا استطاع فيصل أن يدخل القصر ويستولي على الحكم، وقدر خدمة ابن رشيد له، فجعله أميراً على الجبل وعشائر شمر، واستمرت له الإمارة ولعقبه من بعده.

ويتابع مطران ما جرى بعد ذلك، فيقول ان محمد علي ما لبث أن أرسل جيشاً إلى نجد بقيادة خورشيد باشا فأسر فيصلاً وبعث به إلى مصر، حيث بقي

معتقلاً حتى مات محمد علي، فلما خلفه عباس باشا، وكان شبه مجنون ـ كما يقول بلغرف ـ توهم أنه قادر على جمع البدو حوله والاستيلاء على البلاد العربية، فسهل لفيصل سبيل الخروج من سجنه والرجوع إلى الرياض، ليساعده في تحقيق حلمه، ثم جاء الأمر إلى خورشيد بالعودة إلى مصر.

رواية أبو علية

يعتمد د. أبو علية في كتابه «الدولة السعودية الثانية» على رواية مضاري بن رشيد، فيقول إن مشاري، بعد خيانة سويد له وتفرق حراسه عنه لجأ (إلى طلب الصلح، عله يحصل على أمان من فيصل، يستطيع أن يضمن سلامته. ودارت بينه وبين عبدالله بن رشيد، مندوب فيصل، عدة مراسلات، رأينا أن نذكرها هنا، لأنها تبين طبيعة الخلافات القبلية من جهة، وتعطينا صورة دقيقة عن موقف عبدالله بن رشيد من جهة أخرى، ذلك الموقف الذي كان له أثر عظيم في تأسيس الحكم الرشيدي في حائل.

وإليك نص المراسلات والمفاوضات التي دارت بين عبدالله بن رشيد، ممثل فيصل بن تركي، وبين مشاري بن عبدالرحمن، المحاصر في القصر.

لقد حاول الأخير أن يلجأ إلى المفاوضة، عله يحصل على أمان من فيصل، فيقول مشاري لعبدالله بن رشيد:

أنت ما يدخلك في مسألتنا، ونحن من عنزة وأنت من قحطان؟

أجابه عبدالله:

إني لم أدخل فيها إلا بإجماع طاعة المسلمين للخروج عليك، لأنك خائن

وقاتل إمامهم، وهو في المسجد، وأنا ماجئت لهذا المكان إلا في أوامر فيصل، وأنت إن أردت تنزل على حكمه وفي ما يرى فيك، فأنا أنصحك وأكون معك، فإن أبيت فسيفك في يدك، ونحن إليك من الواصلين.

ولكن المفاوضات لم تؤد إلى نتيجة حاسمة في الموضوع ولم يستسلم مشاري، الذي رفض فيصل الموافقة على مطالبه، ولما اشتدت المعركة بين اتباع فيصل ومشاري، احتمى الأخير في المسجد، فدخل عليه جند الفيصل، الذي أمرهم بإخراج مشاري من المسجد، ونفذ فيه حكم الإعدام بالنار، وكان ذلك في يوليو ١٨٣٤م. (١١ صفر ١٢٥٠هـ).

ولم ينفذ حكم الإعدام في مشاري فقط بل نال كذلك هذا الجزاء ستة من أعوانه، ونفذ الحكم في الجميع في قصر الرياض.(١)

ملاحظة:

(١) لا يصح أن يسمى ما دار من حوار بين ابن رشيد ومشاري، كما رواها «ضاري» من ذاكرته وخياله.. نصوصاً ومراسلات!!

وقتل مشاري ومن معه لم يكن تنفيذاً لحكم صدر عليه بالإعدام.. وإنما كان نتيجة صراع.. وقصة التجاء مشاري إلى المسجد، يحوم حولها الشك، لأن الذين حاصروه لم يدعوا له سبيلاً إلى ذلك، والله أعلم.

أمـراء تركـي
وقضاتــه
عن ابن بشـــر

كـانَ قاضيـه

في الرياض: الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

في الخرج: الشيخ عبدالرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

في حوطة بني تميم: سعد العجيري، فلما توفي جعل مكانه الشيخ علي بن حسين، ثم رجع إلى الرياض وجعل مكانه الشيخ عبدالملك بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

في وادي الدواسر: جمعان بن ناصر.

في المحمل: الشيخ محمد بن مقرن.

في الأحساء: الشيخ عبدالله الوهيبي، إلى أن توفي سنة ١٢٦٣هـ.

في الوشم: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين.

في سدير: الشيخ عبدالله بن سليمان بن عبيد، فلما توفي صار

بعده الشيخ عبدالله أبابطين يأتي إليه نحو شهرين ثم يرجع إلى الوشم، ثم بعد ذلك جعل فيه الشيخ عبدالرحمن بن حمد الثميري.

في منيخ والغاط والزلفي: عثمان بن عبدالجبار بن شبانه، فلما توفي صار مكانه ابنه عبدالعزيز.

في القصيم: قرناس، صاحب الرس.

في القطيف: محمود الفارسي.

وكان يبعث إلى جبل شمر وعمان والقطيف قضاة فيقيمون عندهم سنة أو نحوها ثم يأذن لهم بالرجوع إلى أهلهم.

كـان أميـره

على الأحساء:	عمر بن محمد بن عفيصان.
على القطيف:	عبدالله بن غانم.
على عمان:	سلطان بن صقر، رئيس القواسم.
على وادي الدواسر:	عبدالله بن إبراهيم الحصين، ثم أنه إستعفاه فجعل مكانه: محمد بن عبدالله بن جلاجل.
على سدير:	محمد بن الأمير صاحب ضرماء، ثم عزله وجعل مكانه محمد بن عبدان ـ من أهل الأحساء ـ فلما توفي صار مكانه أحمد بن ناصر الصانع، وصار وكيلاً أيضاً على بيت المال.
على عنيزة:	يحيى بن سليمان بن زامل، ثم عزله وجعل مكانه محمد بن ناهض.
على بريدة:	عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله بن حسن ـ وباقي القصيم تحت يده.
على جبل شمر:	صالح بن عبدالمحسن بن علي.
على الوشم:	حمد بن يحيى بن غيهب، ثم جعله أميراً في سدير وجعل مكانه في الوشم محمد بن عبدالكريم البواردي.
على الخرج:	علي بن محمد بن عفيصان.
على المحمل:	يحيى بن ساري، ثم عزله وجعل مكانه عبدالله بن دخيل.

الملحق رقم «١»

مما كتبه مؤلفون عرب وأجانب
عن جهاد الامام تركي وشخصيته

١ - نماذج من أقوال المؤلفين في صنيع تركي العظيم في نجد وتأسيسه الدولة السعودية الثانية :

ا -عبدالرحمن بن ناصر

ب - عبدالرحمن بن عبداللطيف

جـ -لوتسكي ، الروسي

د - بروكلمان ، الألماني

هـ -عبدالرزاق البيطار

و - خير الدين الزركلي

ز - الأمير شكيب أرسلان

حـ -فؤاد حمزة

ط -الأمير سعود بن هذلول

ى ـأمين الريحاني

ك ـ غرايبه

ل ـ سيد محمد إبراهيم

م ـ رد الدكتور العثيمين على أقوال د. أبو عليه وتأييده لرأينا.

ن ـ سليمان الدخيل

س ـ ابراهيم آل خميس

(١) **يقول عبدالرحمن بن ناصر**، في كتابه المخطوط: **(عنوان السعد والمجد)**، بعد كلامه عن استسلام الإمام عبدالله بن سعود: (ثم بعد ذلك عظم الخطب والمحنة، واستحكمت في نجد الفتنة، إلى أن أطفأها تبارك وتعالى في آخر سنة **١٢٣٨هـ**، على يد المقدام والشهم الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود).

(٢) ويقول **الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف**، في كتابه (دعوة الشيخ ومناصروها):

(.. تمكن «تركي» بعد ذلك من إخضاع نجد وتطهيرها من جميع الأتراك وإرجاعها إلى الحكم السعودي مرة ثانية، وذلك في وقت كانت عساكر الترك منتشرة في نجد تعيث فيها فساداً، ونجد قد توالت عليها النكبات وتفشت فيها الخيانات، ومع ذلك فقد استطاع الإمام تركي ببطولته أن يعيد حكم آل سعود بعد ذهابه، **فهو بحق منشيء دولة آل** سعود الثانية ومنقذ ملكهم ومعيد مجدهم، وبولايته انتقل الحكم من سلالة عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى سلالة أخيه عبدالله بن محمد بن سعود، وبقي فيهم إلى هذا اليوم).

(٣) ويقول المستشرق الروسي «لوتسكي»[١]: (لم يكد إبراهيم يغادر نجد، حتى قامت إنتفاضة وهابية في الدرعية عام ١٨٢٠م برئاسة أحد أقرباء الأمير عبدالله ـ الذي أعدِم ـ إلا أنها قُمعت.

وفي العام التالي ١٨٢١م. انتفض الوهابيون مجدداً، وفي هذه المرة كانت الانتفاضة أكثر نجاحاً، وترأسها تركي بن عبدالله (١٨٢١-١٨٣٤م) ـ وهو ابن عم عبدالله ـ فعزل الحاكم الذي كان قد نصبه المصريون، وبعث الدولة الوهابية مجدداً، ونقل عاصمته من الدرعية المدمرة إلى الرياض المحصنة جيداً، وذلك في سنة ١٨٢٢م تقريبا).

(٤) ويقول المستشرق الألماني الكبير، بروكلمان، في كتابه: «تاريخ الشعوب الإسلامية»: (إن الحكم المصري لم تطل مدته في نجد فقد التف الوهابيون مرة أخرى حول ممثل أسرتهم المالكة الذي هرب من الدرعية: تركي، ابن عم عبدالله، وقد أسس في الرياض، وهي غير بعيدة عن الدرعية، دولة جديدة، جرّت على المصريين متاعب كثيرة)[٢].

---

(١) اسمه الكامل: فلاديمير بوريسوفيتش لوتسكي، وقد طبع كتابه في موسكو، وعنوانه: (تاريخ الأقطار العربية الحديث) ولا يخلو كتابه من التأثر أحياناً بوجهة نظر خاصة، هي نظرة حكومته.

(٢) أنظر ترجمة كتابه الانجليزية Brockelmann: History of the Islamic Peoples, London 1964

(٥) **ويقول الشيخ عبدالرزاق البيطار،** في كتابه: (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) المطبوع سنة **١٣٣٥هـ،** تحت عنوان «تركي بن عبدالله بن سعود، أمير نجد وناصر عقيدتها»:

كأن رجلاً شهماً، شجاعاً، مقداماً، صدّاماً، مشهوراً بمواقع الحروب، وكان له صولة وصيت وسمعة وأيام مشهورة في العرب.

.. وقد انفلت من يد ابراهيم باشا وغاب عنه ولم يقع له بعد التفتيش على خبر، فتركه وتوجه بابن سعود وأولاده وعائلته إلى مصر.

ولم يزل تركي متنكراً، يتنقل من قبيلة إلى قبيلة، ومن قرية إلى قرية، بحالة لا يعرفه بها إلا قليل من الناس، وعساكر المصريين تتطلبه من كل جانب، وتدور عليه لتوقعه في أشدّ المعاطب، إلى سنة **١٢٣٩هـ،** وكان قد فتر أمر التفتيش عليه، فاغتنم الفرصة وشد أزره، وظهر للناس، وعرّفهم بنفسه، وحرّضهم على مساعدته، وتظاهر بطلب إمارة آبائه وأجداده، وما برح يتقوّى شيئاً فشيئاً، فملك نجداً وما حولها، وجلس على مهاد الإمارة النجدية، ولم يبق له معارض ولا منازع، وطرد عساكر المصريين.. وبقي على مهاد هذه الإمارة عشر سنوات).

(٦) **وتكلم الشاعر الكبير والموسوعي الشهير المرحوم خير الدين الزركلي، في الجزء الأول من كتابه (شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز) عن محاولات** ابن معمر ومشاري بن سعود وغيرهما بما لا يخرج عن أقوال ابن بشر، ولخص أعمال تركي، ثم ختم كلامه، بقوله: (استنفر تركي بن عبدالله القبائل ورؤساء المدن، وقاتل من دخل في طاعة الترك، وكان شجاعاً، حنكته التجارب، فظفر، واستردّ الرياض، وأدخل في طاعته أكثر البلاد النجدية، وخوطب بالإمامة).

(٧) **ويقول الأمير شكيب أرسلان، رحمه الله**: لما عاد إبراهيم باشا من نجد، وثب مشاري أخو عبدالله بن سعود على الدرعية واستولى عليها، فأرسل محمد علي قائداً اسمه (حسين بك) فظفر بمشاري وقبض عليه وأرسله إلى مصر، فمات في الطريق.

وهدم المصريون أسوار الدرعية، ووضعوا فيها حامية، وقائداً اسمه «اسماعيل باشا» ثم صرفوه وأرسلوا محله «خالد باشا»، وكان هذا عاتياً جبّاراً، أفحش في ظلم النجديين، فثاروا واعصوصبوا حول تركي بن عبدالله، الذي كان مخبأً في (البصرة)، فبرز من مخبئه، وتولى القيادة، وذبح جميع العساكر المصرية التي كانت في الدرعية وجوارها، ففرّ خالد باشا إلى القصيم، وأقام تركي بن عبدالله بن سعود بالرياض وجعلها كرسي إمارته، وبنى بها قصراً وجامعاً كبيراً وحكّم أسوارها، وكان الخبر وصل إلى مصر عن ثورة نجد الجديدة فسيّرت مصر جيشاً بقيادة «حسين باشا»، فانسحب الوهابيون إلى الوراء ودخلوا صحارى اليمامة، فتعقبهم حسين باشا إلى تلك الفيافي فخانه الأدِلّاء، فهلك أكثر عسكره من العطش، ورجع هو بشرذمة من حاشيته، فلما رأى محمد علي ما حلّ بالعسكر سئِمَ قتالَ الوهابيين وترك تركي وشأنه، فبقي هذا في الرياض أميراً. (١)

---

(١) أنظر كتاب «حاضر العالم الإسلامي» الذي ألفه لوثروب، ونقله إلى العربية عجاج نويهض، وأضاف إليه الأمير شكيب أرسلان إضافات جليلة، جعلته أحق من المؤلف بأن ينسب الكتاب إليه. . وقد كتب فيه الأمير فصلاً بعنوان: «تاريخ نجد الحديث»، ومنه اقتبسنا هذه الفقرة عن الإمام تركي. ولا تخلو كتابات الأمير عن تاريخ نجد من هنات، ومنها قوله إن تركي كان مختبئاً في البصرة.

فؤاد حمزة

ويقول فؤاد حمزة، في كتابه: «قلب جزيرة العرب»: (بولاية تركي ينتقل الحكم في آل سعود من سلالة عبدالعزيز بن محمد إلى سلالة أخيه (عبدالله بن محمد)، وتبقى في هؤلاء إلى يومنا الحاضر.

في أواخر سنة ١٢٣٧هـ (١٨٢١م) أرسل الترك أحد قوادهم المدعو حسين أبـو ظاهـر، المشهـور بقسـوتـه وغلظتـه، لأجل تمكين السيطرة العثمانية بعد انسحاب إبراهيم باشا المصري، وكانت الجيوش تخيم في المراكز الرئيسية في نجد، في الرس وشقرا وبريدة وعنيزة وثرمدا، والهفوف. . ولكنهم انسحبوا من الأخيرة نظراً لصعوبة المواصلات.

فلما تولى الإمام تركي أخذ على عاتقه دفع الترك والمصريين بمعونة ولده فيصل فتوفق الإثنان خلال عشرين سنة من الحرب والنزال إلى إجلائهم عن داخلية البلاد العربية سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م)، وأول عمل بدأ به تركي توحيد الناس وتأليف القلوب فأعاد سلطته على كل العارض، وكانت جيوش الترك تعـاونها قوات مطير وشمـر بزعامة فيصل الدويش تناضل قوات تركي وولده فيصل دون أن تنال منها.

وتمكن الإمام تركي من فتح الحسا والقطيف بواسطة ولده فيصل، وعقد مع (صالح بن علي) أمير حائل وزعيم شمر صلحاً اكتسب به نفوذاً تاماً على أكثر الجبل والقصيم.

ولكنـه بعـد حكم دام سنـين اغتـاله أحد أبناء عمه المدعو مشاري بن عبدالرحمن بن سعود طمعاً في أن يتولى مكانه. .) الخ.

الأمير سعود بن هذلول

ويقول **الأمير سعود بن هذلول**، في كتابه: (تاريخ ملوك آل سعود):

(وعندما تحقق تركي بن عبدالله من مقتل ابن عمه مشاري بن سعود هجم على محمد بن مشاري بن معمر في الدرعية وألقى القبض عليه، ثم هجم أيضاً على ابنه مشاري، الذي كان قد عينه أبوه محمد أميراً على الرياض، ثم قتل الأب والابن في الرياض، وجعل مدينة الرياض مقر إمارته وأقام فيها.

وعندما بلغ الخبر القائد (عبوش) الذي لا يزال مرابطاً في عنيزة ومعه عساكر من جنود الترك وفيصل الدويش أن الأمير تركياً قتل ابن معمر وابنه واستولى على الدرعية والرياض، عاد زاحفاً بجنوده ومعه فيصل الدويش فحاصر تركي في قصر الرياض وشدّد عليه الحصار، ثم أعطاهم القائد الأمان على أرواحهم إذا استسلموا، فَفَرَّ تركي، واستسلم الباقون من أعوانه، وعددهم سبعون رجلاً، وفيهم اثنان من آل سعود هما **عمر بن سعود وابنه عبدالله** فأرسل الاثنين إلى مصر وقتل الباقين صبراً رحمهم الله.

وبعد مقتلهم أقام (عبوش) حامية في الرياض من المغربيين عددهم مائة وخمسون جندياً يرأسهم رجل يدعى أبا علي المغربي)

ويلاحظ أن الأمير يخالف رواية ابن بشر لهذه الأحداث في موضعين:

١ - قوله: إن المستسلمين، المحصورين في قلعة الرياض، اثنين من آل سعود هما عمر بن سعود وابنه عبدالله، وفي ابن بشر أن عدد أبنائه الذين كانوا معه ثلاثة.

٢ ـ وقوله : إن عدد حامية الرياض مع «المغربي» كانوا مائة وخمسين جنديا وفي ابن بشر (٦٠٠).

أمين الريحاني

ويقول **أمين الريحاني**، في كتابه: (نجد الحديث وملحقاته):

(.. فلما عاد مشاري يطالب بالإمارة، قاومه ابن معمر وتمكن من القبض عليه فسلمه إلى الترك فقتلوه. وكان تركي قد عاد من الخرج فنازع ابن معمر الإمارة وحمل عليه ثم قتله انتقاما لمشاري. وفي ذلك اليوم كان قد جاءت وفود أهل سدير والمحمل يبايعون مشاري، **فبايعوا في الصباح، ثم بايعوا تركي بعد الظهر**.

وفي هذه المبايعة ينتقل الحكم من سلالة عبدالعزيز بن محمد إلى سلالة عبدالله أخي عبدالعزيز ويستمر فيها إلى اليوم.

ولولا تركي لماأنقذ في تلك الآونة بيت آل سعود.

بيد أنه لم يستطع مدة إمارته، التي **استمرت عشر سنوات** أن يعيد إلى هذا البيت سالف مجده، وإلى ذلك الحكم تلك الصولة التي كانت لابن عمه سعود الكبير، ولا أظن أن سعوداً نفسه كان يستطيع ذلك بعد أن توالت على نجد النكبات.

ومع ذلك فقد استطاع الإمام تركي أن يستعين بما تبقى من شتات الفضيلة في قوم مغلوب، ليحفظ السيادة السعودية في زمن الزعازع والفتن، بل في زمن كانت عساكر الترك محتلةً قسماً كبيراً من البلاد.. على أنه مات شهيداً.

فقـد قتله ابن عمـه مشاري بن عبدالرحمن.. طمعاً بالإمارة، ولكنه لم يتمتع بها أكثر من أربعين يوماً).

استقرار الأمور في نجد:

بدأ الإمام تركي بعد ذلك يعيد الأمور إلى نصابها وقد انضم إليه العلماء وقاموا يشيدون صرح دولة قوية متينة فانتشر الأمن وسادت السكينة وعم الرخاء.

استشهاد الإمام تركي:

ما كادت تستقر الأمور في نجد وما كادت البلاد تستعيد نشاطها حتى فاجأنا التاريخ بحادث جلل ذلك أن (مشاري بن عبدالرحمن) وهو ابن أخت الإمام تركي سولت له نفسه اغتيال خاله طمعاً في الحكم، فانتهز فرصة خروجه من صلاة الجمعة واتفق مع أحد العبيد لاغتياله وتم ذلك سنة (١٢٤٩هـ/١٨٣٣م) بعد أن استمر حكمه ١٢ سنة تقريباً، وكانت البلاد في سبيل الوصول إلى المجد والرفعة وفي سبيل طريقها إلى الاستقرار والثبات، وأعلن نفسه أميراً على نجد.

وان أعمال الإمام تركي لتشهد بأنه من خيرة الحكام الذين أقاموا العدل وأحيوا مجد الدولة السعودية، فهو الذي استرد مقاطعة الأحساء وأخضع البحرين ومسقط وأعاد النفوذ السعودي إلى الساحل المهادن والمنطقة الواقعة وراءه واحتل البريمي).

الطبعة الجديدة لـ Encyclopedie de L'islam

(نهضت الدولة السعودية بعد الهزائم الساحقة التي أنزلتها بها جيوش محمد علي واستعادت قوتها في عهد تركي بن عبدالله (الذي اتخذ الرياض عاصمة له) وفي عهد ابنه فيصل، وإن لم تُستعد الحجاز).

عزايبه:

ويقول عبدالكريم غرايبه، في كتابه: (تاريخ نجد الحديث):

(قدمت نجد عام ١٢٣٦هـ/١٨٢١م حملة عثمانية جديدة بقيادة حسين بك فانضم إليه أبوش أغا وجعل ثرمدا مركزاً لحركاته، ووفد عليه الزعماء الذين سلبهم الوهابي إمارتهم، واحتل العثمانيون الرياض واعتقلوا وأعدموا من وجدوه فيها من السعوديين وفرّ تركي بنفسه، فأمعن حسين وجنده في إرهاب الناس وقتلهم ونهبهم وقطع نخيلهم.

وعاود تركي في رمضان ١٢٣٨هـ/ أيار ١٨٢٣م محاولاته لاستعادة الملك، فقد تمركز في عرقة وأيده شيوخ جلاجل وسدير والمحمل، فقصد الرياض والمنفوحة وتفرقت عنه جموعه وتعقبته القوات المصرية وحاصرته في عرقة زمناً، وتمكن تركي في العام التالي من احتلال ضرما وقتل شيخها السياري، واغتنم فرصة نشوب فتنة أهلية في جلاجل فاحتلها كما احتل حريملا وسدير، وشدد تركي القتال ضد القوات المصرية في الرياض وأجبرها على تسليم المدينة والجلاء عام ١٢٤٠هـ/ تشرين أول ١٨٢٤م وخضعت له القصيم وشقراء وعنيزة والوشم، وهزم في ٢٧ رمضان ٢٢/١٢٤٤ آذار ١٨٢٩م حملة قادها محمد بن عريعر وأخوه ماجد «زعيما بني خالد في الاحساء» فخضعت له الاحساء وأطاعته بعض عمان، وهاداه جابر بن عبدالله بن صباح شيخ الكويت وأطاعه شيخ حائل وشمر عيسى بن علي.

وهكذا كاد تركي أن يستعيد أكثر الامبراطورية التي أسسها جده سعود الكبير. (١)

---

(١) سعود الكبير ليس جدّ. . تركي، وإنما هو ابن عمه - الإمام عبدالعزيز، وقد وقع كثيرون في هذا الخطأ.

الأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود

نشر سليمان الدخيل في مجلة (لغة العرب) البغدادية سنة ١٩١٣م الكلمة التالية عن الإمام تركي :

أخضع نجداً بسيفه البتار وفكره الصائب وسار سيرة محمودة في الرعية وكان يمارس الطب عارفاً بالأدوية ، عالج كثيراً من المرضى فشفوا على يده ولم يزل مقيماً في دار أمارته (الرياض) حتى قتله فيها ابن عمه مشاري بن عبدالرحمن سنة ١٢٤٩هـ «١٨٣٣م» وتربع على عرش أمارته قاتله المذكور:

الأمير مشاري بن عبدالرحمن بن مشاري بن حسن بن مشاري بن سعود.

إلا أنه لم يلبث في الأمارة إلا مدة أربعين يوماً ثم أحاطت به جنود أهل نجد ومعهم فيصل بن تركي فأدركوه في قصر الأمارة في الرياض وقتلوه. ثم هجرت «الدرعية» واتخذت «الرياض» مقراً للأمارة فأصبحت هي العاصمة منذ ذاك الحين إلى يومنا هذا وبعد أن قتل الأمير مشاري تولى الأمارة بعده :

الأمير فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود.

فسار سيرة طيبة في المسلمين إلا أن الأقدار لم تساعده على أن يبقى راخي البال لأن الإضطرابات كثرت في نجد وخرج عليه ابن عمه خالد بن سعود في عسكر جاء به من مصر فقبضوا على فيصل في إحدى قلاع الخرج وذلك بعد حروب ووقائع كثيرة لم يفشل فيها فيصل بل ثبت فيها ثبات الأسد القسور حتى غلبه القضاء والقدر بأن خانه جنده فأخذ أسيراً إلى مصر سنة ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م).

من كتاب: أسود آل سعود

تأليف ـ إبراهيم عبدالرحمن آل خميس

(لقد كان عبدالعزيز، وكان محمد، يتصفان فيما يتصفان به، وكما ذكرنا من قبل بالإقدام والتضحية، وإنها لنفس الصفات التي كانت يتصف بها جدهم الثاني تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود الأول، الذي رويت عنه أعمال تناقلها الناس من جيل إلى جيل وكأنها أساطير لفرط مابها من ألوان الشجاعة والبطولة التي تفوق كل تقدير.

وإنه لمناسب أن نقدم في هذا المجال نبذة عن هذا الرجل الكبير، لنؤكد أن الخصال الكريمة تنتقل من الجد إلى الحفيد، ولاسيما أن تركي رحمه الله له الفضل الأول في الحفاظ على كيان الأسرة السعودية، وإعادة الحكم لها بفضل الله ثم بجهاده وحده، بنفسه وسيفه وإقدامه وتصميمه.

كان ذلك عندما نجحت المحاولات العديدة والحملات المتتالية العنيفة والهجمات الضارية التي قامت بها الدولة العثمانية للقضاء على الحكم السعودي مستخدمة قوات مختلفة من بينها القوات المصرية خلال حكم إبراهيم باشا، نجحت في الاستيلاء على الرياض والسيطرة على أجزاء من البلاد بحيث جعلت الحكم السعودي في مهب الريح، واعتقد الكثيرون أن المقاومة للمحتلين ستتلاشى.. وأن الأمر على وشك الانتهاء، عندها آلى تركي على نفسه أن يصمد في وجه الغزاة المحتلين وأن يحارب ويقاتل ولو منفرداً حاملاً سيفه المسمى (بالأجرب) الذي أشار إليه في قصيدته المشهورة ومطلعها:

سر يا قلم واكـتـب على ما نورًا اكتب سلامي لابن عمي مشـاري
إذا كل خويّ من خويّه تبرّا حملت أنـا الأجـرب خويا مبـاري

ويبدأ تركي مقاومة لجنود الاحتلال وللحكام وأمراء النواحي من قبلهم، ولكل من تعاون معهم وأيدهم. كان يهب للنضال ليلاً، يفتك بسيفه بكل من يستحق القتل من هؤلاء. ويختفي أثناء النهار وكأن الأرض قد ابتلعته، وكان يمارس نشاطه هذا في وادي حنيفة الذي يمتد على مسافة ٢٥٠ كيلومتر تقريباً، ابتـداءً من العيينـة . . حتى الخـرج، ويعتبر هذا الوادي من أكبر المناطق الزراعية وأكثرها ازدحاماً بالسكان حتى اليوم.

ونتوقف هنا قليلاً لنقول كلمة نعقب بها على أعمال تركي البطولية، حول مفهـوم البـطولة. ففي رأيي - وكل امرىء له رأيه، وله تفكيره الخاص، وله اجتهاده يخطىء فيه أو يصيب، - أقول، في رأيي أن أبطال الرجال الذين تتردد أسـماؤهم في صفحـات التـاريخ، يختلفون في مراتب البطولة كما يختلفون في الوسائل التي كرسوا بها هذه البطولة.

أبـطال الرجال كثيرون، بل وكثيرون جداً. ولقد توالت علينا أنباؤهم، نطالعها في صفحات التاريخ، كما تطالعنا آثار خالدة خلفوها وبقيت تذكرنا بما قاموا به من جلائل الأعمال. . ولقد كان لكل بطل منهم أعماله التي قدرها أهل بلاده في عصره ثم قدرتها واعترفت بها الأجيال المتتالية عبر التاريخ. فإذا كان لنا أن نقارن بين هؤلاء الأبطال المرموقين في كل العصور، لوجدنا كفة تركي وبطولته ترجح كل كفة. وإذا كان لنا أن نعيد التقييم والتقدير لنال تركي ما يفوق الجميع من التقدير والتمجيد.

هناك أبطال قادوا شعوبهم أو جيوشهم نحو النصر. إنهم أبطال، ولكن بطولتهم اعتمدت على قوة الشعب بأسره، أو على الجيش الذي تجلت مهارتهم

وعبقريتهم في قيادته.

ولكن بطولة تركي كانت بطولة من نوع آخر فريد. لم يعتمد على شعب فالشعب كان مكبلاً بقيود الحاكم المسيطر. ولم يعتمد على جيش فجيش الحاكم كان ضده يطارده في كل مكان وفي كل وقت.

لقد بدأ تركي نضاله لاسترداد السلطة من غاصبيها ولإعادة الحكم إلى آل سعود، **بدأ منفرداً لا يعتمد إلا على الله ثم على سيفه «الأجرب»**، وعلى شجاعته الأسطورية.. بدأ وحده واستمر يكافح ويناضل بقوة حتى انتشرت أنباء نضاله فاسترد الأنصار المغلوبون على أمرهم ثقتهم بأنفسهم وبإمكانية النصر فتجمعوا حوله.. ومضت قافلة الجهاد بقيادته حتى النصر، وحتى ارتفعت راية آل سعود ترفرف من جديد في سماء البلاد..

هذه هي البطولة الحقة الفريدة في نوعها.. البداية من لا شيء والاستمرار حتى النصر المبين مهما كانت التضحيات والمصاعب. وهذه هي البسالة الفائقة والشجاعة النادرة. أن يحمل السلاح بمفرده ليقاوم العدو المنتصر ويستمر حتى يهزمه.

كلمة أخرى، أو رأي آخر حول مفهوم البطولة. فإني أميِّز بين بطولات تقوم على نجاح في عمل رائع أو حكم سليم أو سياسة ناجحة.. ربما كانت كلها قائمة على استعداد خاص عند البطل، أو موهبة حباه الله بها، بالإضافة إلى ظروف معينة ملائمة، ساعدت على النجاح وبالتالي على نيل لقب البطولة.. أميز بين ذلك كله وبين البطولات التي تعمَّد بحمل السلاح وخوض المعارك الضارية، وأعتبر أن البطولة الحقيقية لا تظهر إلا في ميدان المعركة.. وأن التاريخ المجيد لبطل ما لا يبدأ إلا على أرض المعركة، فالشجاعة والإقدام والتضحية تقرر البطولة.

ثم نعود إلى حديث تركي الفدائي البطل .. وسيفه الأجرب ..

كانت إحدى وقائعه تلك المغامرة المذهلة، عندما دخل قرية عرقة ليلاً (وتقع بين الرياض والدرعية)، دخلها منفرداً لا يحمل إلا سيفه الأجرب، وتوجه إلى الجامع، يدخله قبل المصلين القادمين لصلاة الفجر ويختبىء في أحد أركانه.

وبعد أن أدّى المصلون صلاة الفجر إذ بأمير عرقة وهو المعيَّن من قبل الغزاة يخطب في المصلين فيحذرهم من (ثعلب مجاري السيل) ويعني بذلك تركي. وينبههم إلى أنه قد بلغه أنه في هذه النواحي ويؤكد عليهم بوجوب الاحتياط والانتباه، وبأن يسارع أي منهم يعلم شيئاً عنه أو يراه بإبلاغه فوراً.

ولم يكد الأمير ينتهي من تحذيره للأهالي، حتى قفز تركي إلى أمامه شاهراً سيفه قائلاً بصوت جهوري قاطع: «اسمعوا يا أهل عرقة! أنا هنا يا خائفاً مني». ثم هجم على الأمير الذي أذهلته المفاجأة فلم يستطع أن يحرك ساكناً، ليقتله أمام الجميع الغارقين في ذهولهم وقد أفقدهم الرعب القدرة على الحركة وشلَّ الذعر حتى ألسنتهم. . ثم اختفى تركي كما ظهر. . وأفاق الناس بعد ذهابه ليحملوا أميرهم ليدفنوه. . !

وكان لهذه الواقعة أثر كبير في المنطقة فلم يجرؤ واحد بعدها أن يقبل بتولي إمارة عرقة، لقد بقيت هذه القرية دون أمير حتى عاد الحكم إلى آل سعود.

وكانت نتيجة أعمال تركي الفدائية البطولية أن بدأ المخلصون من أنصار آل سعود يتجمعون ويلتفون حوله ويناضلون تحت قيادته، وتألفت المجموعات الفدائية وتكاثر الأنصار، وسرت روح المقاومة إلى جميع المناطق واستمرت إلى أن تم تحرير البلاد وعاد الحق إلى أصحابه. .

السيف الأجرب

هذا السيف (الأجرب) الذي كان سلاح تركي في نضاله البطولي الذي أعاد الأمور إلى نصابها ومكن أصحاب الحق الشرعيين من استرداد حقهم بقي رمزاً لقوة آل سعود إلى اليوم[1]، يذكره الجميع ويتناقلون الأحاديث عنه كما يذكرون السيف (ذو الفقار) الذي عرفوا دوره في الدفاع عن الإسلام وتوطيد دعائمه بالجهاد ضد المشركين والكفار في صدر الإسلام. وظل آل سعود يتناقلون (الأجرب) من يد إلى يد إلى أن وصل إلى يد محمد بن سعود بن فيصل بن تركي إلى أن أهداه إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين آنذاك.

---

(1) السيف الأجرب له تاريخ، فقد كان ضمن عشرة سيوف من سيوف الصحابة رضي الله عنهم، استولى على هذه السيوف سعود بن عبدالعزيز بن محمد حامي الدعوة السلفية رحمه الله، عندما استولى على جنوب العراق، وأسمى هذه السيوف بسيوف الحجرة (أي حجرة علي) رضي الله عنه. وكانت أسماء السيوف كالآتي: الأجرب (لقب بالأجرب لأنه كان به نوع من الصدأ) صويلح، القصّاب، أرحيّان، أرقبان، مرجانه (قرده)، بشيبان، شعيرن، سيف السيف، البسام. وانتقل الأجرب من يد إلى يد إلى أن وصل إلى يد محمد بن سعود بن فيصل بن تركي، وعندما زار الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين آنذاك زيارة ودية كان الأجرب معه وأعجب آل خليفة به. ولما رأى محمد بن سعود هذا الإعجاب ما كان منه إلا أن قال لعيسى: «تفضل يا أخي عيسى هذا السيف هدية مني لك»، ولما كان الشيخ عيسى يعرف حق المعرفة قيمة هذا السيف عند آل سعود فقد رفض قبوله، فأقسم محمد أن لا يحمله بعد قائلاً: «نحن آل سعود وأنتم آل خليفة أسرة واحدة».. وقبل عيسى السيف كأمانة.

وفي عام ١٣٥٨هـ جدد الملك عبدالعزيز ما قاله ابن عمه محمد لعيسى عندما زاره الشيخ حمد آل خليفة في المنطقة الشرقية عند افتتاح آبار البترول، وإذ بحمد يحمل السيف الأجرب معه، وقال عبدالعزيز: «هذا السيف شائب (مُسِنّ) لنا ولكم ونحن وأنتم أسرة واحدة وسيبقى عندكم لنعتز به جميعاً». وبقي السيف الأجرب عند آل خليفة إلى اليوم مكرماً. ولم تزل السيوف الباقية بأيدي الأمراء السعوديين يتوارثونها عن أسلافهم.

الملحق رقم «٢»

فترة الفوضى والضياع
خلال مقام إبراهيم باشا في نجد
وبعد رحيله عنها

فترة الإحتلال التركي كما يرويها فيلبي

يقول «فيلبي» في كتابه «تاريخ نجد»:

لقد أدى إنهيار القيادة الوهابية، تلك القيادة المستندة إلى المبادىء الدينية والأخلاقية التي فازت بتقدير الشعب واحترامه - إلى الإهمال المثير لتلك التعاليم السامية التي أنقذت العرب من بربرية كانوا يرسفون في أغلالها قبل ظهور المذهب الوهابي. فقد بدأت تظهر في الأفق تلك المنافسات والمنازعات القبلية القديمة بتشجيع من لدن أسياد البلاد الجدد. ذلك أن هؤلاء ما كانوا ليهتموا مثقال ذرة بمصلحة الشعب وخيره، ولا بإعادة بناء اقتصاد البلاد الذي تداعى وانهار من أثر الحروب.

على العكس من ذلك لقد كان هدف إبراهيم الأول هو إشاعة الرعب في قلوب الناس وفرض الضرائب الباهظة المجحفة لتمويل قواته التي وزعها على الحصون المختلفة، في طول البلاد وعرضها، آملاً بذلك أن يقضي على كل مقاومة لطغيانه، ولم يعد صوت العقل بل صوت الدين مسموعاً في البلاد. . كان السفر بين القرية والأخرى محفوفاً بالمخاطر، وحتى عليةُ القوم لم يكونوا يجرؤون على الانتقال من مكان إلى آخر في المدينة دون أن يواكبهم حرس. وأصبح الدس والنميمة من الفروض اليومية. أما المصريون الذين قضوا على ضحاياهم الضعفاء واحداً تلو الآخر، فلم يجدوا أدنى صعوبة في الاستيلاء على أملاكهم ومحصولاتهم لمنفعة الجيش، بالإضافة إلى تدميرهم كافة الأسوار والأبنية التي يمكن استخدامها في مقاومة مظالمهم وطغيانهم.

وبالإضافة إلى هذه المطالب الباهظة والضرائب الجائرة التي فُرضت على الموارد المحلية المحدودة، وتدمير مزارع النخيل والمحاصيل الزراعية، فقد ذر قرن المجاعة واجتاحت البلاد. وقد نجد صعوبة في تصديق القصة التي تروي أن المصريين قد اضطروا في بعض الأحايين إلى أكل الخشب، لكنه من المحتمل أن ضحاياهم التعساء قد مروا بهذه التجربة فعلاً. وليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن السلطات ذات الشأن قامت بأي عمل من شأنه تحسين حالة السكان أو زيادة إنتاج المناطق المحتلة. هذا دون الحاجة إلى ذكر الأمن خلال السنوات الست التي عقبت سقوط الدرعية حتى مغادرة الحاميات المصرية للبلاد.

ويظهر أن هذا الإهمال المقصود كان جزءاً من سياسة محمد علي في مصر. وكان حاكم مصر مستعداً لأن يدع الصحراء العربية تغرق في الفوضى، فلا يهمه من أمرها إلا أن تمتنع عن الاعتداءات الخطيرة على أقاليم ساحل البحر الأحمر، بالنظر لأهميتها الحيوية للامبراطورية العثمانية. ولم يكن هو ولا غيره يتصور أن الدولة الوهابية قد تبرز مرة أخرى في أقل من عشر سنوات، فتنتفض من بين أنقاض الفوضى التي غرقت فيها الجزيرة العربية أيام حكم ابنه إبراهيم. (١)

---

(١) أنظر: «تاريخ نجد» تأليف فيلبي، ترجمة الدويدري.

رواية الدليل عن معركة الدرعية واستسلام الإمام عبد الله بن سعود وأفاعيل إبراهيم باشا في نجد

لدينا وصف للمعركة، وللجرائم التي ارتكبها مقاتلة إبراهيم باشا، بريشة مؤرخ مطلع من الإنجليز، وهو مستر لوريمر، صاحب (دليل الخليج الفارسي) الذي اعتبر مرجعاً رسمياً، وترجمه بأمر حكومة قطر رجال لا يتقنون تماماً اللغة العربية ولا يعرفون أسماء البلدان في نجد وفي جزيرة العرب، وعلى مابه. . نقل ما جاء فيه عن معارك الدرعية وفترة الفوضى والمظالم التي أعقبتها، ليعرف القارىء وجهة النظر البريطانية في أحداث نجد الخطيرة، وهذا ما جاء فيه، بنصه، مع تصرف يسير جداً، لايخل بالمعنى:

في أغسطس ١٨١٦م خرج إبراهيم باشا، ابن محمد علي الأكبر (أو ابنه بالتبني) من القاهرة، ومعه قوات قوامها «٢٠٠٠» جندي من المشاة و(١٥٠٠) فارس من بدو الصحراء الليبية، وقيل إن الأوامر صدرت إليه بالتقدم من المدينة إلى الدرعية عن طريق القصيم.

وبعد أن يتحدث (الدليل) عن المعارك التي خاضها إبراهيم باشا ضد بلدان وعشائر مختلفة، واحتلاله لبريدة وأكثر بلدان القصيم وخسارته كثيراً من الأسلحة والمقاتلة، وقتله للنجديين الذين وقعوا في الأسر، يقول لنا إن إبراهيم باشا أقام معسكراً له في (العيينة) وكان معه خمسة آلاف مقاتل ومدفعية تتكون من ١٢ قطعة.

ويردف المؤلف قائلاً:

في ٦ أبريل اتخذ إبراهيم باشا مواقعه في مواجهة عاصمة الوهابيين ـ الدرعية ـ التي اندفع أهلها للدفاع عنها.

وفي ١٤ أبريل بدأت القوات المصرية إطلاق النيران على أحد استحكامات الوهابيين الأمامية، فدمروا مدفعين وأسروا بعض الوهابيين، وقد أُعدِمَ هؤلاء مباشرة، وبعدها بقليل سقط استحكام آخر، بعد أن جاهد الوهابيون طويلاً للاحتفاظ به، وبهذا أرغم الوهابيون على التخلي عن خطة الدفاع - إلى الهجوم - وكان يقودهم (فيصل)، شقيق الأمير.

.. وقد جاءت تعزيزات وإمدادات من مصر من ناحية، ومن العراق التركي من ناحية أخرى، فشجعت قائد القوات المصرية على «التفكير» في القيام بهجوم على (غصيبة)، وقد استطاعت مدفعيته إحداث ثغرات في سورها، ولكن قواته رفضت التقدم إليها والاستيلاء عليها.. وقد أدّى هذا الفشل إلى الحط من قيمة القوات المحاصرة وبدأ الوهابيون بعده سلسلة من الهجمات اليومية على معسكر المصريين موقعين بهم خسارات كبيرة. وفي نهاية شهر مايو بلغ موقف القوات المصرية غاية الحرج والخطورة. وحافظ الوهابيون على استمرارهم بالأعمال التي يقومون بها.. وكانت نشاطاتهم بهذا الصدد تتزايد يوماً بعد يوم، هذا إلى جانب أنهم لم يكونوا مستطيعين إحكام الحصار حول الدرعية، فقد كانت الإمدادات تصل إليها عن طريق الحسا دون أن تستطيع القوات المصرية منعها. وفي يوم ٢١ يونيو حملت الرياح النيران إلى مستودع ذخيرة القوات المصرية، وحدث انفجار مروع التهم الذخيرة كلها.. وقد حدثت هذه الحادثة عقب اشتباك صغير قتل فيه ١٦٠ رجلاً من القوات المصرية معظمهم من الضباط ذوي الرتب الكبيرة. وهكذا أصبح الجيش المحاصر في مواجهة عدو رهيب، وخطوط تموينية طويلة وبعيدة، ولا ذخيرة إلا ما تبقى في بنادق الجنود وفي بطاريات المدافع، وفي اليوم التالي، حين ترامى إلى الوهابيين نبأ الكارثة التي حلت بالقوات المصرية - قاموا بهجوم على القوات المصرية

بجيش قوامه ١٥٠٠ رجل، لكن إبراهيم باشا ـ الذي كانت شجاعته مضرب الأمثال! ـ استطاع أن يُعدي قواته ويبث فيها هذه الروح، فاستطاعوا أن يصدوا الهجوم الوهابي مسببين للعرب خسارة فادحة بنيران مدفعيتهم، وأفقدت هذه النتيجة مبادأة الوهابيين وجعلتهم يقتصرون على الدفاع مرة أخرى.

وبعد انقضاء فترة تزيد على الثلاثة أسابيع بدأت الإمدادات تصل من عنيزة وغيرها من المواقع المتقدمة إلى القوات المصرية التي استعادت سيطرتها على الموقف. وفي ١٨ أغسطس ـ وأثناء غياب إبراهيم باشا في حملة تأديبية على بعض القرى المجاورة ـ قام الوهابيون بهجمة كبيرة على معسكر المصريين ولم يرجعوا إلا بعد جهد شديد من جانب القوات المصرية. وأخيراً حين عرف المصريون بأن محمد علي قد أرسل خليل باشا ومعه قوات كبيرة لمساعدتهم بدأوا يواصلون الهجوم. ووقع فيصل ـ شقيق أمير الوهابيين الذي قام بدور كبير في الدفاع ـ قتيلاً بطلقة طائشة. وتقدم المصريون بفرقة صغيرة مزودة بثلاثة مدافع وبعض الذخيرة إلى جوار منطقة غصيبة. واستطاعت أن تحاصر قلعة يقودها (سعد) أحد أبناء الأمير، وبعد يومين سقطت القلعة لنفادَ الإمدادات والذخيرة. وأسر سعد لكنه عومل معاملة حسنة، كذلك ضربت قلعتا غصيبة والسهل بالمدافع وسقطتا في أيدي القوات المصرية، وأسر الحاكم السابق في ضرمى ـ الذي سبق أن وعد بعدم رفع السلاح أمام القوات المصرية محارباً ـ وأعدم، وألقى المدافعون عن قلعة الطرفية أسلحتهم. وبقيت قلعة الطريف فقط ـ وهي التي يتحصن بها الأمير عبدالله نفسه ـ مستمرة في المقاومة.

وأخيراً في يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨١٨م استجاب الأمير لنصيحة مستشاريه جميعاً فرفع الراية البيضاء وبدأت المفاوضات، وتم اللقاء في نفس اليوم بين الأمير عبدالله وإبراهيم باشا، ولم يستطع الرجل العربي أن يخفي حقيقة مشاعره

وإن استطاع تغطيتها بالهدوء والوقار, كذلك قام الرجل التركي من ناحيته بمعاملته معاملة جديرة بالاحترام كعدو لمهزوم بل إنه أمر بإطلاق سراح ابنه سعد. وعرض إبراهيم الصلح، على أن يستسلم الأمير ويرحل إلى القاهرة وأمهله أربعة وعشرين ساعة للتفكير في الأمر ـ وكان ثمة خوف من أن ينتحر الأمير خلال هذه المهلة أو يفر إلى الصحراء، ولكن أخيراً وافق الأمير بعد أن ضمن له إبراهيم باشا مطالبه وهي تأمين حياته والمحافظة على مدينة الدرعية وعدم إيقاع العقاب بمن كان يحارب ضد القوات المصرية، وبدأ الأمير يتخذ الخطوات اللازمة لرحلته.

ونمر بسرعة على ما بقي من قصة عبدالله بن سعود. فقد صحبه الرجال المقربون إليه وعبيده المخلصون وساروا ـ في حراسة ٤٠٠ جندي مصري ـ على طول الساحل. ووصل إلى القاهرة في نوفمبر والتقى بمحمد علي الذي طمأنه، وأعاد إليه عبدالله بعض الكنوز التي كانت في قبر النبي بالمدينة. غير أن معاملته التي لقيها في القسطنطينية كانت شيئاً يناقض تماماً ما لقيه قبلها. فبعد أن عرض في شوارع العاصمة ضرب عنقه في ميدان القديسة صوفيا مع عدد من المقربين إليه.

أفاعيل إبراهيم باشا وأعوانه

وجاء في فصل من (الدليل) عنوانه: فترة خلو الحكم الوهابي من وجود أمير، ما يأتي:

تحطمت تماماً ـ في ذاك الوقت ـ الدولة الوهابية المنظمة في نجد، وبدأت القوات المصرية تحكم البلاد حكماً مباشراً. وقد تم أسر أربعة من أشقاء الأمير وأرسلوا إلى القاهرة حيث سجنوا فيها، وسبب فرار أخ خامس ـ لعله مشاري ـ قلقاً عظيماً للقوات الغازية.

وقد نهبت مدينة الدرعية في البداية، واحتفظ إبراهيم باشا لنفسه ببيوت آل سعود التي لم يكن بقي فيها شيء يذكر، وراح الجنود يضعون أيديهم على ما يستطيعون العثور عليه، وبدأ تعذيب هؤلاء الذين كان يشك في أنهم يخفون ممتلكات أو أشياء ذات قيمة.

أما التدمير الكامل لمدينة الدرعية فلم يبدأ إلا بعد صدور الأوامر به من القسطنطينية، وبعد أن خدع بعض أهل المدينة فدفعوا مبالغ ضخمة لاستثنائهم وبيوتهم من هذه العقوبة، بعدها بدأت عملية هدم وتدمير شاملة للمدينة حتى لم يبق فيها كلها بيت أو حائط قائم، وقطعت أشجار النخيل حتى آخر شجرة، لكن القائد المصري لم يأمر بهدم المدينة إلا بعد أن أمر بنقل أهلها إلى الحسا وبعد انتقال بعضهم للإقامة في بساتين النخيل القريبة في منفوحة.

وبعد ذلك قامت القوات المنتصرة بهدم كل التحصينات والقلاع في كل المدن والقرى بنجد وتسويتها بالأرض، والدقة التي نفذت بها هذه العملية في كل من منفوحة والرياض وثرمدا وشقرة وعنيزة أشار إليها الرحالة الكابتن سادلر الذي زار هذه المناطق سنة ١٨١٩م، وقد أبقيت المنازل وأشجار النخيل كما هي

إلا في أماكن خاصة كالدرعية وعنيزة.

وجعلت القوات المصرية لها موقعاً في سليمية بالخرج ومنها تقدم إبراهيم باشا إلى إقليم الحسا، الذي كان يبدو أن الفاتحين سيجعلون عاصمتهم فيه. وبعد وصول إبراهيم باشا إلى الحسا لحق به القرصان المشهور في قطر رحمة بن جابر وعاونه في الاستيلاء على مدينة القطيف بعد ضربها بالمدافع وفي مقابل ذلك سمح له إبراهيم بالإقامة في قلعة الدمام على ساحل الحسا، وكان إبراهيم باشا يفكر في أن يباشر مزيداً من العمل باتجاه عمان. . لكن الصعوبات الطبيعية التي كانت تحيط بموقف القوات المصرية ألزمتة بالتخلي عن هذه المشروعات.

وخرجت الحملات التأديبية في كل اتجاه ضد قبائل البدو التي كانت تساعد الوهابيين، وقد لحقت معظم الخسائر ببني سبيع الذين كانوا مستقرين إلى جوار آبار رمه في عرمة.

فترة الحكم العثماني كما يرويها ابن بشر

اتخذ إبراهيم باشا الدرعية، بعد استسلامها، مقراً له (وانتقل بنفسه وحاشيته وقبوسه وقنابره ومدافعه من «سمحان» ونزل في نخل تركي بن سعود المعروف «بالعويسية» أسفل الدرعية، وباقي عساكره فرقها في نخيلها وأطرافها ودروبها).

(ثم إن الباشا أخذ خيل السعود وشوكة الحرب وما وجد عليه اسمهم في بندق أو سيف.

وأكثر العساكر العبث في أسواق الدرعية والضرب والتسخير لأهلها، فكانوا يجمعون الرجال من الأسواق ويخرجونهم من الدور ويحملون على ظهورهم ما تحمله الحيوانات فيسخرونهم يهدمون البيوت والدكاكين ويحملون خشبها ويكسرون ويردون لهم الماء ويحملونه، فلا يعرفون لفاضل فضله ولا لعالم قدره وصار الساقط الخسيس في تلك الأيام هو الرئيس).

(ثم ان الباشا أقام في الدرعية وطال مقامه فيها نحو تسعة أشهر بعد المصالحة).

إبعاد آل سعود وآل الشيخ

وأمر على جميع آل سعود وأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائهم أن يرحلوا عن الدرعية إلى مصر، فارتحلوا منها بحريمهم وذراريهم وسار معهم كثير

الدرعية وقت الصلح هو وأخوه زيد(١)، وهرب الشيخ القاضي علي بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى قطر وإلى عمان وأقام هناك حتى استقامت الأمور لتركي بن عبدالله، وهرب أناس غيرهم ونجاهم الله سبحانه.

تدمير الدرعية بعد نهب أموالها :

فلما كان في شعبان وقدمت الرسل والمكاتبات من محمد علي صاحب مصر على إبراهيم باشا وهو في الدرعية، أمر بهدم الدرعية وتدميرها، فأمر على أهلها أن يرحلوا عنها، ثم أمر على العساكر أن يهدموا دورها وقصورها وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها، ولا يرحموا صغيرها ولا كبيرها، فابتدر العساكر مسرعين، وهـدموها وبعض أهلها فيها (مقيمين)، فقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور والقصور، ونفذ فيها القدر المقدور، وأشعلوا في بيوتها النيران وأخرجوا جميع من كان فيهـا من السكـان، فتركـوها خالية المساكن، كأن لم يكن بها من قديم ساكن، وتفرّق أهلها في النواحي والبلدان، وذلك بتقدير الذي كل يوم هو في شأن).

إبراهيم باشا يرحل من الدرعية بعد تدميرها :

.. ثم إن البـاشـا لما فرغ من هدم الدرعية وتدميرها، رحل منها ونزل الموضع المعروف بـ (الأحور)، وهو غدير قرب بلد ضرمى، كان سعود رحمه الله يجعل فيه خيله أيام الربيع فأقام الباشا فيه أكثر من شهر.

---

(١) أنظر في الصفحة ٥٤٦ من الملحق، ما كتبناه عن مخبأ الإمام تركي.

ابراهيم باشا يغزو العجمان ويطعن بخنجر :

ثم ركب منه غازياً وقصد ناحية الجنوب وترك مخيمه فلم يحصل على طائل، ووافق غزواً من بوادي العجـمان، نحو مائتين فهربوا وقتل بعضهـم، وضربه رجل من الغزو ضربة عظيمة بخنجر فسلم منها. . ثم قفل الباشا راجعاً إلى مخيمه.

إبراهيم باشا يغزو عنزة:

ثم ركب وأغار على قبيلة من عنزة فأخذ منها إبلاً وأغناماً وذلك في أرض الزلفي.

إبراهيم باشا يرحل من نجد إلى المدينة:

ثم إن الباشا رحل من القصيم وقصد المدينة، ورحل معه حجيلان بن حمد أمير القصيم، الذي توفى في المدينة.

قتل الأمراء والاعيان

ثم إن قواويش الباشا وعساكره الذين فرقهم في البلدان. . أخذوا يهدمون الأسـوار والقصور، ووثبوا على أناس من رؤساء نواحي أهل نجد فقتلوهم، وذلك لما أراد الباشا أن يرحل من نجد، فوثب الآغا الذي في الجبل ومن معه من العسكر وقتلوا محمد بن عبدالمحسن بن علي أمير الجبل، وأخاه علي، وقتل معهما رجال. ووثب الآغا الذي في القصيم فقتل عبدالله بن رشيد، أمير عنيزة.

ثم وقت ارتحال الباشا من القصيم أقبل الآغا الذي في حوطة الجنوب،

المسمى (حسين جوخدار)، ومن معه من عساكر، ونزل (الدلم) البلد المعروفة في الخرج، وقتل آل عفيصان وهم: فهد بن سليمان بن عفيصان وأخوه عبدالله، ومتعب بن إبراهيم بن سليمان بن عفيصان واستأصل جميع خزائنهم وأموالهم.

وقتل أيضاً علي بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قتله الترك قرب الدرعية، وكان له معرفة في الحديث والتفسير وغير ذلك.

ـ انتهى كلام ابن بشر ـ

رواية ابن بشر:

فتن وأهوال في نجد بعد رحيل إبراهيم باشا، أيضاً

لم يكتف الترك بالفظائع والجرائم التي ارتكبوها خلال إقامة إبراهيم باشا في نجد، فقد ناب عن الباشا ضابط خبيث يدعى (حسين بك)، أرسل (أبوش آغا) إلى مقاتلة تركي في الرياض، فاستولى عليها، ولكن تركي استطاع النجاة، وكان حسين المذكور قد نزل (ثرمدا) واتخذها قاعدة له، فلما بلغه الاستيلاء على الرياض هرع إليها، وفي طريقه أخذ من أهل (منفوحة) ألوف الدراهم، ثم سار إلى الرياض فأخذ من أهلها أموالاً كثيرة، وقتل عدداً من أهل الرياض، ثم عين عبدالله الجمعي، الذي صار من دعاة الروم، أميراً على عنيزة ـ التي كانت أهلها أخرجوه منها وأمروا عليهم رجلاً آخر، ثم عاد إلى ثرمدا.

ثم أرسل منادياً إلى أهل الدرعية، ينادي: من أراد بلداً ينزلها فليأتنا نكتب له كتاباً يرحل إليها!

القتل الجماعي:

كان حسين قد تلقى أمراً بتدمير الدرعية مرة ثانية، بعد جلاء أهلها عنها، فقال لأهل الدرعية، اجتمعوا حتى نكتب لكم كتبكم.. فحضر من كان (غائباً أو مختفياً أو محترفاً، فلما اجتمعوا عنده أمر الترك أن يقتلوهم أجمعين!

فجالت عليهم خيل الروم ورجالها، وأشعلوا فيهم النار بالبنادق والطبنجات والسيوف حتى قتلوهم عن آخرهم، وهم نحو (٢٣٠) رجلاً، وأخذ الترك أموالهم وشيئاً من أطفالهم، وتركوا نساءهم.(١)

وقد تتبع ابن بشر كثيراً من أفعال حسين بك، خلال سنة ١٢٣٦هـ، فقال:

ثم إن حسيناً فرّق العساكر في النواحي والبلدان فجعل:

في القصيم عسكراً.

وفي بلدان الوشم عساكر.

وفي بلدان سدير.

وفي بلدان المحمل.

فنزلت العساكر في البلدان واستقروا في قصورها وثغورها.

نهب الأموال.. وحلي النساء:

وضربوا على أهلها ألوفاً من الريالات، كل بلد أربعة آلاف، وعشرة آلاف، وعشرين ألف ريال.

---

(١) أنظر ابن بشر (عنوان المجد في تاريخ نجد).

فأخذوا أولاً من الناس ما عندهم من دراهم، ثم أخذوا ما عندهم من الذهب والفضة، وما فوق النساء من الحلي!

التعذيب وحبس النساء:

ثم أخذوا الطعام والسلاح والمواشي والأواني، وحبسوا النساء والرجال والأطفال، وعذبوهم بأنواع العذاب وأخذوا جميع ما بأيديهم، فمنهم من مات بالضرب ومنهم من صار منه عائباً (مشوهاً).

فلما رأى الناس أنه لا يغني عنهم ما أخذوه منهم هرب أكثرهم في البراري والجبال والقفار ونُهبت دورهم وقُطعت أكثر نخيلهم.

التجسس: وصار مع الترك أناس في كل بلد من أهلها يخبرونهم بعوراتهم، وبمن كان تاجراً ومن كان فقيراً، ومن كان يحب الترك ومن كان يبغضهم!

قطع النخل: وصارت مِحَن عظيمة، وقطعوا أكثر نخل (رغبة) البلد المعروفة، وقطعوا من بلد (الداخلة) أكثر من ألف نخلة، ومن جلاجل والتويم والحوطة شيئاً قليلاً، وفي المجمعة أيضاً.

القتل: وقتل في سدير والمجمعة رجال.

وكان الذي قدم في سدير من الترك أبوش آغا، ومعه أكثر من مائة فارس ومثلها من الجيش من أهل نجد والترك، ونزل في قصر جلاجل، وفرق العساكر في البلدان، وفعلوا ما فعلوا، وقتل من أهل حريملا عبدالله بن مانع، وعبدالله بن حميد من أهل الدرعية وضرب فيها سليمان الحر وزامل بن بنيان من أهل الدرعية حتى ماتوا!

وفي بلد ثادق ضرب عبدالله بن علي بن حيدر وعبدالرحمن بن ماجد وماتوا وضرب غيرهم وعذبوا بأنواع التعذيب.

وحبس الشيخ عبدالعزيز بن سليمان بن عبدالوهاب في حريملا ونهب بيته وأخـذ من عنـده خزانة كتب عظيمة، فأخذ الزملي قاضى حسين منها أحمالاً وأشعلوا النار في باقيها، وعذب بالضرب وأنواع العذاب.

وقتل في القصيم عبدالله بن محمد بن عبدالله بن حسن رئيس بلدة بريدة، ومحمد بن غانم.

قبيل رحيل الترك .. رهائن في معتقل :

فلما أراد الترك أن يرحلوا من البلدان أمسكوا من كل بلد رجلاً ورجلين وحبسـوهم في مطالب من غاب وهرب، وساروا بهم إلى بلد (ثرمدا)، وكان حسين قد بنى في ثرمدا قصراً عظيماً، وجعل فيه الأزواد والمتاع التي يأخذها من أهل البلدان وأدخل فيه عسكراً من الترك فضبطوه، وأدخل فيه عندهم محابيس أهل البلدان من الذين أمسكوهم وجعلوهم عندهم في سلاسل الحديد، وأقاموا في ذلك الحبس والعذاب عند الترك في ذلك القصر حتى قدم حسين بك أبو ظاهر كما سيأتي.

رحيل الترك :

وفي ١٦ رمضـان ارتحـل عبـوش (أبـوش) وعساكره من سدير وارتحلت العساكر من البلدان بالرجال المحبوسين كما ذكرنا.

وفي صبيحة عيد الفطر ارتحل حسين من ثرمدا بعساكره، وترك فيها رتبة في القصر وجعل في الرياض رتبة أيضاً من الترك مع أبو علي المغربي، وفي قصر عنيزة في القصيم مثل ذلك، وقصد المدينة ثم إلى مصر.

الفتن

فلما ارتحـل حسين من نجد، وقعت الحرائب والفتن في البلدان وترأس عليهم الشيطان، فأمرهم باللعن والشتم والظلم والقتل وجميع الإثم والعدوان فثارت الحرب في سدير والقصيم والعارض والجنوب وغير ذلك من جميع الأوطان.

فهناك فتن وقتال بين الروضة وجلاجل والتويم وعشيرة الداخلة.

واختلاف وقتل في المجمعة.

وفتن وقتل رجال ونهب أموال في القصيم والعارض والخرج والجنوب.

واستمرت الفتن حتى سنة ١٢٣٧هـ التي شهدت مسير عشيرة على الروضة.

.. والزلفي على منيخ وسدير.

.. وبوادي سبيع على منفوحة!

مقدم حسين بك أبو ظاهر وتظاهره بالتقوى والعدل :

وفي سنة ١٢٣٧هـ هذه قدم حسن[1] بك أبو ظاهر من المدينة، ومعه ثمانمائة فارس من الترك ونزل الرس وأظهر التنسك والطاعة، وذلك لما علم أن أهل نجد يحبون من يفعل ذلك، وإنما فعله ليستميلهم إليه حتى يمسك حصون البلدان، فيفعل كفعل حسين وأبوش.

وقال للناس:

(إنما جئت لأقاتل البدو حتى يؤدوا الزكاة، وأردّ المظالم على الحضر، ولا أريد إلا الزكاة).

ثم كتب إلى العسكر الذين في ثرمدا أن يطلقوا المحابيس الذين عندهم.

وأغار على أناس من بوادي عنزة وأخذهم.

ووفد عليه أهل القصيم وأطاعوا له.

ثم رحل من الرس ونزل عنيزة. . وقام معه رئيسها الجمعي

ثم التظاهر بالظلم والعدوان :

ثم وفد عليه صاحب المجمعة وصاحب جلاجل وأكثر رؤساء البلدان فأرسل خيلاً نحو ثمانين فارساً من الترك مع موسى كاشف ـ والسائر بهم عبدالله الجمعي ـ فنزلوا قصر المجمعة، وأقبلوا في سدير وأدبروا وأرادوا من أهله دراهم وطعاماً فأعطوهم شيئاً قليلاً، ثم تزايد أمرهم بالأخذ والظلم فامتنع عليهم بعض بلدان سدير، فلما علموا أنهم لم يدركوا مقصودهم وثبوا على اثنين من

---

(١) يقول بيلي ويندر إن فيلبي وفؤاد حمزة يخلطان بين حسين بك وحسن أبو ظاهر، وأن فيلبي صحح فيما بعد خطأه. وابن بشر أخطأ في اسم الضابط الجديد فهو حسن أبو ظاهر، لا حسين.

رؤساء المجمعة وقتلوهم . . ثم ساروا في سدير فلم يدركوا إلا أمير بلد الجنوبية وقتلوه .

ثورة السهول ومقتل كاشف :

وفي آخر رجب ، قام عساكر الترك بغزو أعراب السهول ، ووقع بينهم قتال شديد وقتلوا كثيراً من الترك ولجأ الناجون منهم إلى المجمعة .

وكان بين القتلى موسى الكاشف ورؤساء الترك :

انتصار سبيع ومقتل إبراهيم الكاشف :

رحل أبو ظاهر إلى جبل شمر وقبض منهم الزكاة من يوم رحيل الباشا من نجد ، وقتل من أهل قرية (موقق) ٦٠ رجلاً .

وفي آخر السنة سار إبراهيم كاشف ومعه جماعة من أهل الرياض وقصدوا بوادي سبيع ، في حائر سبيع ، فشنوا عليهم الغارة ووقع بينهم قتال شديد فنصر الله سبيعاً وانهزم الترك وأتباعهم هزيمة شنيعة وقتل غالبهم ، وكانت القتلى أكثر من ثلاثمائة بين فارس وراجل وقتل رئيس الترك إبراهيم كاشف .

وقتل أمير الرياض ناصر . . بعد فراره من المعركة في غار .

ثم سار الكيخيا (الذي جعله حسين في قصر ثرمدا) بمن عنده من العساكر فيها وسار معه فيصل الدويش وجملة من بوادي مطير وعدة رجال من أهل ثرمدا وقصدوا ناحية سدير، وذلك انهم أشغلوا الناس بالأوامر وأخذ الأموال فعصى عليهم صاحب جلاجل سويد، ثم نزلوا بلد الروضة ـ وسار معهم أناس من أهل سدير ورحلوا منها ونازلوا جلاجل فحصل بينهم قتال من

وراء النخيل وأقاموا يوماً وليلة ورموهم بالقبس، فوقع الصلح بينهم، ثم ارتحلوا إلى الوشم . .

ـ انتهى ما قاله ابن بشر ـ

ثورة عنيزة سنة ١٢٣٨هـ :

ويقول إبراهيم بن صالح بن عيسى، في أخبار سنة ١٢٣٨هـ، أن حسين أبـو ظاهـر حبس (عبـدالله الجمعي، أمير عنيزة، وعدة رجال من رؤسائها، وطلب عليهم أموالاً، فقام عليه أهل عنيزة، فأخرجوه هو ومن معه من البلد، فارتحل إلى المدينة، وترك في (قصر الصفا)، المعروف في عنيزة، نحو خمسمائة من العسكر، رئيسهم محمد آغا، فقام عليهم أهل عنيزة وأخرجوهم منه، وهدموا قصر الصفا، فلحقوا بأصحابهم، ولم يبق في نجد من العسكر غير الذين في قصر الرياض.

الملحــق رقم «٣»

مراحل تكوين المملكة

في مطلع هذا القرن، كان «جبل شمر» إمارة مستقلة يحكمها ابن الرشيد، حليف الترك، وكانت «الاحساء» ولاية تركية، يحكمها والٍ تركي، وكانت «القصيم» تحت حكم ابن الرشيد ونفوذ الترك، وكان «وادي السرحان» يحكمه ابن شعلان. . وكانت «عسير» تحت سلطان الأدارسة، وكانت «الحجاز» تحت حكم الملك حسين بن علي، وكانت بلاد «العارض» نفسها تحت سلطان ابن الرشيد.

فكيف تحررت هذه البلاد من المتغلبين الأجانب، والحكام، وتوحدت مع اختلاف «أوضاعها» وتباعد أطرافها، لتؤلف بين عشية وضحاها: أول دولة عربية حرة موحدة، مهيبة الجانب؟

ذلك ما حققه البطل، عبدالعزيز، بتوفيق من الله.

وها نحن نذكر الخطوات التي خطاها عبدالعزيز منذ ابتداء معركته الأولى، حتى حقق وحدة بلاده في تسلسلها الزمني:

- ١ -

في عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م فتح عبدالعزيز الرياض، وكانت وحدها، خلال أشهر، الدولة!

ثم انضمت إليها الخرج، والأفلاج، والحوطة، والحريق، والدواسر.

وفي عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م استولى عبدالعزيز على بلاد الوشم وسدير والمحمل.

- ٢ -

وفي الأعوام ١٢٢٢هـ، إلى ١٣٢٦هـ أتم عبدالعزيز تحرير بلاد القصيم من الترك وابن رشيد والمتغلبة المحليين.

- ٣ -

وفي عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م. حرر عبدالعزيز «الاحساء» من الترك وضمها إلى نجد.

وهكـذا اتسعت رقعـة البـلاد التي يحكمهـا عبـدالعزيز وزادت مواردها وتجاوزت ما كان يملكه والده الإمام عبدالرحمن، قبل استيلاء ابن الرشيد على بلاده.

وكـان من ثمـرات هذه الانتصارات الباهرة التي حققها عبدالعزيز، أن تنـادى علماء نجـد ورؤساء القبائل وحكام الأقاليم والوجوه إلى مؤتمر عقد في الـرياض «عام ١٩٢١م». نادوا فيه بأميرهم الشجاع العبقري، عبدالعزيز، الذي حررهم من نير الترك والمتغلبين وردّ عليهم كرامتهم الوطنية: «سلطاناً» على نجد.

- ٤ -

وفي عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م: تم اخضاع عسير.

- ٥ -

وفي عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م: تم فتح الحجاز.

وفي يوم الجمعة ٢٥ جمادى الثانية عام ١٣٤٤هـ/١٠ يناير ١٩٢٦م. بايع أهل الحجاز لعبدالعزيز بالملك، وأصبح لقبه:

«ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها»

وفي عام «١٣٤٦هـ/١٩٢٧م» نودي بعبدالعزيز: ملكا على الحجاز ونجد.

- ٦ -

وفي عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م: انضمت تهامة عسير «بلاد الأدارسة» إلى ملك عبدالعزيز، وكانت من قبل مجرد حليفة أو «محمية»!

- ٧ -

المملكة العربية السعودية

وفي ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ/«١٨» أيلول عام ١٩٣٢م. أصدر الملك عبـدالعزيز أمراً ملكياً بتوحيد البلاد في دولة واحدة، موحدة، تدعى: المملكة العربية السعودية.

وقد نشر هذا الأمر في الجريدة الرسمية وأبلغ إلى الدول الأجنبية. وهذا نصه:

الأمر الملكي رقم ٢٧١٦

بعد الاعتماد على الله.

وبناء على ما رفع إلينا من كافة رعايانا في مملكتي الحجاز ونجد وملحقاتها ونزولاً على رغبات الرأي العام في بلادنا.

وحباً في توحيد أجزاء هذه المملكة العربية.

أمرنا بما هو آت:

المادة الأولى ـ يحول اسم المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها إلى إسم:

«المملكـة العربيـة السعوديـة»

ويصبح لقبنا بعد الآن:

«ملك المملكة العربية السعودية»

المادة الثانية ـ يجري مفعول هذا التحويل من تاريخ إعلانه.

المادة الثالثة ـ لا يكون لهذا التحويل أي تأثير على المعاهدات والاتفاقات والالتزامات.

المادة الرابعة ـ سائر النظامات والتعليمات والأوامر السابقة والصادرة من قبلنا تظل نافذة المفعول بعد هذا التحويل.

المادة الخامسة ـ تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة، سواء في الحجاز أو في نجد وملحقاتها، على حالها الحاضر مؤقتاً إلى أن يتم وضع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد.

المادة السادسة ـ على مجلس وكلائنا أن يضم إلى أعضاء الوكلاء أي فرد أو أفراد من ذوي الرأي حين وضع الأنظمة السالفة الذكر للإستفادة من آرائهم والاستنارة بمعلوماتهم.

المادة السابعة ـ إننا نختار يوم الخميس الواقع في **١٢** جمادى الأولى سنة **١٣٥١هـ**، الموافق لليوم الأول من الميزان يوماً لإعلان توحيد هذه المملكة العربية.

ونسأل الله التوفيق

صدر في مقرنا في الرياض

هذا اليوم السابع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ

التوقيع: «عبدالعزيز»

بأمر جلالة الملك:

نائب جلالته: «فيصل»

خطورة هذا الأمر الملكي

هذا هو الأمر الملكي التاريخي الخطير، نقلناه عن «أم القرى»، وما زلنا نتعجب من اهمال كثرة المؤلفين له، مع أنه وثيقة تاريخية بالغة الخطر، عظيمة القدر، بل يكاد يكون شهادة «ولادة» المملكة، في شكلها الحديث، على الأقل.

قد يقال: إن المملكة كانت قائمة من قبل، ولم يزد هذا الأمر الملكي على أن أعطاها اسماً جديداً، فهو تغيير اسم، وليس تغييراً في الأصول والأعماق!

وفي اعتقادنا أن هذا الأمر الملكي أعظم خطراً وأعمق أثراً من ذلك كثيراً، فهو لم يغيّر اسم المملكة وحده، وإنما غيّر صفتها أيضا.

كان كل من الحجاز ونجد مملكة مستقلة ـ وان كان شخص الملك عبدالعزيز يجمعهما ويشدّ بعضهما إلى بعض، فجاء هذا الأمر الملكي التاريخي يقيم الرابطة الوطنية مقام الرابطة الشخصية، ويجمع البلاد في دولة موحدة، لا إتحادية، وينشىء حكومة نظامية حديثة، ويعطي البلاد إسماً جديداً يعمّها، وتغيب فيه الدعوات الإقليمية، بحيث يختتم مراحل تكوين المملكة، ولا يمنع من توسعها في المستقبل، مع احتفاظها باسمها، لأنه ليس اسماً إقليمياً.

قيمة هذا الأمر الملكي واتخاذه يوماً وطنياً:

لم تغب عن الناس قيمة هذا القرار التاريخي العظيم وآثاره، وزادهم تقديراً له، انهم شهدوا، قبل صدوره، فتناً قام بها جماعات من طلاب الزعامات والظهور، أرادوا فصل الحجاز وعسير وتهامة عن الدولة، وكانوا يجدون في استبقاء الأوضاع والأسماء الإقليمية السابقة غذاء لفتنتهم، فلما صدر الأمر

الملكي، ووحـد البلاد توحيداً كاملاً، لا موضع فيه لنعرة إقليمية أو عصبية محلية، استقبله النـاس في كل مكـان بالفـرح والغبـطة والأمل، وتداعوا إلى الاحتفال به في كل مدينة وقرية، وتباشروا به، وتبادلوا التهاني، وجرى له في مكة المكرمة احتفال كبير، في دار الحكومة، خطب فيه نائب الملك، سمو الأمير فيصل فقال:

لا أستطيع أن أعبر لكم عما يخالجني من السرور في هذا اليوم، الذي مَنّ الله به على هذه الأمة العربية المسلمة، بتوحيدها ضمن مملكة واحدة، وزوال جميع الفوارق بين أبنائها.

ثم شكر للجماهير باسم أبيه الملك غيرتها وإخلاصها، وتلا صورة الأمر الملكي، وأطلقت المدفعية مئة طلقة تحية لهذا اليوم المجيد.

وقد أصبح هذا اليوم.. يوم توحيد البلاد وتسميتها باسم «المملكة العربية السعودية» هو اليوم الوطني الذي يُحتفل به وتتقبل فيه التهاني.

المملكة العربية السعودية

- ١ -

مكانتها في العالم

للمملكة العربية السعودية مكانة بارزة مرموقة في العالم، لأسباب كثيرة منها:

١ ـ انها الوطن الروحي للمسلمين، الذين يؤلفون سدس سكان العالم تقريباً ـ والأرض الطيبة التي تضم المدينتين المقدستين «مكة» و «المدينة»، وغيرهما من الأماكن التي لها ذكر في تاريخ الدعوة الإسلامية، والحركة الإصلاحية السلفية، كالدرعية والرياض ومدن أخرى كثيرة . .

وفي مكة المكرمة: بيت الله (الكعبة)، قبلة المسلمين، التي يتجهون إليها حيثما كانوا في صلواتهم، ويطوفون حولها في حجهم وعمرتهم . . ومكة إلى ذلك، مسقط رأس النبي ﷺ، ومهبط الوحي الأول، وفيها المسجد الحرام، الذي تشد إليه الرحال . .

وإلى مكة يفد مئات الآلاف من المسلمين، من كل جهات الدنيا، ليحجوا ويتعارفوا ويتذاكروا أمورهم في أكبر لقاء إسلامي، يتكرر كل عام . .

وأما المدينة المنورة، فهي مهجر النبي ﷺ. ومهبط الوحي الثاني، ومنطلق الفتوحات ومقر الحكومة النبوية، وفيها المسجد النبوي الذي تشد إليه الرحال أيضاً، وفيها الضريح الطاهر، فلا عجب إذا توافد إليها المسلمون ليصلوا في مسجد النبي ويسلموا عليه، ﷺ . .

٢ ـ انها مهد العرب ومستودع أصالتهم، ومما تحسن الإشارة إليه أن جميع شعراء الجاهلية من أهل الحجاز واليمامة ونجد ـ والمملكة تضمها كلها.

٣ ـ تعدّ المملكة من أغنى دول العالم، بما اكتشف فيها من آبار النفط، التي تدر عليها خيراً كثيراً، وبما هو مخبؤ في باطن أرضها من المعادن وأشباه المعادن، وما يرجى أن يكون لتربتها من عطاء سخي، ولصناعتها من نمو مستمر، وقد جاء إلى المملكة العلماء والفنيون والخبراء والعمال، من كل حدب وصوب، بأعداد تجاوزت المليون: يسهمون في نهضتها وفي تحقيق خطط التنمية التي تضعها الحكومة على أحدث المناهج.

٤ ـ حقق مؤسس المملكة العظيم، الملك عبدالعزيز، تحولاً عجيباً في حياة البلاد، كان حدثاً فذاً، لفت إليه بقوة أنظار العلماء والباحثين، وأثار إعجاب العالم كله. ذلك أن المملكة كانت دولاً وطوائف، وقبائل، متفرقة، ضعيفة، جاهلة، فقيرة تسيطر على بعض أجزائها الدولة العثمانية، وتسيطر على أجزاء أخرى قوى أجنبية، ويتلعب ببعض أقطارها متغلبة فاسدون، فقام عبدالعزيز بتحريرها وتوحيدها، وجعلها دولة كبيرة قوية، وأنشأ فيها الهجر لتحضير البدو وأقام فيها المدارس وأدخل إليها الإختراعات الحديثة وفتح أبوابها لحضارة القرن العشرين، مع حفاظها على دينها القويم وخلقها الكريم وتعهدها لرسالة الإسلام ونهوضها بأعباء الأخوة الإسلامية والعربية..

وجاء أبناؤه من بعده فتابعوا المسيرة بإخلاص وحزم، واستعانوا على ذلك أول الأمر بالعلماء والخبراء من كل بلد وبخاصة من إخوانهم العرب، ثم نهض الجيل السعودي الصاعد بما ألقي عليه من الأعباء، بعد أن تكاثر عدده وازداد

مدده من المتخرجين في جامعات المملكة ومعاهدها وفي الجامعات العربية والأجنبية، وليس معنى ذلك الاستغناء عن العلماء والخبراء والعمال العرب والأجانب فالدول الغربية الكبرى لا تستغني عن ذلك، وما يسمى «الإكتفاء الذاتي» لا يعني إغلاق الأبواب دون العقول القادمة من البلدان الشقيقة العربية، فالقطر العربي الذي يكرمه الله بالعزة والمنعة والثراء، يستقطب العلماء والأدباء والفنانين من كل بلد عربي، وبذلك تتسارع خطواته في طريق المجد وتعظم مكانته بين الأمم، هكذا كانت دمشق وبغداد والأندلس وغيرها من مراكز النور والحضارة في تاريخ العرب، وبهذا الانفتاح على حضارة العصر والاستعانة بالعقول النيّرة من الشرق والغرب، أصبحت المملكة دولةً حديثة، جامعة بين الجانب الديني والجانب الدنيوي، وسائرة قدماً إلى الأمام بخطى العمالقة.

علم المملكة وشعارها:

علم المملكة: لونه أخضر وشكله مستطيل، ضلع قاعدته ضعيف ارتفاعه، كتبت في وسطه بخط أبيض كبير كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ورسم تحتها سيف. والسيف يرمز إلى القوة، في الدفاع عن العقيدة والحق. .

أما شعار المملكة فنخلة بين سيفين متقاطعين.

وهذه الراية هي نفس الراية التي كان يحملها رجال الدولة السعودية الأولى والثانية. . وحتى اليوم.

عاصمة المملكة..

عاصمة المملكة: مدينة الرياض وقد أصبحت من أجمل مدن الشرق وأعمرها، وأوسعها شوارع.

ولكننا نستطيع القول، تجوزاً، أن للمملكة عاصمة أخرى روحية، هي مكة المكرمة، وقد نضيف إليها المدينة المنورة. وكانت جدة شبه عاصمة دبلوماسية، أو مقر دبلوماسي، وذلك قبل انتقال السلك الدبلوماسي إلى الرياض. وللوزارات والدوائر الحكومية على كل حال مبانٍ فخمة في جدة، وهي محطة انتقال.. بين مكة والطائف وبين الرياض.

الحضر والبدو

يقـول «ليبسكي» ان البدو يؤلفون ٦٦٪ من عدد سكان المملكة، وأما الحضر فسكـان المـدن منهم حوالي (٢٢)٪ وسكـان القرى يؤلفون ١٢٪ من مجموع السكان.

وفي اعتقادنا أن نسبة البدو في الوقت الحاضر أقل كثيراً مما قدر ليبسكي، ولعله رجع إلى إحصاء قديم جداً، وذلك أن عدد البدو أخذ بالتناقص، فقسم كبير منهم أصبحوا زراعاً في القرى أو عمالاً أو تجاراً أو موظفين أو جنوداً، وقد جذب رخـاء المدن كثيراً من البدو إلى الحياة المدنية، يضاف إلى ذلك الحافز الديني، فالدين يحث على التحضر، للصلاة في المساجد والاستماع للمواعظ، وطلب العلم وغير ذلك من المنافع.

وهناك عامل سلبي كان له أثر كبير في تحول جماعات من البدو إلى التحضر وهو: قلة الأمطار التي لازمت البلاد خلال سنوات فأهلكت الماشية إلا قليلاً، وجعلت رعاية الماشية التي هي قوام الحياة البدوية أمراً متعذراً إلا في حدود ضيقة وهكذا تخلى البدوي مكرهاً عن مألوف حياته، هذا إلى أن الدولة نشطت في تحويل البدو إلى حياة الحضارة والاستقرار بما أنشأت لهم من الهجر، أي القرى الخاصة بهم، وبما وفرت لهم من أسباب المعيشة الكريمة.

والبـدو على كل حال لا يتمتعون في المملكة بامتيازات ولا يستثنون من تطبيق أحكـام الشرع وأنـظمة الدولة (كما كانت حال البداوة في بلاد عربية أخرى) فهم مواطنون كسائر المواطنين تطبق عليهم الأنظمة ويخضعون لأحكام القضاء كغيرهم

الملحق رقم «٤»

الرياض
بين ماضيها التليد
وحاضرها المجيد!

نظرات خاطفة على تاريخ الرياض وجغرافيتها

الرياض بين ماضيها وحاضرها

جذورها عميقة في التاريخ، وفروعها في القرن الحادي والعشرين. .

لا تمشي. الهوينا، ولكنها تعدو عدواً، بل تطير طيراناً. . في مجال العمران والرقي، وما غاب أحدٌ عن الرياض عاماً واحداً أو أقل من عام، ثم عاد إليها، إلا أدهشه ما يرى فيها من تغيير مثير، حتى إن العالم البلداني «الجغرافي»، الذي يجب أن يصف أحوال البلدان و«تطورها» ليعجز عن متابعة مسيرة الرياض في توسعها وعمرانها ونهضتها. . فالطرقات والأرصفة والجسور «الكباري»، والساحات والمباني الفخمة، وما يتبع ذلك من وسائل الحضارة وأسباب التنعم و«الترفيه»، كل أولئك ينبت هنا وهناك، في الشرق والغرب والشمال والجنوب، كما ينبت العشب الطيب المنور في الموسم الطيب، بسرعة وبكثرة، فإذا القفار تموج ببحرٍ لا حد له من الخضرة والأنوار والأزهار.

وتتحول «الصحاري» وأشباه الصحاري والقرى الغامرة ـ التي تجاور مدينة الـرياض المعمـورة، وتؤلف «مداها الحيوي» ـ إلى أحياء سكنية أو تجارية أو صناعية، وتندمج في المدينة، فإذا المدينة تكبر وتكبر، مرتين وثلاثاً وأربعاً . . وعشر مرات. . وأكثر وأكثر. . ولا أحد يعرف أين. . ومتى تقف المسيرة الجبّارة!

وحُقَّ للرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية، التي تحتل بين دول العالم كله مكانة عظيمة مرموقة، أن تكون تعبيراً حيًّا و «تجسيداً» ملموساً لتقدم المملكة السريع في كل مجالات النهضة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية.

ولصاحب السمو الملكي، الأمير سلمان بن عبدالعزيز، الذي تولى إمارة الرياض وهو في عنفوان الشباب، أن يقول مفاخراً:

إن قاعدة إمارتي قد ضربت الأرقام القياسية العالمية في التوسع والعمران!

والناس، حين يذكرون الرياض، يذكرون أميرها النبيل، فاسمه مقترن باسمها، وبفضل نباهته وكياسته وإخلاصه ـ وفي ظل ممدود من عناية الحكومة السعـودية ورعـايتها ـ تحققت في الرياض «منجزات» عظيمة جداً، ولولا أن الناس يرونها رؤية العين لظنوها أحلاماً وأماني!

إن الحديث عن الرياض يحتاج إلى تحبير المجلدات. . بعد قضاء الوقت الطويل في التتبع والدرس. . ولكن ذلك لا يعفينا من «محاولة» متواضعة، نلم بها قليلاً بتاريخ الرياض في الماضي، ونهضتها المدهشة في الحاضر.

عدد سكان الرياض

من (٨٠٠٠) ساكن إلى أكثر من مليون

كان عدد سكـان الرياض سنة ١٨٦٢م، كما قدرهم الرحالة بلغريف، ثمانية آلاف نسمة فقط!

وفي عام ١٩١٩م قدرهم جون فيلبي بتسعة عشر ألف ساكن.

وفي عام ١٩٤٥م قدرهم توتشل بستين ألفاً.

وفي عام ١٩٦٢م جرى إحصـاء لسكان الرياض أظهر أن عددهم بلغ (١٧٠) ألفاً.

وعام ١٩٦٨م قدرتهم مؤسسة دوكسيادس بـ (٣٠٠) ألف.

وفي عام ١٩٧٦م قدرهم الأستـاذ بنـدقجي في كتـابه «جغرافية المملكة العربية السعودية» بما يقرب من (٧٠٠) ألف نسمة، وقدر سكان جدة بأكثر من نصف مليون، وسكان مكة بما يقل عن ٤٠٠ ألف.

وربما أجري إحصاء جديد لعدد السكان في وقت غير بعيد، فيعرف العدد الحقيقي، لأن أكثر المؤلفين «يخمنون». . ولا يجزمون!

واليوم. . تجاوز عدد سكان الرياض المليون، وهي في ازدياد. .

مشهد الرياض الفاتن أجمل من دمشق ومن إيتاليا

خلبت مناظر مدينة الرياض عقل الرحالة (بلغريف)، فقال إنها أجمل من غوطة دمشق ومن بساتين إيتاليا، وقدر عدد مساجدها بثلاثين، عدا الجامع الكبير الذي يقوم قريباً من قصر الإمام فيصل بن تركي، ويصل إليه خلال دهليز ممتد من القصر إلى الجامع، فلا يمرّ خلال الأسواق، التي تقوم في ظلال القصر أو قريباً منه، أما عدد السكان فقدّرهم بثمانية آلاف.

وهذا بعض ما قاله، في كتابه الذي نشره عن زيارته لمدينة الرياض، في عهد الإمام فيصل بن تركي، سنة (١٨٦٢م):[١]

(كان ينبسط أمامنا وادٍ فسيح، وفي المنحدر الصخري الذي كنا واقفين على قمته، تقع مدينة الرياض، في رقعة مربعة واسعة تتوجها بروج عالية وأسوار دفاع قوية، وتتعالى بين أشجارها شرفات البيوت، التي يبرعها كلها، بعلوه وضخامته: قصر الإمام تركي بن فيصل، وبالقرب منه قصر ابنه البكر (عبدالله) ولم يكن قد سكنه بعد..

---

(١) أنظر كتابه Personal Narrative of a year's Journey through Central and Eastern Arabia.

وقد ترجم إلى الفرنسية، ونشرت مجلة العالمين La Revue des Deux Mondes في عدد كانون الثاني ١٨٦٧م مقالاً عن ويليام ج. بلغريف، قالت فيه: إنه يهودي الأصل، عمل ضابطاً في جيش الهند، ثم اعتنق الكاثوليكية اليسوعية، وأقام في الشام، وكان هناك يعرف باسم «كوهين».. وتعلم العربية، وعرف عادات البدو، وقد أرسله أمبراطور فرنسا إلى نجد، وبعد عودته نبذ اليسوعية، وصار بروتستانتياً، وتقول المجلة المذكورة في عدد مايو:

وبلغريف انجليزي، وهو أول أجنبي زار الجزيرة العربية من أدناها إلى أقصاها زيارة كاملة، وأما ينبور فقد اجتازها اجتيازاً، وترجم كتابه عن رحلته إلى الفرنسية فأثار اهتماماً كبيراً، ومن المؤسف أن تعصبه الديني الشديد أعماه عن رؤية حقيقة الإسلام فلم يتحدث عنه بنزاهة وموضوعية.

وحوالي البلدة، وإلى مسافة ثلاثة أميال في السهل المحيط بها، وبخاصة إلى الغرب والشمال، يتموج بحر من أشجار النخيل، وسط حقول خضر وبساتين حسنة الري، بينما نسمع أصوات (السواقي) التي تخرج المياه من أعماق الأرض، على بعد ربع ميل من أسوار البلد.

ويتفتح الوادي، إلى الجنوب، على سهول اليمامة الخصبة، الملأى بالمزارع والقرى، ومن أبرزها بلدة (منفوحة)، وهي أقل من الرياض سعة، ثم أبعد من ذلك، نلمح تلالاً، وقمم جبال اليمامة، التي كان عمروبن كلثوم يشبهها بالسيوف المصلتة في معركة!

وأبعد من ذلك أيضاً إلى الغرب، تبدو لنا الدرعية. .

وإلى الجنوب الغربي نرى آكام «الأفلاج»، التي تفصل اليمامة عن وادي الدواسر، ولكنها تتصل من جهة الشرق، بوادي (السلي)، الذي يجري إلى ما وراء سلسلة جبال طويق.

أجمل منطقة في الدنيا

بين كل البلدان التي زرتها - وهي كثيرة - لم أر منظراً يعدل منظر الرياض بالجمال والذكريات التاريخية، فهي ملء العين وملء الفكر!

فإن كان بعض قرائي شاهدوا دمشق، وهم ينحدرون إليها من جبال لبنان، أو (الغوطة) من فوق روابي (المزة)، فإنهم يستطيعون أن يكونوا لأنفسهم فكرة مقاربة عن وادي الرياض، كما يشاهد من جهة الغرب.

أوسع وأروع:

ولكن وادي الرياض أوسع من غوطة دمشق وأكثر تنوعاً. . ومدى الرؤية هنا يشمل سهولاً أفسح وجبالاً أرهف وأدق مدارج، وهذا المزيج من الخضرة المترفة والجفاف «الاستوائي». . ومن ازدحام السكان في أمكنة والخلاء الموحش في أمكنة أخرى مجاورة، يعطينا منظراً تنفرد الجزيرة العربية بعطائه، ومتى أردنا المقارنة. . بدت لنا دمشق أبهت ألوانا، وإيتاليا أدنى ألحانا).

رأى فيلبي:

يسمى فيلبي مدينة الرياض: عروس الصحراء، وقلب قلوب الجزيرة العربية.

ولكنه لا يرى لها كل هذا الجمال الساحر الذي افتتن به بلغريف، الذي يصفها بخيال شاعر مسرف في أوهامه، بل يذهب (فيلبي) إلى حد الإدعاء بأن بلغريف لم يصل إلى الرياض، وما كتبه عنها إنما سمعه من بعض أهل نجد أو غيرهم. . وما نظنه أنصف بلغريف في هذه التهمة، التي لا سند لها، وكراهيتنا لتعصب بلغريف ضد الإسلام لاتستوجب منا أن ننكر عليه صحة روايته، والله أعلم.

الرياض في وثيقة فرنسية قديمة:

وجاء في (نشرة الجمعية الجغرافية)، التي تصدر عن وزارة الخارجية الفرنسية، بتاريخ (١٨٧٥م) هذه الكلمات عن مدينة الرياض:

الرياض ـ جمع روضة ـ والترك يلفظونها: (رياظ)

الرياض ـ عاصمة مملكة نجد، في الواحة التي تحمل نفس الاسم، تمتد على الضفـة الشـمالية بوادي حنيفـة باتجاه الشمال، وتؤلف واحة طولها خمسة كيلومترات وعرضها كيلومتر ونصف تقريباً. وهي محوطة بالنخيل الكثيف ما خلا القسم الشمالي الشرقي. ويحيط بها سور غليظ بارتفاع ٧ أمتار ونصف مصنوع من الطين المجفف في الشمس ولها وبروج على ارتفاع ١٩ إلى ١٢ متراً. وبعضها مربع (وقد أعيد بناؤه بعد أن هدمه ابن رشيد باستثناء جزءين في الغرب والجنوب.

من أبوابها: باب الثميري، دخنة، البديعة، الشميسي، الجهيري.

السوق مقسم إلى قسمين: واحد للأثاث. . والآخر حوانيت.

استهوت الرياض الإمام تركي فاختارها عاصمة له، وكان يحيط بها ثلاثون ألف شجرة من النخيل، وهي تستند إلى سفح (العارض) وتعتبر مفتاح العربية الوسطى لأن الطرق كلها تمر منها، وفيها ستة آلاف دار، أي نحو (٣٥) ألف ساكن.

وأهلها كلهم، تقريباً، من المحاربين الذين يسمون «الفداوية»

البيوت مبنية من الـطين، فوق أسس من حجـارة العارض. والطرقات ضيقة، وفيها آبار كثيرة تستخرج مياهها بدلاء من الجلد، تدور بها الجمال. . وفي جوارها بعض الينابيع التي تمد الأهالي بالمياه الصالحة للشرب، ولكن المياه ليست غزيرة بحيث تكفي لزراعة الأرز الذي يحبونه كثيراً، وهو يأتيهم من الهند.

فتح الرياض في زمن الملك عبدالعزيز

كان الانطلاقة المباركة إلى التحرير والتوحيد وإنشاء المملكة العربية السعودية ..

الرياض في عهد الملك عبدالعزيز

في سنة ١٣١٩هـ/١٩٠٢م استولى المغفور له الملك عبدالعزيز على مدينة الرياض، عاصمة آبائه وأجداده، في مغامرة بطولية خارقة، مازال الناس يتحدثون عنها بإعجاب وإكبار.

وقد بقيت الرياض على حالها، في أوائل عهد الملك البطل، لأنه كان منصرفاً إلى تحرير البلاد، في نجد وما وراء نجد.

وكان أول عمل قام به: إعادة بناء سور المدينة، الذي هدمه ابن رشيد.

ويقول فيلبي إن سور الرياض كانت له تسعة أبواب، تؤدي إلى البساتين المجاورة وإلى الخارج، وأهمها: بوابات الثميري، والظهيري، ودخنة، والمريقيب، والشميسي، والبديعة.

وكان السور مصنوعاً من الطين، وكان حجمه سميكاً، ويبلغ ارتفاعه قرابة خمسين قدماً، وعلى السور أبراج أعدّت لحماية البلدة من الغزوات والغارات.

ويقول حافظ وهبه، في كتابه «جزيرة العرب»:

عمرت الرياض وكثرت مبانيها وسكانها في أيام الإمام فيصل، جد الملك

عبدالعزيز، ثم أهمل أمرها، بعد جلاء آل سعود عنها.

وقد استردت الرياض مكانتها واشتهر أمرها وأصبحت كعبة العرب ومقصد الوافدين من جميع أنحاء العربية، بعد أن ساد الملك عبدالعزيز نجداً كلها وقضى على منافسيه فيها.

.. وكانت أكثر مباني الرياض من الطين أو «اللبن» وهي قليلة النوافذ على الطريق العام، فإن ذلك معدود من العيوب في البلاد العربية.

وكان قصر الملك ومنازل العائلة الحاكمة يشغل قسماً عظيماً من المساحة، وهي تشبه في بنائها قصور القرون الوسطى من جهة السعة وإقامة الأبراج عليها.

وبعد ضم الحجاز وإعلان إنشاء «المملكة العربية السعودية»، بدأ البناء خارج السور القديم، وكان قصر «المربع»، الذي بناه الملك عبدالعزيز وانتقل إليه انطلاقة العمران والتوسع.

ويقول المرحوم خير الدين الزركلي:

كانت الرياض.. مبنية بالآجر النيء والطين، وذهب عصر اللبن والطين، وقام العمران الحديث على دعائم الحديد والصخر والأسمنت، فبدأت تظهر في الرياض، بأواخر عهد عبدالعزيز، تباشير القصور والدور، وأخذت الرياض الجديدة، في مباعدة ما بينها وبين طرازها المعماري السالف، إلا ماهو مألوف في أكثر البلاد الإسلامية من إقامة الجدران حول المنازل.. وتزين مبانيها حدائق أحسن تنسيقها وفي بعضها أحواض للسباحة وملاعب للرياضة.

حركة العمران.. مستمرة

يقول الدكتور عبدالرحمن الشريف في كتابه: «جغرافية مدينة الرياض»:

استمرت حركة امتداد العمران بقوة.. وامتازت هذه الفترة بالتوسع خارج الأسوار..

وأول ما بني خارج الأسوار: قصر المربع. وهو مستطيل الشكل تبلغ أبعاد أسواره (٣٠٠, ٤٠٠م) وقد أحيط القصر بأبراج مربعة الشكل. اتخذه الملك في البداية مقراً لسكناه سنة ١٩٣٨م، ثم أصبح فيما بعد مقراً للحكم.

.. وفي هذه الفترة بنى مماليك عبدالعزيز محلة خاصة بهم على ضفاف وادي البطحاء عرفت باسم «حلة العبيد»..

وظهرت منطقة سكنية منعزلة إلى الغرب من طريق الحجاز سميت باسم «العتيقة».

.. وتمت إزالة الأسوار في عام ١٩٥٠م، وبدأت المرحلة الثالثة والأخيرة من تطور مدينة الرياض.

ولم يقتصر التطور.. على التوسع والامتداد، بل شمل تغيير طراز البناء ومواده.. وحلت مشكلة الماء، ونقلت الوزارات ورئاسة الدوائر الحكومية من مدينة جدة إلى الرياض، وأنشئت طرق مواصلات حديثة.

.. وقد رافق ذلك، أو مهد له، إصدار الملك عبدالعزيز أمره بشراء مولدات كهرباء ضخمة من أمريكا، فهو، رحمه الله وطيب ثراه، أول من أدخل الكهرباء إلى مدينة الرياض وكان ذلك في سنة ١٩٤٨م.

الملحـق رقم «٥»

إحياء لذكرى الإمام تركي بن عبدالله

إعادة بناء قصر الحكم في موقعه الحالي وبجسوره التي كانت تربطه بالجامع الكبير

نشرت جريدة «الشرق الأوسط» دراسة إضافية عن الجهد الكبير الذي يبذل في إعادة بناء القسم التاريخي من مدينة الرياض على ماكان عليه، وهذا نصه.

في بادرة هي الأولى من نوعها يتم بناء (مدينة الرياض القديمة) على ما كانت عليه في القـرن التـاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين وخاصة المواقع الأثرية التي شهدت أحداثاً تاريخية مهمة ترتبط بمؤسس الدولة السعودية الثـالثـة الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله، وسيعاد البناء على نفس المواقع وبنفس لون تربة الرياض.

وهـذه البـادرة تم الانتهـاء من تنفيذ مرحلتها الأولى وهي مبنى الأمارة والأمانة والشرطة. ويبدأ العمل الآن في تنفيذ المرحلة الثانية التي تتمثل في إعادة بنـاء قصر الحكم والمسجـد الجـامـع الكبير وساحة العدل بالصفاة والأسواق

التجارية القديمة والساحات والمرافق والممرات التي ستكون أمام المصمك وسيرتبط كل ذلك بإعادة بناء أجزاء من سور الرياض التاريخي وكذلك بناء (الدراويز) من الطين كما كانت مع إضافة مواد كيماوية وعمل قاعدتها «بأحجار الرياض) لمقاومة عوامل الرياح والمطر والطقس.

ويأتي حرص المسؤولين السعوديين على الاحتفاظ بطابع الرياض القديمة لكونها الشرارة التي انطلق منها تأسيس «المملكة العربية السعودية». وفي هذا المعنى يقول الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض: ان قصر الحكم سيحتفظ بدوره السياسي الأساسي كمقر للحكم حيث بدأت منه الدولة السعودية الثانية بقيادة الإمام تركي بن عبدالله. . وقد كان هذا القصر هو المقر الذي سكنه الملك عبدالعزيز رحمه الله ومارس فيه أبناؤه الملوك سعود وفيصل وخالد وفهد استقبال الناس في المناسبات الكبرى ولذلك سمي وسيظل اسمه للأبد ـ إن شاء الله ـ قصر الحكم.

إن كل مكان بالرياض القديمة والتي أصبحت زهرة المدن العالمية الحديثة يحكي تاريخاً ويحكي قصة شعب صنع ملحمة بطولية منتصرة. . لقد أخذت المدينة في التطور السريع من مدينة مساحتها ٤ كيلومتر مربع عندما دخلها الملك عبدالعزيز آل سعود عام ١٩٠٢م لتصل الآن إلى ١٦٠٠ كيلومتر مربع. ومن ١٩ ألف نسمة يسكنونها عام ١٩٢٠ إلى مليون ونصف مليون نسمة حالياً. ولذلك كادت الرياض القديمة المكونة من أربع حارات (أحياء) فقط يقفل عليها سور وبوابات ـ كادت أن تندثر معالمها وسط القفزة العمرانية الهائلة وشبكات الطرق والجسور والأنفاق التي تشكل في مجملها ٣٠ ألف شارع و ١٤٠ حيًّا سكنيًّا وعشرات الميادين والحدائق والملاعب المزروعة بآلاف الأشجار وأحواض الزهور.

من هنـا كان قرار الإبقاء على الرياض القديمة بإعادة بنائها على أسس معمارية حديثة بنفس الطابع التقليدي للمدينة القديمة قراراً يوحي بأكثر من معنى بحيث يجسـد الـرياض في هذه الحقبـة التـاريخية لتبقى ماثلة في ذاكرة الأجيال، ولتظل شاهدة على عظمة قيادة وشعب رفع راية لا إله إلا الله وانتصر لعميق إيمانه رغم قلة إمكانياته.

تحفة حديثة بعبق الماضي

بعد ثلاث سنوات من الآن وعند انتهاء المرحلة الثانية من تطوير منطقة قصر الحكم سيكـون هناك بمشيئة الله لوحة معمارية رائعة أخذت من فنون التقنية الحديثة بنفس مميزات الطراز المعماري القديم ذي اللون الطيني الذي تميزت به بيئة الرياض. . سيدخل الناس من بوابات «دراويز» الرياض القديمة المبنية على أجزاء من سورها التاريخي. . سيجدون قلب المدينة كما كان قبل قرن من الـزمان: قصر الحكم الذي بناه الإمام تركي بن عبدالله ـ الجامع الكبير والجسور التي تربط قصر الحكم بالجامع ـ مركز (المعيقلية) التجارية ـ الأسواق التجـارية ثلاث ساحـات رئيسية بين قصر الحكم وسـاحـة العـدل بالصفاة والمصمـك بالإضـافـة إلى مبـاني الأمـارة والأمـانة والشرطة وأسواق «المقيبرة» و«أوشقير» و«السدره» ومجمع المحاكم وسوق الصيارفة ومسجد الشيخ بدخنة. . هذه التحفة الحديثة والتي ستحمل عبق الماضي بدأ التفكير فيها عام ١٣٨٨هـ وصدر قرار عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م بإنشاء مكتب متخصص تابع للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض للقيام بمهمة تطوير وتنفيذ مشروع تطوير منطقة قصر الحكم بتوجيه من الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ورئيس الهيئة

العليا لتطوير مدينة الرياض.

وسنتناول هذه الرموز التراثية لنعيد للذاكرة حركة التاريخ الذي سيكون مجسداً أمامنا كما كان في الواقع قبل ١٠٠ عام أو تزيد.

اسم على مسمى

دلت الدراسات الأثرية والتاريخية على أن مدينة الرياض الحالية تقوم على مكان مدينة (حجر) القديمة والتي كانت مركز اليمامة والتي وصفها ابن بطوطة بأنها كانت مدينـة كبيرة واسعة الأرجاء كثيرة المباني تحيط بها الحدائق والمزارع وتكثر بها المياه والعيون

وقد قال الهمذاني في كتاب صفة جزيرة العرب «الخضراء خضراء حجر».

وقـد جاءت في شعـر وكتـابات كثير من الشعراء والكتاب العرب منهم الأعشى ويـاقـوت في «معجم البلدان» والمهلهـل ابن ربيعة الحارثي وجحدر العكلي، والمبرد في «الكامل» وكان الشاعر المشهور ابن عطية الخطفي يقيم في حجر وقد ذكرها كثيراً في شعره.

وقـد وزعت هذه المدينة إلى أحياء يتصل بعضها ببعض ثم عادت هذه الأحياء وتجمعت وكونت مدينة الرياض الحالية وكانت أمارة مستقلة قبل قيام الدولة السعودية الأولى. وفي القرن الثاني عشر الهجري أطلق اسم الرياض على المحلات القديمة من مدينة حجر وهي معكال ومقرن والسعود.

ويقـول د. أديب فارس في رسـالتـه للدكتوراه «الرياض وثبة ازدهار في الصحراء العربية» استناداً على مرجع الشيخ حمد الجاسر «مدينة الرياض عبر أطـوار التـاريخ» ولقد حل اسم الرياض تدريجياً محل اسم «حجر» في القرن

الثامن عشر الميلادي . وان لفظة رياض تعني في الواقع مكاناً تمر فيه السواقي ويغطيه الاخضرار. ويقال انه كان يوجد بالرياض ٤٠ عيناً أو مزرعة .

السور والبوابات

بعد قيام الدولة السعودية الأولى في الدرعية ومناصرتها للدعوة الإصلاحية الدينية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب قامت الحرب بين دهام بن دواس أمير الرياض والدولة السعودية حيث كان دواس من أشد المعارضين لهذه الدعوة .

وقد أقام دواس إبان هذه الفترة (حوالي عام ١١١٦هـ/١٧٠٤م) سوراً عظيماً حول تلك المحلات المتناثرة لا تزال آثاره باقية في بعض جهات المدينة . وبنى القصر الذي أصبح فيما بعد قصراً للأمارة والحكم حتى هدمه ابن الرشيد .

ويقول مؤلف معجم مدينة الرياض ـ خالد السليمان ـ يعرف باسم حامي دهـام بن دواس والحامي من لفظة الحماية وهو سور منيع قوي سميك البناء والـترابط . وعنـد استيلاء الملك عبـدالعـزيز على الرياض مطلع هذا القرن الميلادي كان على السـور بوابـات (دراويز) من أشهرها بوابة الثميري ودخنة والمريقب والظهيرة .

وقد ظل هذا السور قائماً إلى أن أمر بهدمه الملك عبدالعزيز آل سعود لكي تفتح المدينة بعد توسعها وتطورها خارج السور وذلك عام ١٣٦٩هـ. وسوف يتم إقـامـة السـور والبـوابات في مواقعها السابقة الأصلية وبنمطها المعماري التقليدي فيما سيتم تحديد مسار السور على الأرض في المواقع التي يتعذر إعادة بنائه فيها .



يقول الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض: قصر الحكم كان المقر الذي سكنه الملك عبدالعزيز رحمه الله، وسيظل محتفظاً بدوره السياسي الأساسي كمقر للحكم حيث، بدأت منه الدولة السعودية الثانية بقيادة الإمام تركي بن عبدالله.

وسيتم إعادة بناء هذا القصر في نفس موقعه وبجسوره التي كانت تربطه بالجامع الكبير على مساحة ١١٣٥٠ متراً مربعاً وسيتكون من ثلاثة أدوار. . الأرضي يشتمل على مكاتب وقاعات وصالات للطعام للاستعمال في المناسبات الرسمية. والدور الأول سيكون به مكتب للملك لاستقبال المواطنين في المناسبات ومكتب لأمير منطقة الرياض ومجلس الأمير وجناح خاص ومختصر وقاعة اجتماعات ومكتب لنائب أمير منطقة الرياض وصالات اجتماعات ومحاضرات.

ويعود تأسيس قصر الحكم للإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية والجد الثاني للملك عبدالعزيز آل سعود. وقد سكن الإمام تركي القصر طيلة فترة حكمه إلى أن توفي عام ١٢٤٩هـ وسكنه بعده الإمام فيصل بن تركي حتى وفاته عام ١٢٨٢هـ ثم حدثت أحداث يحفظها التاريخ إلى أن قيض الله النجاح لمؤسس الدولة السعودية الثالثة الملك عبدالعزيز استرجاع الرياض وملك آبائه في ٥ شوال عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م. وبعد أن استقر الوضع سكن قصر الحكم بعد أن أصلح فيه ـ رحمه الله ـ ما يجب اصلاحه. ثم بدأ في زيادة بنائه على فترات حتى صار قصراً كبيراً وواسعاً وبنى حوله قصوراً كثيرة لعائلته، وبنى قصراً كبيراً أمام قصر الحكم في الشمال

خصص للوافدين من الضيوف.

وبنى الملك عبدالعزيز ثلاثة جسور مسقوفة بالأخشاب واحد منها يصل إلى المصلى القائم فوق منبر امام وخطيب الجامع الكبير ليؤدي صلاة الجمعة فيه مع حاشيته وخدمه. والجسر الثاني إلى قصر الضيوف والثالث إلى بيوت بعض عوائله الكريمة، وبقى بهذا القصر ما يزيد على ثلاثين عاماً ثم رحل بجميع عائلته ودوائره إلى قصور المربع عام ١٣٥٧هـ.

الجامع الكبير

في مخطط إعادة بناء الرياض القديمة سيتم بناء المسجد الجامع على نفس موقعه الحالي وستكون مساحته ١٦٧١٠ أمتار مربعة. ويتسع هذا المسجد الذي سيجهز بوسائل النقل التليفزيوني المباشر لحوالي ١٤ ألف مصل. كما سيشتمل على مصلى للنساء ومكتبة وسكن للإمام والمؤذن.

وسيقام على جانبي الجامع مئذنتان ارتفاع كل منهما ٤٠ متراً. وتقع بالقرب منه مكاتب الإدارة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمنطقة الرياض والوسطى وعدد من المحلات التجارية. ويعكس تصميم معمار هذا الجامع الطابع التقليدي للمنطقة القديمة.

وقد أمر الإمام فيصل بن تركي بإنشاء الجامع الكبير في أرض في وسط مدينة الرياض. وقد أخذ في الاعتبار قربه من عدة أحياء سكنية في ذلك الوقت

بالإضافة إلى قربه من القصر الذي كان الإمام يحكم فيه.

وقد أصبح هذا الجامع من أكبر وأهم المساجد بالرياض. وكان يغص بحلقات الذكر والعلم ليل نهار. وكان يمتلىء بالمصلين في أيام الجمع والمناسبات. وقد عين الإمام عبدالله بن فيصل الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود ـ وهو من مشاهير علماء نجد ـ اماماً للناس في الجامع الكبير. وبعد أن تولى الملك عبدالعزيز الحكم اهتم بشؤون الجامع.

ويذكر أن الملك عبدالعزيز عرض ولاية المسلمين على والده الإمام عبدالرحمن لكنه رفضها بعد أن جمع العلماء والوجهاء وعامة الناس في الجامع الكبير وأعلن رحمه الله انه بايع ابنه عبدالعزيز إماماً على نجد على كتاب الله وسنة رسوله. ومن هنا أصبح للجامع أهمية كبرى فكان ملتقى جميع أفراد الأمة لأداء صلاة الجمعة والالتقاء بالإمام والتشاور معه. ومن أشهر المؤذنين بالجامع الشيخ سلطان بن فهد بن سلطان والشيخ ابن ماجد. وتولى الامامة فيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ عمر بن عبداللطيف ثم الشيخ سعد بن عتيق والشيخ إبراهيم بن سليمان المبارك. والشيخ محمد بن إبراهيم.

ولما تولى الملك سعود الحكم أمر ـ رحمه الله ـ بتوسعته. وكذلك تمت التوسعة الثانية للمسجد في عهد الملك خالد رحمه الله. ويؤم الناس في هذا المسجد حتى قبل هدمه أخيراً الشيخ عبدالعزيز بن باز.



القصر الكبير المشهور في قلب مدينة الرياض قال كثير من المؤرخين أن الذي بناه هو الإمام عبدالله بن فيصل. قال بذلك إبراهيم بن عيسى في «عقد الدرر» وكذلك الدكتور منير العجلاني وإبراهيم بن خميس والشيخ حمد الجاسر والشيخ عبدالله بن خميس. ويقول «معجم مدينة الرياض» لمؤلفه خالد السليمان: لكن الصحيح الذي لا جدال به أن الذي بنى المصمك هو ابن نعام لأوامر محمد بن عبدالله بن رشيد. وقد شهد المصمك أروع ملحمة قتالية بارعة نفذها البطل المغوار الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن فاتحاً الرياض. وقد وصف الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن آل خميس المصمك قائلاً: هذه الدار الحصينة المحكمة الإغلاق من جميع جوانبها فلم يكن بجدرانها العالية لا نوافذ ولا شبابيك ولا فتحات اللهم إلا منافذ صغيرة تنفذ منها فوهات البنادق ومدخل واحد في جانبها الغربي وقد بقي المصمك بهيكله الطبيعي دون تغير أو تبدل.

وفي المشروع الجديد لقصر الحكم سيربط المصمك بساحة امامه مرتبطة بساحة العدل وساحة الإمام محمد بن سعود وترتبط هذه الساحات ببعضها ارتباطاً بصرياً وعضوياً بممرات مشجرة صممت بحيث تبرز السمات المميزة لكل ساحة.

وتمثل ساحة العدل الميدان الرئيسي للمدينة حيث يطل عليها المسجد الجامع وقصر الحكم وبعض المباني الحكومية والتجارية. وتتوسط هذه الساحة نافورة ضخمة مستطيلة الشكل. فيما ستقام ساحة الإمام محمد بن سعود في موقع سوق السدرة سابقاً وستحتوي على ١٠٠ شجرة من أشجار السدر الكبيرة بالإضافة إلى الأشجار والزهور والنوافير والمقاعد المظللة وساحة المصمك

مصممة بحيث تبرز مكانته التاريخية بها أشجار وأماكن للجلوس وستكون مكاناً لإقامة المناسبات الثقافية والاحتفالات والعروض الشعبية.

أسواق لها تاريخ

كان بالرياض القديمة أسواق بلغت شهرتها الآفاق وكانت بالفعل مراكز تجارية مهمة. فهناك أسواق الديرة التي نفذت بالفعل وتحتوي على ٤٠٠ دكان على هيئة الأسواق الشعبية وبها قسم لسوق الخضار لإبقاء سوق المقيبرة للخضار كعنصر تتميز به المنطقة وجزء آخر للعطور التقليدية والنعال. وقسم آخر يحتوي على دكاكين للصيارفة.

وهناك أسواق المعيقلية المطورة والثميري وستكون كل تصاميمها متمشية مع الطابع المعماري الذي ستكون عليه المنطقة والذي يحمل ملامح الرياض القديمة. كما سيقام سوق أوشيقر ويقع غرب الجامع. وسمي السوق بهذا الاسم نسبة لأصحاب هذه المحلات وجميعهم من بلدة أوشيقر. وهناك أيضا سوق الحاوية ويعود في تسميته لأهالي الأحساء الذين برعوا في خياطة وبيع الثياب. وسوق الجفرة وقيصرية البلدية وقد بنتها البلدية (الأمانة) عام ١٣٧٧هـ لتكون مقراً لسوق الصرافة.

ان كل مباني الرياض القديمة ستعود بنفس لونها وطرازها المعماري في عصره الذهبي على أسس تقنية معمارية حديثة مما يعطي زخماً تاريخياً سيظل عبيره قائماً ما زالت هذه الصروح الحضارية قائمة بإذن الله تعالى.

الملحق رقم «٦»

تاريخ الرياض القديم

حجر اليمامة

الدول والمشيخات التي قامت في اليمامة

هل كانت الرياض بحراً؟

يقول فؤاد حمزة في كتابه: «قلب جزيرة العرب» إن البحر الأبيض المتوسط كان يمتد، في الأزمنة الجيوراسية، من شمالي شبه جزيرة سيناء حتى منطقة جبل طويق من العارض وإن أراضي منطقة الرياض الواطئة كانت تغمرها مياه البحر. وأما هضابها المرتفعة فكانت تؤلف جزيرة في وسط البحر.

وقد سبقه إلى هذا الرأي المستشرق الإنجليزي المسلم: فيلبي.

وأثبتت الدراسات الجيولوجية، والكشوف الأثرية، التي ظهرت حتى الآن أن الجزيرة العربية كانت في الأزمان العريقة في القدم، قطعة من الفردوس منثورة على وجه الأرض، تغمرها الأشجار والأزهار، وتتدفق فيها العيون والأنهار، ويتكاثر فيها الحيوان والطير، ويجد فيها الإنسان رزقه بأهون سبب، بينما كانت أوروبا ـ في تلك العصور، بلاداً ميتة، ترقد تحت طبقات كثيفة من الجليد الدائم، كالذي يشاهد اليوم في أقاصي القطب الشمالي.

ثم أخذت الطبيعة تتحول، بمشيئة القادر على كل شيء، فأصبحت الجزيرة بلاداً جافة، وغاضت ينابيعها، ولعلها عائدة بإذن الله إلى سيرتها الأولى، قطعة من الفردوس.

آثار ثمودية

إذا انتقلنا من الأزمنة الجيوراسية، إلى العصر الذي ظهرت فيه الرياض على وجه البسيطة، وهو زمن موغل في القدم، نجدها موطناً للإنسان في العصر الحجري، ثم نجدها منازل لأقوام بادوا.

ويقول د. عبدالله حسن المصري:

(يستشف من المعالم الأثرية القريبة من موقع الرياض الحالي - خصوصاً كهف برمة - على مسافة ٦٦ كم. شمال شرقي الرياض، ومن النقوش الثمودية التي عثر عليها شرقي طريق خريص، أن هذا الموضع كان في الماضي القديم أيضاً عامراً بالخضرة والمستوطنات الكثيرة، وأن الثموديين كانوا يقطنون المنطقة وما حولها).

ونحن في الأشواق إلى كشوف جديدة تزيدنا علماً بماضي الرياض العريق.

إسم الرياض وموقعها

الرياض في اللغة:

الرياض، جمع روضة. وجاء في لسان العرب:

الروضة: الأرض ذات الخضرة، والبستان الحسن، والموضع يجتمع إليه الماء، يكثر نبته.

وقيل: الروضة قاع فيه جراثيم ورواب سهلة صغار، في سرار من الأرض، يستنقع فيها الماء، وأصغر الرياض مائة ذراع.

قال أبو منصور: رياض الصمان والحزن في البادية، أماكن مطمئنة مستوية، تستريض فيها ماء السماء، فتنبت ضروباً من العشب ولا يسرع إليها الهيج والذبول.. فإذا كانت الرياض في أعالي البراق والقفاف، فهي «السليقان» واحدها سلق.

وإذا كانت الوطاءات، فهي رياض، ورب روضة فيها حرجات من السدر البري.

الرياض في معجم البلدان:

لم يرد اسم الرياض في كتب التاريخ والجغرافية القديمة. وأما (معجم البلدان) لياقوت، فيذكر لنا أسماء أكثر من مائة روضة، بصيغة المفرد، مضافة إلى أسماء أو صفات تخصصها وتنقلها إلى العلمية.

وسمّى ياقوت منها، في إقليم اليمامة:

روضة الأشاءة، روضة البلاليق، روضة بلبلول، روضة الجوالقية، روضة السخـال، روضـة الشقـوق، روضة ابن صعفوق، روضة ضاحك، روضة غسل، روضة الفقي، روضة الفورة، وروضة السلي، وروضة القميعة.

في صحيح الأخبار:

وقـد أشار ابن بليهد، في كتابه الجليل (صحيح الأخبار) إلى أن روضة القميعة في الرياض، وبقربها روضة السلي. ولكنه لم يذكر لنا أن اسم الرياض مأخوذ من اجتماع هذه الروضات.

متى ظهر اسم الرياض؟

لا نعرف على وجه الضبط متى ظهر اسم الرياض، وإن كان المرجح أنها عرفت باسمها الجديد بعد اختفاء اسم حجر، في زمن سابق لظهور الدولة السعودية الأولى، لأن أشراف مكة الذين كانوا يغزون اليمامة، كانوا يتحدثون عن «معكال» وغيرها من القرى، التي انضمت كلها تحت جناح الرياض، ولم يذكر المؤرخون لذلك العهد اسم الرياض. ويقول الأديب المحقق الشيخ حمد الجاسر في كتابه: «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» إن اسم الرياض أطلق في القرن الثاني عشر (على باقي المحلات القديمة من مدينة حجر: معكال ومقرن والعود وغيرها، وما حولها من الأرض الواسعة التي كانت في القديم بساتين وحدائق، تتخلل مدينة حجر، وتطيف بها، فغمرت، ثم صارت مجمعاً للسيول إبان نزول الأمطار، تجود بمختلف النباتات زمن الربيع، ولذا صارت تدعى الرياض.

ويردف الشيخ الجاسر قائلاً إن دهام بن دواس أدار على تلك المحلات المتناثرة (سوراً لا تزال آثاره باقية في بعض جهات المدينة.. وكان بناء الحصون وتشييد القصور والسور حوالي سنة «١١٦٠هـ»).

ويرى الجاسر أن مدينة حجر ضعف أمرها ابتداء من القرن الثالث الهجري، وأنها أصبحت في القرن العاشر الهجري قرى متفرقة منها (قرن، معكال، العود، البنية، الصليعاء، جبرة، الخراب) وكلها كانت قديماً من محلات مدينة حجر، يتصل بعضها ببعض، ثم اختفى اسم حجر، وظهرت أسماء تلك المحلات مكانه. ولم يذكر الجاسر مصادره. والله أعلم.[1]

---

(١) ومما يقوله الجاسر في حاشية الصفحة ٨٧ من كتابه: (بقي اسم حجر معروفاً إلى منتصف قرننا الحالي، حيث كان يطلق على قصر على شفير البطحا، فيه نخل، ثم انحصر الاسم في بئر ذلك النخل، فصارت تعرف بـ (بئر حجر)، ثم ردمت هذه البئر، وبنى وزير المالية في أرضها دكاكين أصبحت تعرف بشارع الوزير، وهو الآن شارع الملك فيصل.

الدولة والمشيخات التي قامت في اليمامة

تقوم الرياض ـ وكان اسمها القديم «حجراً» ـ في منطقة اليمامة، التي غاب اسمها أخيراً في اسم نجد، فلابد لنا من حديث قصير، نلخص به تاريخ اليمامة.

طسـم وجديـس

يروي المؤرخـون القـدامى أن سكان اليمامة الأقدمين كانوا ينتمون إلى قبيلتي طسم وجـديس، ثم تقـاتلتا واستدعى بعضهم ملك حمير للنجدة.. فجاء، وأباد القبيلتين وأحل مكانهما عشيرة كندة..!

وهذه الرواية، فيما يبدو لنا، مجرد أسطورة، فملك حمير لم يأتِ لإبادة طسم وجديس، وإنما جاء لمحاربة اللخميين، ملوك الحيرة، الذين امتد نفوذهم إلى العشائر العدنانية في نجد واليمامة، وأعلن أحدهم نفسه ملكاً على العرب.

يقول الطبري إن أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب هو (عمرو بن عدي) وإليه ينسب ملوك آل نصر، ثم تولى الملك بعد وفاته ابنه (امرؤ القيس البدء) أو الأول.

أول ملك عربي جمع بين نجد والشام

وامرؤ القيس هذا هو أول ملك من اللخميين أصاب شهرة عريضة ، وقد عرف اتساع ملكه بنص وجده « دوسو » في الصفا (الشام) وهو نقش النمارة ، المكتوب بالنبطية المتأثرة بالآرامية .

1. תי נפש מראלקיש בר עמרו מלך אל-ערב כלה דו אשר אל-תג
2. ומלך אל·אשדין ונזרו ומלוכהם והרב מדחגו עכדי וגא
3. בזגי (?) פי הכג נגרן מדינת שמר ומלך מעדו ונזל בניה
4. אל-שעוב ווכלה לפרש ולרום פלם יבלע מלך מבלעה
5. עכדי הלך שנת 200 + 20 + 8 יום 7 בכשלול בלשעד [ד]ו ולדה

وقد ترجمه دوسو إلى الإفرنسية ، وهو يقرأ بالعربية هكذا :

(هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ، ملك جميع العرب ، ذلك الذي كلّل بالتاج ، ذلك الذي أخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكهما ، هذا الذي شتت شمل مذحج حتى يومنا هذا ، وحقق نجاحاً في حصار نجران ، مدينة شمر ، .

ذاك الذي أخضع قبيلة معدّ .
ذلك الذي ولى أبناءه على القبائل ، وندبهم لدى الفرس والرومان .
لم يصل ملك إلى مجده حتى يومنا هذا .
ومات عام ٢٢٣ في السابع من كسلول[١] .
لتنعم ذريته بالسعادة) .

ويقول دوسو ، اعتمـاداً على هذا النقش وعلى مصادر تاريخية أخرى

---

(١) عام ٢٢٣ ، كما كان يؤرخ به يومئذٍ يقع في سنة ٣٢٩ للميلاد لأن تقويم بصرى الشام يبدأ سنة ١٠٦ للميلاد .

إن امرأ القيس بن عمرو كان ملكاً عربياً، ألَّف دولةً عربية كبيرة، تضم تحت رايتها عرب الشام ونجد وتمتد إلى حدود اليمن ، وقد ولّى كل واحد من أولاده على قبيلة من القبائل العربية الخاضعة لسلطانه .

أما وصفه في النقش بأنه ملك جميع العرب ففيه مبالغة ظاهرة ، لأنه لم يملك إلا اليمامة ونجداً وبعض قبائل العرب في العراق والشام .

دولة كندة

في كتبنا العربية القديمة أن عشائر كندة كانت تقيم في حضرموت . وقصبتهم فيها تدعى «دمون» [1]، وفي القرن الخامس للميلاد غزا تبع اليمن « حسان » بلاد الحيرة وحلفاءها في نجد واليمامة ، فغزت معه عشائر كندة ، وكان رئيسها يومئذٍ (حجر آكل المرار) ، وهو ، فيما زعموا ، أخ لملك اليمن (حسان) لأمه ، وخادم مخلص له ، فلما تمّ النصر لحسان أقام حجراً رئيساً على عشائر اليمامة ونجد ولقبه بلقب الملك .

وفي رواية ثانية أن عشائر اليمامة ونجد هي التي أرسلت وفداً منها الى تبع اليمن وطلبوا منه أن يولّي عليهم حاكماً من غيرهم . فولّى عليهم أخاه لأمه حجراً ، وكان يلقب بآكل المرار ، لكَشَرٍ كان فيه ، كأنه أكل من العشب المرّ ، الذي يتقلص له مشافر الإبل . .

(١) وينسب إلى امرىء القيس هذا البيت العجيب: (دمون، إننا معشر يمانون! وإننا لأهلنا محبون). ونحن نشك في صحته، لأنه ليس من جنس شعره ومعدنه!

ويقول جرجي زيدان ، ملخصاً بعض الروايات العربية ، إن سفهاء بكر بن وائل (غلبوا على الأمر ، وأكل القوي الضعيف ، فنظر العقلاء في أمورهم فرأوا أن يملكوا عليهم ملكاً يأخذ للضعيف من القوي ، ورأوا مع ذلك أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم ، إذ يطيعه قوم ويخالفه آخرون ، فأجمعوا أن يسيروا الى تبع اليمن (حسان) ـ وكان التبابعة لليمانيين بمنزلة الخلفاء للمسلمين ـ وطلبوا إليه أن يولي عليهم ملكاً ، وكان (حجر) المذكور ذا رأي ووجاهة ، فولاه عليهم ، فقدم حجر إلى نجد ونزل « بطن عاقل » وكان اللخميون قد ملكوا كثيراً من بلاد نجد ، وخصوصاً بلاد بكر بن وائل ، فنهض (حجر) بهم وحارب اللخميين ، وأنقذ أرض (بكر) منهم ، فأجمعت كلمه العرب على احترامه .) .

بين العدنانية والقحطانية

عاصرت مملكة كندة دولتين عربيتين قويتين ، وهما دولة الغساسنة ، في الشام ، ودولة اللخميين في العراق وعلى أطراف نجد ، وأما دولة الأنباط فكآن نجمها قد أفل وتفرق أهلها ، قبل ظهور كندة . .

يقول بعض المؤرخين إن دول الغساسنة واللخميين والكنديين كانت دولاً يمانية ، وهو قول ، من أقوال الأخباريين ، لا يقوم على حجة مقبولة وأكبر الظن أنه من صنع مؤرخين يمانيين . . .

ويتشكك (جرجي زيدان) ، في صحة هذه النسبة اليمانية ، لأن لغة تلك الدول كانت عدنانية لا قحطانية .

وفي اعتقادنا أنه يجب التفريق بين الشعوب وبين الأسر الحاكمة ، سواء أكانوا من الغساسنة أم من اللخميين أم من الكنديين .

فالشعوب في كثرتها عدنانية ، والعشائر الحاكمة تمتّ بأصولها الى اليمن ، ولكنها اندمجت في الشعوب التي تحكمها وأصبحت منها .

وإذا أردنا حصر الكلام بكندة ، فمن الثابت تاريخياً أن حجراً وجماعته جاؤوا من كندة الى بلاد تقطنها عشائر عدنانية ، فملكوها باستدعاء أهلها لهم أو رغماً عنهم . .

ويقول « حتّي » إن الكنديين ـ لما زالت مملكتهم في اليمامة ونجد ـ عادوا الى حضرموت .

ومعنى ذلك أنهم كانوا أقلية ، فغادروا البلاد التي ثارت على ملوكهم . .

كندة عدنانية :

وهناك رأي آخر ، ذكره علي بن الحسين ، مؤلف « أدب الخواص » فقد جاء فيه ما يأتي :

(قال هشام الكلبي : ذكر بعض النسّاب أنّ كندة هو ابن ثور بن عفير بن معاوية بن حيدة بن معدّ بن عدنان) . .

ويحتجون بقول امريء القيس :

(تالله لا يذهب شيخي باطلاً   خير معدّ حسباً ونائلا)[1]

بحوث أوليندر ومترجمه

عُني غونار أوليندر بتاريخ كندة ، وأفرد له كتاباً باسم : « أسرة آكل المرار » . Gunnar Olinder: The Family of Akil Al Murar- Leipzig- 1927..

---

(١) هناك رواية ثانية لعجز البيت حذف منها اسم معد .

وقد تشكك أوليندر بأخبار المصادر العربية عن كندة ، لأنها مستمدة من شعر يغلب عليه الوضع ، ومن «أيام العرب» التي دخل عليها بعض التغيير خلال تداولها بين الرواة في أزمان طويلة

ويقول الدكتور عبد الجبار المطلبي ، الذي نقل كتاب أوليندر إلى اللغة العربية[1] وحققه وقدَّم له إن الآثار التي اكتشفت حديثاً ، بعد ظهور كتاب أوليندر ، تصحح بعض أقواله وتؤيد بعضها ، ومن ذلك نقش يتحدث عن حملة قام بها (ابكرب أسعد) وابنه حسان ، ومعه أعراب كندة ، على أرض (معدّ) حوالي ٤٢٥ م . وقد جرت المعركة في وادي ماسل جمح ، ووجد نقش آخر بوادي ماسل ، هذه ترجمته :

(معد يكرب ، ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابهم في النجد وتهامة ؛ لقد أظهروا النقش وأتموه وأعلنوه في وادي ماسل جمح ، في أعلى المعسكر على واجهة جبل كتا ، عندما تمرّد الأعراب عليهم ، وحاربهم (المنذر) فخرجوا في هذه الحملة بقبائلهم سبأ وحمير وحضرموت الخ . . مع قبائلهم من الأعراب وكندة ومذحج ، وكان مع بني ثعلبة (مضر وسبع) .

في شهر ذي قيظن من ٦٣١
ـ وهذا تاريخ سبأ ويقابله عام ٥٢١ م . ـ

ويقول «ريكمانز» في كتابه «المؤسسة الملكية» إن البلدة التي يشير نقش وادي ماسل جمح إلى الهجوم عليها ، هي ، في اعتقاده : (الدوادمي) .

---

(١) وعنوان الكتاب المترجم . ملوك كندة من بني آكل المرار ـ طبع جامعة بغداد ١٩٧٣ م .

ملوك كندة

حجر آكل المرار :

كان حجر آكل المرار أول ملوك كندة ، ويقول القرماني في تاريخه :

(ذكر صاحب البحر الزخار أن أول ملوكهم «حجر ، بضم الحاء المهملة ، وهو من أولاد سبأ ، وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليهم بغير ملك ، فأكل القوي الضعيف ، فلما ملك حجر سدّد أمورهم وساسهم ، وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل ، أحسن العشائر والقبائل) .

عمرو بن حجر :

خلف حجراً ، بعد موته ، ابنه «عمرو» ، وكان لقبه «المقصور» ولم يطل ملكه ، فقد قتله الحارث بن أبي شمر الغساني

الحارث بن عمرو :

خلف الحارث أباه عمراً ، بعد مصرعه ، ووجدنا في «المعجم الكنسي» الذي يبحث في تاريخ الكنائس في أقطار العالم كلها أن (الحارث بن عمرو) كان وثنياً شديد التعصب لوثنيته ، وأنه اكتسح فلسطين سنة ٤٩٧ وعذب كثيراً من المسيحيين فيها . .

بين الحارث والمنذر

وفي سنة ٥٠٢ م . عقد البيزنطيون صلحاً معه ، وقعه الحارث وأفراسيون ، نيابة عن الأمبراطور أنسطاس ، ولما أمن الحارث جانب الروم ، انصرف الى محاربة المنذر ، وغلبه ، وحلَّ في عرش الحيرة

محله ، وتملك على كثير من قبائل العرب .

يفرق ملكه في حياته

ويبدو أن الحارث فرّق ملكه بين ولده ، فكان (حجر) على بني أسد وغطفان ، و(شرحبيل) على بكر بن وائل ، و(مسلمة) على قيس ، و(معدي كرب) ،على تغلب ، و(عبد الله) على (عبد القيس)[1] .

ويحدد أوليندر سنة وفاة الحارث بعام ٥٢٨ للميلاد ، وبذلك تكون سيطرة كندة على اللخميين قد استمرت أكثر من عشرين عاماً

ملك حجر

كان حجر أعظم أولاد الحارث وأكثرهم شهرة بين القبائل ، وربما احتفظ لنفسه بلقب ملك كنده ، بالرغم من تقسيم كندة بينه وبين إخوته

لا تمثل مملكة حجر ، بعد تقسيم مملكة كندة في حياة الحارث ، إلا جزءاً من كندة الكبرى ، ويقول «ياقوت» في «معجم البلدان» :

(كان موضع مملكة حجر الكندي بنجد : ما بين طمية ، وهي هضبة بنجد ، الى حمى ضرية ، إلى دارة جلجل من العقيق إلى بطن نخلة الشامية إلى حزنة الى اللقط إلى أفيح ، إلى عماية إلى عمايتين إلى بطن الجريب الى ملحوب الى مليحيب) .

ويقول الدكتور نبيه العاقل ، في كتابه «تاريخ العرب القديم وعصر الرسول» :

(. . أغلب الظن أن مملكة حجر كانت تشمل أغلب أراضي المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية ، بما فيها اليمامة .

مقتـل حجـر

في كتب الأدب أن حجراً فرض على بني أسد إتاوة ثقيلة وأرسل إليهم جباته ليحصلوها ؛ فامتنعوا عن أدائها لهم وضربوهم ومثّلوا بهم ، فسار إليهم حجر في كتيبة من جنده وأخذ يقتلهم بالعصا ، فسمّوهم «عبيد العصا» . . ثم هدأت الأمور ، بعد وساطة الشاعر عبيد بن الأبرص ، ولكن كاهن بني أسد أبى إلا تحريش قومه على حجر ، ففاجأوه وهو في قبته وقتلوه ، وبموته زالت مملكته .

وكان ابنه ووارث ملكه : امرؤ القيس ، يوم وفاته ، عند عمه شرحبيل ، لأنه ، في رواية الأنباري ، لقي جفاءً من أبيه فانتقل إلى عمه .

محاولات امريء القيس

يقول أوليندر إن امرأ القيس ولد سنة ٥٠٠ للميلاد في ديار بني أسد وعاش شطراً كبيراً من حياته في اليمامة ثم في المشقر والبحرين ، بعد طرد أبيه له . .

وكان مقدراً لأمريء القيس ، الذي لقبوه بالملك الضليل ، أن يتولى الملك بعد أبيه ، ولكنه حارب بني أسد الذين قتلوا أباه ، وفعل بهم الأفاعيل ، ولم يتمكن من الظفر عليهم ، وأسرع (المنذر) ، وكان قد عاد الى ملك الحيرة ، فقتل إخوة امريء القيس وأراد قتل امريء القيس أيضاً ، لولا أنه هرب الى قيصر الروم ، في قصة مشهورة .

وخلاصة القصة أن امرأ القيس بعد أن قاتل كثيراً من العشائر العربية التي حاربت أباه مع أسد أو خذلته ، ويئس من التغلب عليها وعرف ضعفه ،

سار مع عدد من رجاله إلى بلاد الروم للقاء القيصر وطلب المعونة منه لاسترداد ملكه ، زاعماً أن سبب هزيمته هو أن الفرس ، أعداءه وأعداء قيصر، هم الذين أثاروا عشائر العرب عليه وجهزوهم . .

ويذكر امرؤ القيس في شعره كيف بكى صاحبه ، لما عرف أن الغربة أصبحت نصيبه . . بعد ضياع الملك :

(بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبكِ عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا)

لم ينجح امرؤ القيس في تحقيق بغيته عند قيصر . . فعاد بخفي حنين ، يائساً مهيض الجناح ، ومات في «أنقرة» ، قيل من قرحة في المعدة ، وقيل إنه تغزل ببنت لقيصر ، فدسّ إليه حلة مسمومة كانت السبب في موته ويزعم «بودريار» في «المعجم الكنسي للجغرافيا والتاريخ» ، الموضوع باللغة الفرنسية ، أن الأمبراطور جوستينيان ـ يوستينيانوس ـ أراد إعادة امرىء القيس إلى عرش كندة ومعدّ ، في نجد ، ليستخدمه ضد أعدائه الفرس ، فأرسل إليه رسولاً وحصل منه على ضمانات بالولاء ، وكان أعظم ضمان قدمه امرؤ القيس الى القيصر : ابنه (ماوية) ، فقد بعث به إلى القسطنطينية ، ثم لحق هو نفسه بابنه ، وهناك . . رأى الأمبراطور أن يولي أخويه يزيد وعمرو على كندة . . وأما امرؤ القيس فولاه الإمارة على فلسطين .

وينكر كثير من المؤرخين أن يكون قيصر فكر في تولية امرىء القيس وهو وثني الإمارة على بلاد تعد أقدس البلاد في نظر النصارى . . ويقولون إن إمارة القدس كانت لمسيحي اسمه «قيس» لا لامرىء القيس ، وأما إخوة امرىء القيس فكان المنذر قد قتلهم !

الفرس والعرب

بعد زوال كندة، انتشرت عشائر بني حنيفة من ربيعة، وعشائر بني تميم من مضر، في اليمامة.

وكان ملوك لخم، وخصوصاً النعمان بن المنذر، واسطة بين عرب اليمامة، وبين ملوك فارس، وكانت عنده كتيبة من رجال بكر بن وائل، وغيرهم من العرب، يقال لها: الصنائع.

ولما قتل كسرى النعمان بن المنذر، طلب من بكر بن وائل أن يسلموه حلقة النعمان التي أودعها عندهم، فأبوا تسليمها إليه، فغزاهم بجيش جرّار وكان اللقاء الكبير في «ذي قار».

النبي ﷺ يدعو لربيعة:

كانت معركة ذي قار معركة رهيبة تخوضها قبيلة عربية بدوية صغيرة ضد دولة الفرس الحضرية الكبيرة، القوية، وكانت من دول العالم المعدودة.

وقد شاء الله سبحانه أن ينصر القبيلة على الدولة، ولعل ذلك كان إرهاصاً بانتصار الإسلام، فيما بعد، على دولتي الفرس والروم.

روي أن النبي ﷺ، وهو في المدينة، مثلت له وقعة ذي قار، فقال:

اليوم انتصفت العرب من العجم.

وفي رواية: وبي نصروا.

قيل انه رفع يديه إلى السماء وقال:

ليهن بني ربيعة. اللهم انصر بني ربيعة.

اليمامة في فجر الإسلام

تذكر لنا كتب التاريخ اسمي زعيمين بارزين من زعماء اليمامة، كانت لهما كلمة مسموعة، وهما: هوذة بن علي، الذي يقال ان كسرى توّجه ملكاً، وكان مقره في الخرج.

وثمامة بن أثال، وكان مقره في بلدة حجر ـ أي الرياض اليوم.

عرض النبي ﷺ الإسلام على هوذة، فاشترط.. ورفض الرسول شروطه، فبقي على الكفر.

وأما ثمامة بن أثال فأسلم، وبقي على اسلامه هو وعشيرته.

وهناك رجل آخر من بني حنيفة: مسلمة بن حبيب، ادعى النبوة، وجمع حوله فئة من بني حنيفة، ومن الخطأ الظن بأن بني حنيفة تابعوا كلهم مسيلمة، فقد ذكر الطبري أن العلاء ابن الحضرمي، لما ذهب إلى البحرين لقتال أهل الردة، انضم إليه ثمامة بن أثال، فيمن معه من مسلمي بني حنيفة، الذين ثبتوا على الإسلام.

أول وال مسلم على اليمامة:

لما انتهى خالد بن الوليد من قتال مسيلمة الكذاب وانتصر عليهم نصراً مؤزراً في موقع «عقربا»، طلب أهل اليمامة من خالد الصلح، فقبل مصالحتهم بشرط أن يسلموا، فأسلموا، وولّى عليهم: سمرة بن عمرو العنبري، وكان ذلك في السنة الثانية عشرة للهجرة.

اليمامة في زمن الراشدين ومن بعدهم:

كانت اليمامة، في زمن الخلفاء الراشدين الأربعة، مرتبطة بهم، يولون عليها من أرادوا.

ولما جاء الأمويون فالعباسيون، صاروا يرسلون الولاة إلى اليمامة والبحرين من قبل أمرائهم في مكة أو المدينة أو العراق، وربما جمعوا اليمامة والبحرين لوال واحد.

اليمامة في ظل الأخيضريين:

وفي أواسط القرن الثالث الهجري، ظهر بنو الأخيضر في الحجاز، وأعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية، ثم هرب زعيمهم محمد بن يوسف إلى اليمامة، فملكها وملكها أولاده من بعده.

وقد جعلوا قاعدة ملكهم: (الخضرمه).[1]

وبذلك تضاءلت حجر، التي كانت قاعدة اليمامة أحياناً ومن أعظم مدنها دائماً وكانت حجر، كما يقول الأصفهاني سرة اليمامة، ومنزل السلطان والجماعة.

(وكانت سوق حجر من أسواق العرب المشهورة، يجرى فيها تناشد أشعار، وبيع وشراء).

---

(١) يقول الهمداني في «صفة جزيرة العرب»: (ثم ترد الخضرمة، جو الخضارم، مدينة وقرى وسوق، وفيها بنو الأخيضر بن يوسف وهي دار بني عدي بن حنيفة، وعامر بن حنيفة، وعجل بن لجيم، وهوذة بن علي السحيمي الحنفي) ويقول ابن بليهد: بلغني أن قرب منفوحة موضعاً يقال له في هذا العهد: (الخضرمة).

أهل اليمامة لا يعرفون العثمانيين :

استولى العثمانيون على كثير من بلاد العرب، وتغلغلت عساكرهم في الحجاز خاصة، ولكن اليمامة بقيت خارجة عن مناطق نفوذهم، حتى ان الرحالة التركي المشهور (حاجي خليفة) مؤلف كتاب «جهان نامه»، لما زار بلاد اليمامة، تعجب من أمرائها وشيوخها، لأنهم لايدينون بالولاء للسلطان العثماني ولا يعرفونه.

اليمامة والأشراف وشيوخ الأحساء :

كان لأشراف مكة نفوذ كبير في بعض بلدان اليمامة ونجد، وكانوا يغزونها أحياناً ويستولون على كثير من ماشيتها وأموالها.

ثم خلف شيوخ الأحساء أشراف مكة، في بسط نفوذهم على بعض بلدان اليمامة.

جغرافية اليمامة

يقول الشاعر الأديب الشيخ عبدالله بن خميس في كتابه (معجم اليمامة):

جبل اليمامة هو أشهر جبال الجزيرة العربية، بعد سلسلة جبال السروات، وأطولها امتداداً، وأكثرها سكاناً، وأخصبها وأغناها.

امتد على سهل يقع مابين (الدهناء) شرقاً، عالية نجد.. غرباً، ومابين (الربع الخالي) و(نجران) ومنحدرات جبال اليمن جنوباً، وبين مجتمع رمال (الدهناء) والقصيم والثويرات شمالاً، فامتداده من الجنوب إلى الشمال حوالي ثمانمائة ميل، ومن الغرب إلى الشرق يتراوح مابين المائة إلى الخمسين ميلاً وأعلى قمة فيه تبلغ حوالي ألف وخمسمائة متر.

وإذا استقبلته من جانبه الغربي رأيته منتصباً سامقاً.. وتذكرت قول عمرو بن كلثوم:

فأعرضت «اليمامة» واشمخرَّت كأسياف بأيدي مصلتينا

مقاطعات اليمامة

.. وتنحدر من هذا الجبل أودية عظيمة..

وفي هذه الأودية وماتضيق عليه تقع بلدان اليمامة وقراها وتنتشر نخيلها ومزارعها. فيه إحدى عشرة مقاطعة وهي:

العارض، وقاعدته الرياض.

والخرج، وقاعدته الدلم.

ووادي بريك، وقاعدته الحوطة.
والأفلاج، وقاعدته ليلى.
والسليل، وقاعدته السليل.
ووادي الدواسر، وقاعدته الخماسين.
وضرمى، وقاعدتها البلاد.
والشعيب، وقاعدتها حريملاء.
والمحمل، وقاعدته ثادق.
وسدير، وقاعدته المجمعة.
والغاط والزلفي، وقاعدته الزلفي. (١)

(١) ملحوظة: إن التقسيمات الإدارية تختلف بين زمن وزمن.. ولكن أسماء البلدان تبقى في كثرتها، وإن فقدت صفتها قاعدةً لمقاطعة، فمنطقة الرياض، أو إمارة الرياض تضم اليوم بلداناً كانت لسنوات مضت قواعد لمناطق. ولذلك يحسن الرجوع إلى أحدث كتب الجغرافيا والمعاجم الجغرافية لمعرفة ما يحدث من تغيير في أحوال الإمارات والمدن والمناطق.

ويذكر (ابن الفقيه) أن أهل اليمامة يقولون:

(غلبنا أهل الأرض، شرقها وغربها، بخمس خصال:

ـ ليس في الدنيا أحسن ألواناً من نسائنا.

ـ ولا أطيب طعاماً من حنطتنا.

ـ ولا أشد حلاوة من تمرنا.

ـ ولا أطيب مضغة من لحمنا.

ـ ولا أعذب من مائنا.

فأما قولهم في نسائهم فإنهن درّيات الألوان، كما قال ذو الرمّة: (كأنها فضة قد مَسَّها ذهب).

وذلك أحسن الألوان، ويقال: لا تبلغ مولدة ألف درهم إلا في اليمامة.

وأما حنطتهم فتسمى بيضاء اليمامة، تحمل إلى الخلفاء.

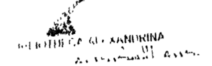
يقول د. جواد علي، في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: (كان معظم أهل اليمامة على النصرانية عند ظهور الإسلام). . وإن النصرانية كانت واسعة الانتشار في ربيعة وتميم وطيء. . وإن المبشرين النصارى كانوا يرتحلون مع القبائل وعرفوا باسم: «رهبان الخيام».

وليس شك عندنا في أن. د. جواد علي يبالغ كثيراً، وربما تأثر بمزاعم لويس شيخو التي لا تستند إلى أساس.

وقد ذكرنا شيئاً غير قليل عن اليمامة وحجر وبعض بلدان اليمامة في كتابنا عن تاريخ البلاد العربية السعودية في عهد التأسيس، فيمكن الرجوع إليه، لمزيد من التفاصيل عن تاريخ اليمامة قبل الإسلام وبعده.

طبـع بمـطابع
دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة

الريـاض ـ ص.ب ٢١٢٩١ ـ هاتف ٤٨٨٠٠٤٧
فاكـس ٤٨٨٠٠٤٧



كتب المؤلف

الدستور السوري ، باللغة الفرنسية
عبقرية الإسلام في أصول الحكم
الحقوق الدستورية
الحقوق الرومانية
الحقوق المدنية الفرنسية
الحقوق الجزائية الخاصة
أوراق
تاريخ البلاد العربية السعودية :
١ ـ عهد التأسيس
٢ ـ عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد
٣ ـ عهد الإمام سعود
٤ ـ عهد الإمام عبدالله بن سعود
ـ فيصل ، تاريخ مملكة في سيرة زعيم
ـ الإمام تركي بن عبدالله
ـ رجل في جلد آخر ، وقصص صغيرة

كتب معدة للطبع أو قيد الإعداد

ـ أوراق الذهب
ـ معاوية
ـ الأسطول الإسلامي
ـ ابن خلدون
ـ خالد بن صفوان
ديوان شعر
الصلات الدولية في الإسلام
أيوب
الخ . .
مسرحيات :
ـ زنوبيا
ـ كليوباترة
ـ بلقيس ـ ملكة سبأ
ـ المطلقات

المؤلف

- ولد في دمشق، ونال الشهادة الثانوية في سن مبكرة جداً، وتكاد لا تصدق.
- نال شهادة الحقوق في دمشق، وشهادة الحقوق من كلية الحقوق في باريس، ودكتوراه الدولة في الحقوق العامة والخاصة من جامعة باريس، وشهادة في فقه اللغة، وشهادة في الأخلاق وعلم الاجتماع من السوربون، وشهادة في الصحافة من معهد العلوم الاجتماعية العليا بباريس.

مناصبه السابقة:

- نائب دمشق مراراً.
- وزير الشباب والدعاية (الإعلام)، ووزير العدل ووزير المعارف مراراً.
- أستاذ ذو كرسي في كلية الحقوق بدمشق، ورئيس الجامعة بالوكالة مراراً.
- عضو المجمع العلمي العربي بدمشق.
- كبير المستشارين في وزارة المعارف، بالمملكة العربية السعودية، ومستشار في دارة الملك عبدالعزيز.
- رئيس تحرير المجلة العربية.
- وقد أصدر في دمشق مجلة «الحياة الأدبية» ثم جريدة «النضال» وترأس تحرير جريدة «الجزيرة» وكتب مقالات وبحوثاً أدبية في مجلات وصحف كثيرة في سوريا ولبنان ومصر.

طبع بمطابع
دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة
الرياض ـ ص.ب ٢١٢٩١ ـ هاتف ٤٨٨٠٠٤٧
فاكس ٤٨٨٠٠٤٧